الطبعة السادسة

قبل أن تقرأ

تعرف على

- ملامح كل سورة في القرآن الكريم
- الروابط الخفية بين آيات السورة الواحدة
- الجو العام الذي يميز كل سورة

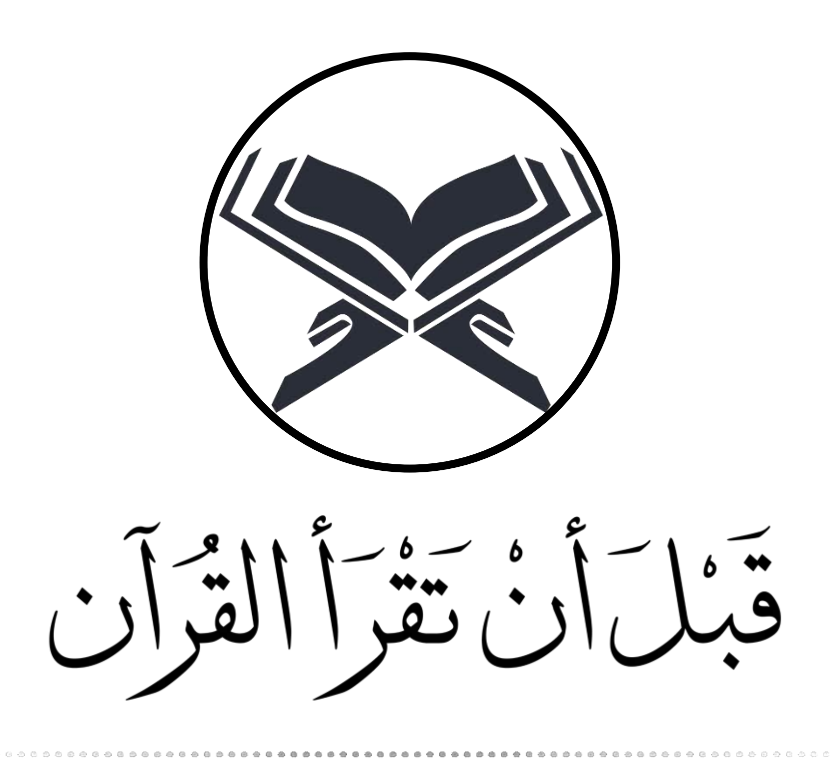
تأليف

أ.د/ أحمد عادل نور الدين

مراجعة وتقديم

أ.د/ صلاح زيدان أ.د/ علي حسيب



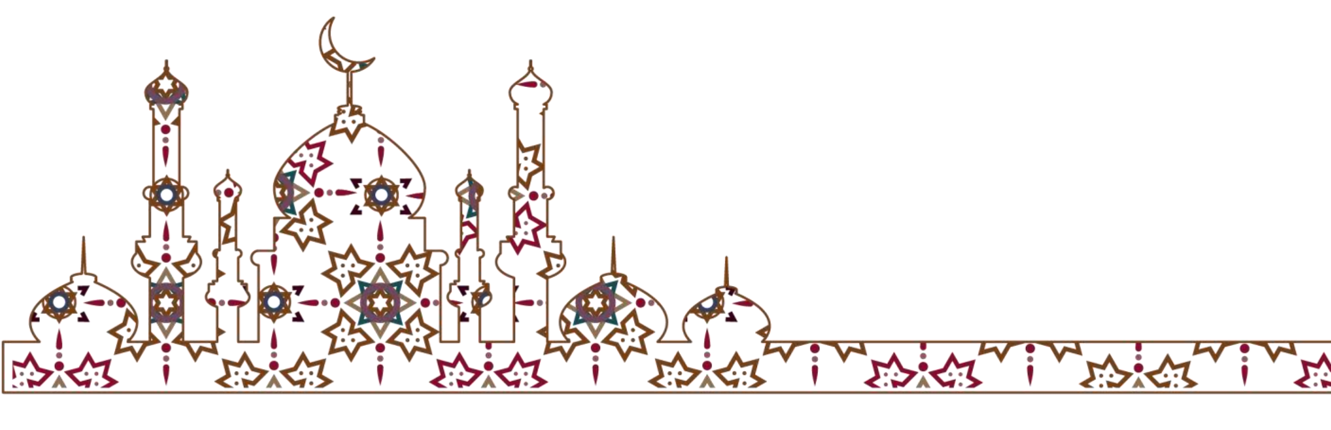


تعرف على:

* ملامح كل سورة في القرآن الكريم *

* الروابط الخفية بين آيات السورة الواحدة*

* الجو العام الذي يميز كل سورة *



- قبل أن تقرأ القرآن.
- تأليف: أ.د/ أحمد عادل نور الدين
- الطبعة السادسة 2024
- رقم الإيداع: 26456 / 2019
- الترقيم الدولي: 4 - 153 - 755 - 977 - 978

دار السحـــاب للنشر والتوزيع

Email: info@elsahab.com

www.elsahab.com



العنوان: 1 شارع عدلي كفافي
ميدان سانت فاتيما
مصر الجديدة - القاهرة

00201005700336
00201146670703
00202277409470

قَبْلَ أنْ تَقْرَأ القُرْآن

تأليف

أ.د / أحمد عادل نورالدين

الأستاذ بكلية الطب - جامعة القاهرة

مراجعة وتقديم

أ. د/ صلاح زيدان

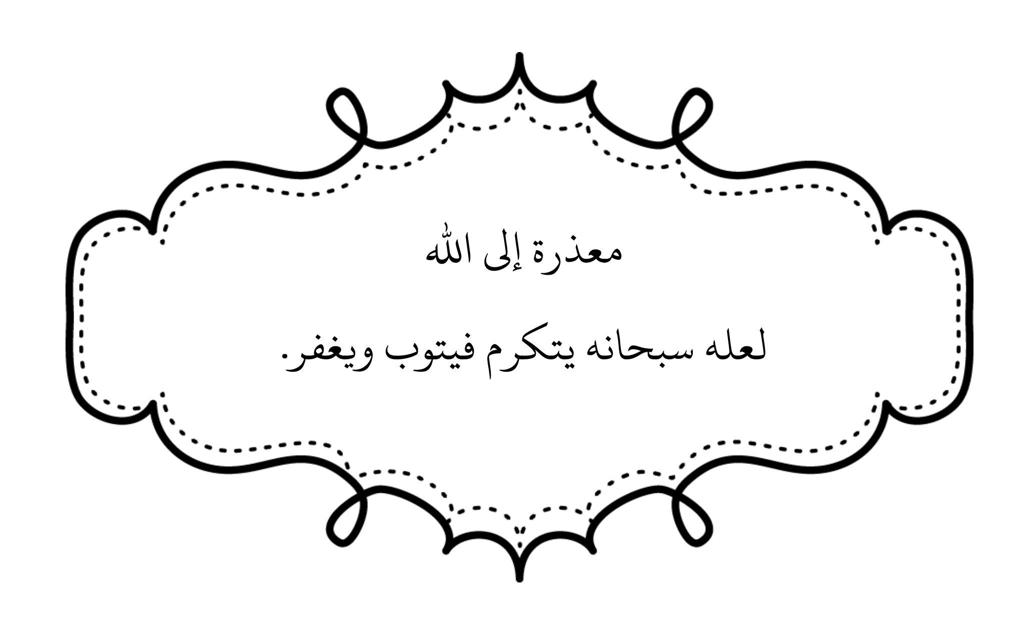
عميد كلية الشريعة سابقًا - جامعة الأزهر

أ. د/ علي حسيب

الأستاذ بكلية الطب - جامعة القاهرة




بسم الله الرحمن الرحيم


معذرة إلى الله
لعله سبحانه يتكرم فيتوب ويغفر.



﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾

[ص: 29]

مقدمة الطبعة السادسة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كان للاستقبال الجيد من السادة القراء لكتاب «قبل أن تقرأ»، ورغبة الكثيرين في اقتنائه وقراءته ثم الثناء على ما فيه، أعظم الأثر، فلهم جميعا الشكر والتقدير.

وهذه الطبعة السادسة التي أعيد تنسيقها على وجهٍ أفضل بها العديد من الزيادات والتنقيحات التي نرجو أن تزيد من فائدة مطالعة الكتاب والاستزادة مما فيه. والشكر موصول للدكتور مدحت عفيفي على إمداده لنا باللمسات البيانية للدكتور/ فاضل السامرائي جزاه الله خيرًا.

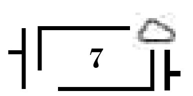
وتسهيلًا على الجميع فقد أتحنا الوصول إلى الكتاب على شبكة الإنترنت من خلال تطبيق على جوجل «قبل أن تقرأ».

وحيث إن الكتاب غير معروض للبيع ، فيمكن الحصول عليه بالاتصال بدار السحاب للنشر ت: 01146670703/01005700336

أو الأستاذ محمد فؤاد ت: 01001678112

أو الأستاذ أحمد أسامة ت: 01027333180

□



تقديم الأستاذ الدكتور صلاح زيدان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

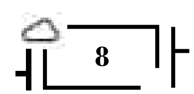
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٠﴾ [الإسراء: 9-10]

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء: 88]

هذا هو قرآن ربنا جعله الله هداية للأقوم، وجعله بشارة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، بأن لهم أجرًا كبيرًا، وجعله رب العالمين معجزًا للإنس والجن فهو متفرد بالإعجاز دون غيره من الكتب السماوية، وعلى ذلك فإن الاقتراب منه ومعايشة كلماته وآياته بل حروفه لهو خير كبير.

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: 123-124]

وعلى ذلك فإن ما أقدم عليه الأستاذ الدكتور **أحمد عادل نور الدين** من معايشة للقرآن الكريم لهو خير كبير لسيادته في دنياه وأخراه، وخصوصًا إن كان هذا من طبيب جراح تخصصه العلمي يثقله بعلوم الطب والجراحة، ويبعده عن العلوم الشرعية



بمختلف فروعها، ولكن ما يفرح النفس الصالحة هو ما نلمسه من الروح الطاهرة والنية المخلصة الصافية عند القرب من حروف وكلمات القرآن الكريم، وهذا ما يدفعنا إلى مباركة هذا العمل والدعاء لفاعله بالبركة في حياته وبقبول عمله الطيب وجهده المخلص لهداية المؤمنين الصادقين إلى الطريق القويم.

الأستاذ الدكتور صلاح زيدان
عميد كلية الشريعة والقانون سابقًا
جامعة الأزهر - طنطا

تقديم الأستاذ الدكتور علي حسيب

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فقد طلب مني الأخ النبيل السيد الفاضل الدكتور **أحمد عادل نور الدين** أن أقدم لكتابه هذا - وهذا من حسن ظنه بي - شكر الله له.

عندها تبادر إلى ذهني أن المقام ليس مقامي، ولكن أفعل ذلك - إن شاء الله - اجتنابًا لمخالفته وامتثالًا لطلبه والتماسًا لودّه، فأقول - وبالله التوفيق وعليه المعتمد -: إني طالعت الكتاب فأَلْفَيْتُهُ كتابًا نافعًا ماتعًا، ولاحظت فيه أشياء فريدة أسردها لك أيها القارئ الكريم:

أولًا: أهمية موضوع الكتاب وهذه هي عادة الدكتور أحمد - زاده الله من فضله - فقد كان له كتاب قيم قبل ذلك فريد في بابه وهو كتاب «**سنة أولى عبادة**» وهو كتاب تحتاجه المكتبة الإسلامية بالحقيقة، وقد سد به ثغرًا مهمًّا بتوفيق الله له، وأنا أدعو القارئ الكريم لقراءة هذا الكتاب المبارك - أعني كتاب سنة أولى عبادة - وأهمية هذا الكتاب الذي بين يدي الآن لا تقلّ شيئًا عن أهمية الكتاب الفائت، فقد اعتدنا من الدكتور أحمد أن يتكلم فيما ينقصنا، وقد استفدت من الكتاب استفادة عالية وكان فارقًا معي في استطعام سور القرآن وما أحوجنا في هذا العصر وفي كل عصر إلى فهم القرآن وتدبر معانيه فإن النجاة كل النجاة في التعلق بكلام ربنا.

ثانيًا: تمنيت بعد قراءة هذا الكتاب الرائق أن تكون هناك سلسلة موسومة بـ (قبل أن تقرأ)، وتكون هذه السلسلة معنية بتقديم توجيهات للقارئ والطالب قبل أن يقرأ القرآن، وقبل أن يقرأ الفقه، وقبل أن يقرأ سيرة الرسول، وقبل أن يقرأ في التراجم والسير، فتكون هذه التوجيهات هدايات ومنارات يستنير بها السائر في هذا الطريق.

ثالثًا: يمتاز أيضًا هذا الكتاب الطيب بالاختصار، وهذا الاختصار لا شك يحتاج إلى مجهود كبير فإنه لا يختصر لك موضوعًا إلا من هو محيط بهذا الموضوع ملمٌّ بجوانبه وأبعاده وقد قيل في الحكمة: **عفوًا للإطالة فإني لم أجد وقتًا للاختصار** ..

فهذا الكتاب لو كان ثلاثة أضعاف حجمه لكان أسهل على المؤلف، لكنه اجتهد واختصر اختصارًا ليس مخلاً إطلاقًا، وأجاب على تساؤلات محيرة تدور في أذهان كثير منا إجابات واضحة لا تشتبه، فما عليك أيها القارئ إلا أن تقرأ لمدة دقائق معدودة في هذا الكتاب قبل أن تقرأ وردك اليومي من القرآن وستشعر بالفارق إن شاء الله ..

وأخيرًا، فبعد أن قدمت لهذا الكتاب المبارك فإني أحسب أن الدكتور **أحمد عادل** حجة علينا، فهو أستاذ معروف في مجاله، كبير في تخصصه الذي هو جراحة التجميل على مستوى الوطن العربي، ومع هذه المشاغل الكبيرة شمر عن ساعد الجد والاجتهاد فوفقه ربنا سبحانه وبحمده إلى أن يقدم شيئًا لدينه.

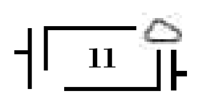
نعم يمكنك أن تخدم دينك من خلال عملك وموقعك حيثما كان، ولكن هذا لا يغني عن وجود وقت وجهد خالص لخدمة الدين ونصرته..

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب في الآفاق، وأن يكتب لصاحبه الأجر موفورًا، وأن يجعل سعيه مشكورًا وعمله مبرورًا..

أ.د/ علي حسيب

أستاذ جراحة الأطفال

كلية الطب جامعة القاهرة



مقدمة الكتاب

القرآن الكريم معجزة الله المنطوقة باللغة العربية، ومن وجوه إعجازه أنه منذ اكتماله لم يزدد كلمة واحدة، وهو مثل كل أسرار الله في الكون، يتفتح عن نور جديد كلما نضج المتلقون له، وازداد استعدادهم لتذوق شهي ثماره، وباهر ضوئه.

ففي عصر النبي ﷺ كان القرآن يتنزل عليه آيات متفرقات وحيًا من الله عز وجل عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام، وكان سيدنا جبريل يخبره صلوات الله وسلامه عليه عن موقع هذه الآيات في سورتها وموقع سورتها من القرآن، وفي أواخر عمره قرأ النبي القرآن كله بترتيبه الحالي على جبريل، قرأه سورًا، وليس آيات منفصلات كما نزل أول مرة، وبعد عصر النبي ﷺ عكف علماء الأمة على دراسة القرآن، وإظهار وجوه إعجازه، وهي كثيرة: ففي نظمها إعجاز، وفي مفرداتها دقة، وفي ترتيبها ما لم تعهده العرب من قبل.

ومما لا شك فيه أن تلاوة كتاب الله، وتدبر آياته، وتفهمها، سنّة ماضية في حياة المسلمين، قال ابن جرير عليه رحمة الله: عجبت لمن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذ بقراءته؟، ومن المؤكد أن إعانة المسلمين التالين لكتاب ربهم على فهم آياته، وعلى التزود بمقاصده، والإذعان لحكمه، وتحصيل المقاصد منه: اعتقادًا وقولًا وعملًا، هو من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله عز وجل، وفيه نصرة للمسلمين، وتثبيت للإسلام في قلوبهم.

ولكن هناك إشكال، فالقارئ لكتاب ربه الذي يريد فهم الآيات الكريمة على معناها الصحيح، وهو من غير المتخصصين، سيجد أمامه الكثير من كتب التفسير، هذه الكتب

لطولها وتعدد أقوالها مع صعوبة فهم محتواها، قد تكون عائقًا يحول بينه وبين أن يصل إلى ما يريد.

ومن هنا نشأت فكرة هذا الكتاب:» قبل أن تقرأ»، فالهدف هو تقديم موجز لكل سورة من سور القرآن الكريم، هذا التقديم يتعرف عليه القارئ قبل أن يقرأ السورة، فيعينه على فهم السورة وتدبر معانيها، فهذا التقديم سيعطيه فكرة عن وحدة موضوع السورة، ومقاصدها، وعن الروابط الخفية بين آيات السورة في أجزائها المختلفة، وهو المنهج الذي اتبعه شيخنا الجليل محمد الغزالي في كتابه: «**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**»، مع إضافات أخرى متعددة من مصادر عديدة أخرى مذكورة في آخر الكتاب، فمحتوى الكتاب ليس تفسيرًا للآيات، وليس تبيانًا لمعاني الألفاظ أو إعرابًا لها، وليس ترتيبًا لأسباب نزولها، وليس حصرًا للمتشابه منها، وإن كان فيه شيء من ذلك كله، وذلك وصولا إلى الهدف الأسمى، وهو تحضير التالي لكتاب الله إلى استقبال أفضل واستفادة أعظم من السورة التي هو بصدد تلاوتها قبل أن يقرأها.

وقد راعيت في كتابته التيسير على القارئ، مع التبسيط في شرح المقصود، والإيجاز بما لا يخل أو يفسد أو يتعارض مع المصادر المعتمد عليها كمراجع للكتاب، فتكون الفائدة منه للقارئ الذي هو في أول الطريق للتعرف على كتاب الله، وتكون الفائدة أيضا للقارئ الذي هو منتظم في تلاوته، فسيجد فيه ما يعينه على التدبر، وما أعظمها من مسؤولية!! فشأن القرآن أكبر من أن يتعرض له مثلي، وهو ما جعلني أشعر دومًا بالقصور وأنا أمضي في كتابته، فأسأل الله الغفور الرحيم أن يتجاوز عما فيه من تقصير، فهو من نفسي، وأسأله وهو الفتاح العليم أن يتقبل ما فيه من فائدة للمسلمين، فهذا من فضله سبحانه وتعالى.

وحيث إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس كما روى أحمد عن رسول الله ﷺ، فإنه لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر، وجزيل العرفان، لكل من فضيلة الأستاذ الدكتور

صلاح زيدان الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الأزهر، وفضيلة الداعية الإسلامي الأستاذ الدكتور **علي حسيب** الأستاذ بكلية الطب جامعة القاهرة، وذلك لقيامهما مشكورين بمراجعة دقيقة لمحتوى الكتاب، وتشجيعهما الدائم، وتفضلهما بكتابة تقديم للكتاب.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير للأستاذ محمد فؤاد مكاوي، المسجل لدرجة الدكتوراه بكلية الآداب جامعة القاهرة، على تحمله عناء الكتابة والمراجعة، فجزاه الله خيرًا، وكذلك فالشكر موصول إلى كل القائمين على مراجعة وتنسيق وطباعة الكتاب في دار السحاب للنشر والتوزيع وعلى رأسهم الأخ والصديق العزيز الأستاذ **عادل عبده** حفظه الله.

وفي الختام أتوجه بكل الشكر والتقدير والعرفان لزوجتي وأسرتي الصغيرة التي وفرت لي السكينة وكل الدعم النفسي والمعنوي، مما كان له عظيم الأثر في ظهور هذا الكتاب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور أحمد عادل نور الدين

القاهرة 18 رجب 1440هـ

الموافق 24 مارس 2019م

.

سـورة الفاتحة

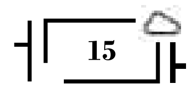
أم الكتاب - السبع المثاني - أعظم سور القرآن

مفروضة في كل الصلوات، يكررها المسلم سبع عشرة مرة يوميًا على الأقل، فهي مناجاة متجددة مقبولة بين الناس ورب الناس، وهي تصور العلاقة الوحيدة الممكنة بينهما: الاعتراف بالله، والثناء عليه، والاستعداد للقائه في يوم الدين، والتعهد بعبوديته، ثم الدعاء والرجاء إليه أن يجعلنا كما يحب، فقد جمع الله فيها مقاصد القرآن الكريم كله.

تكرار الدعاء لأنفسنا كل يوم سبع عشر مرة على الأقل علته أن الطبع البشري لا تصقله دعوة أو دعوتان، لابد من تكرار الوقوف والرجوع إلى الله لاستمداد العون منه؛ لأن رعونات النفس ووساوس الشيطان لا تنتهي، فلابد من تكرار الدعاء واستدامة التضرع حتى يهدينا الله إلى الصراط المستقيم، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، وفسرها سبحانه وتعالى في سورة النساء حيث قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا٦٩﴾ [النساء: 69]

وتسمى بالسبع المثاني لأنها سبع آيات يثنيها المسلم في صلاته - أي يكررها- ، حيث لا صلاة لمن لم يفتتح بها صلاته، وهذا التكرار الدؤوب الذي يحرص عليه المسلم في كل صلاة يوميًا وطوال سنوات عمره هو سر من أسرار الفاتحة، فالمسلم الخاشع لا يمل منها في صلاته، وهو يعتبرها مناجاة وحوارًا مع الله رب العالمين، وتتمثل فيها معانٍ متجددة تجول بخاطره وهو يكرر آياتها:

فنحن نحمد الله لأنه رب العالمين يحيط بكل شيء رحمةً وعلمًا ، وبالثناء على الله وحمده نشعر بلذة الحاجة لمن بيده ملكوت السموات والأرض.



وهو الرحمن الذي وصفه الرحمة، واستوى على العرش باسمه الرحمن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5] فالعرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]، فكذلك الرحمة محيطة بالخلق وقد وسعتهم: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: 156]، فكأنما استوى سبحانه على أوسع المخلوقات بأوسع صفاته.

وهو الرحيم الراحم لعباده، وهذه الرحمة تتمثل في خلق الإنسان في أحسن تقويم، وتسخير ما في السموات والأرض لخير الإنسان، وفي تراحم الناس بينهم وبين بعض، فما لم يرحم القوي الضعيف وما لم يبذل الغني للفقير يظهر الفساد في البر والبحر، إذن فشعار الرحمة العامة هو شعار الدعوة إلى الله، انظر كيف دعا سيدنا سليمان ملكة سبأ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: 30].

فالإسلام هو الرحمة المهداة من الله عز وجل، ولهذا كانت عبارة الرحمة العامة الشاملة فاتحة لكل سور القرآن الكريم، ما عدا سورة التوبة، فقد بدأت بالبراءة من المشركين الذين لم يحفظوا العهود فاستحقوا الحرمان من رحمة الله.

وهو مالك يوم الدين، فعندما نتلوها نتذكر يوم الدين، يوم يخرج الناس من الأجداث كأنهم جراد منتشر، نتذكر من تكون السموات مطويات بيمينه سبحانه في يوم الدين الذي لا تملك فيه نفسٌ لنفس شيئًا والأمر كله في هذا اليوم لله، يعز من يشاء ويذل من يشاء، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

ولهذا تكون العبادة والاستعانة مقصورة على الله رب العالمين: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، فنتحرر من القوى المخلوقة جميعًا، من عبودية النظم والأوهام المتمثلة في صور المال والسلطان، فالعبادة ما هي إلا نوع من الخضوع لمعبود نستشعر

عظمته، ومع غيبية المعبود قد يجنح البعض مع الجهل به، والخوف منه، إلى الاستعانة بشيء محسوس كالشمس والنار والأوثان، فيحدث الشرك والعياذ بالله.

ولهذا ارتبط قصر العبادة والاستعانة بالله بطلب الهداية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6]، فلولا الهداية من الله لانحرفت الاستعانة؛ ولهذا كانت النعمة الكبرى التي نطلبها في الهداية من الله أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، أي الطريق المتوسط بين الإفراط والتفريط، قولًا وعملًا وفكرًا وسلوكًا.

إنه تشريع الأمة الوسط، الذي هو نور وهدى وبينات من الهدى والفرقان، كل هذه المعاني تتجدد في ذهن الخاشع في صلاته، فلا يمل من تكرار سورة الفاتحة في كل ركعة من كل صلاة في كل يوم من حياته.

فالخاشع في صلاته المتدبر لآيات سورة الفاتحة يجد أن الله سبحانه وتعالى قد عَرّف نفسه في أولها بصفتين: الرحمن الرحيم، ومالك يوم الدين.

فتراه يدعو ربه بالهداية وهو بين الخوف والرجاء:

الخوف من يوم الدين الذي يكون الأمر فيه كله لله والرجاء في رحمة من بيده تبديل السيئات حسنات.

وتجده في دعائه بالهداية للصراط المستقيم يدعو ربه خوفًا وطمعًا:

خوفًا من يوم الدين الذي تشخص فيه الأبصار وطمعًا فيمن وسعت رحمته كل شيء.

وتراه في خشوعه يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه:

يحذر الله الذين الذي لا يخفي مع الله منه شيء ويرجو رحمة ربه الذي كتب علي نفسه الرحمة.



سورة البقرة

أطول سور القرآن الكريم - 286 آية

➤ أحفل السور بالتعاليم المتنوعة.

من أول ما نزل من القرآن في المدينة، واستمر نزول آياتها عشر سنوات، أي أن السورة ظلت مفتوحة يضم إليها الرسول ﷺ ما يشاء له الله، حتى إن آخر آية نزلت في القرآن كله أمره الله أن يضمها إلى الآيات التي تتحدث عن الربا في أواخر السورة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: 281

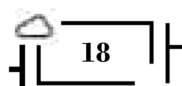
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ أنه قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» (صحيح مسلم).

➤ الجو العام الذي نزلت فيه سورة البقرة:

بعد أن نجح المسلمون أفرادًا في مقاومة الفتن الوثنية في مكة، اتجهت الجهود بعد الهجرة إلى المدينة المنورة إلى تكوين المجتمع الإسلامي الأول، ولكنهم فوجئوا بعداوة من نوع جديد، اليهود.

قبائل اليهود التي فرَّت من بطش الرومان إلى بلاد العرب، وعاشوا بين العرب الأميين مترفعين عليهم، لم يحاولوا محاربة الشرك ولا الأصنام، أو نشر دعوتهم إلى الله، ولكنهم حسبوا أن الدين حكرٌ عليهم وامتياز لهم من دون الناس، فلما ظهر الإسلام رفضوه وقاوموه، بالرغم أنه مذكورعندهم في التوراة.

حاول الرسول ﷺ أن يستلين جانبهم ويدعوهم إلى دعوة التوحيد، ولكن حقدهم على المسلمين الذين ينافسونهم في دعوة السماء غلب عليهم وبدأ شرهم ينمو، فكان المسلمون



الذين ظفروا بمهجرهم يبنون مجتمعهم وفق إشارات الوحي بيد، ويدفعون عنه أعداءهم بيد أخرى، **في هذا الجو نزلت سورة البقرة** أطول سور القرآن وأحفلها بالتعاليم المتنوعة.

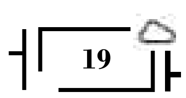
إذن فكان ولابد والسورة أول ما نزل بالمدينة أن تتصدى لليهود، وأحصت السورة ست عشرة مرة شئون وقضايا عرضت لليهود في تاريخهم الطويل وذكرت عندهم في التوراة، ومع ذلك لم يكونوا عند حسن الظن بهم، وناقشت السورة اليهود في دعاواهم التي ظاهروا بها الإسلام، فهم يرون في أنفسهم أنهم وحدهم أهل الوحي ولا يجوز أن يختار الله نبيًّا بعيدًا عنهم، وأحصت عليهم السورة بضع عشر تذكيرًا لعلهم يرجعون، ولكن هيهات، وهذا التذكير هو أيضًا تعليم للأمة الإسلامية لكي تستقيم ولا تكون كاليهود الذين حرصوا على الدين شكلًا لا موضوعًا، وتشبثوا بالقشور: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: 177]، إلى آخر دعائم البر الست وأركان التقوى.

➤ **وقد تحدثت السورة عن أركان الإسلام الخمسة:**

1- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: 21]

2- ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: 238]

3- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: 183]



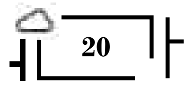
4- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ٢٥٤﴾ [البقرة: 254]

5- ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة: 196]

لا ننسى أن السورة معنية ببناء المجتمع الإسلامي الناشئ؛ لذلك فهي تتحدث عن حماية المجتمع الكبير بالجهاد والقتال في سبيل الله، وكذلك حماية المجتمع الصغير وهو الأسرة.

في قضية القتال يصف القرآن القتال الصحيح المقبول بأنه في سبيل الله، ليس في سبيل مجد شخصي أو منفعة خاصة، فهو لاستبقاء عبادة الله ورفض عبادة الشيطان، والمسلمون حين يقاتلون فهم يفعلون ذلك ليس حبًّا في القتال، فهم يؤثرون العافية، والأصل عندهم هو السلام مع صون الحقوق واحترام العقيدة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ٢١٦﴾ [البقرة: 216].

ولا يجوز لهم القتال في الشهر الحرام، ولكن ما العمل إذا بدأ الكفار بالقتال فيه وهم لن يرضوا حتى يدخل المسلمون في ملتهم، فالقتال هنا لابد منه دفاعًا عن الحرمات والعقائد: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ٢١٧﴾ [البقرة: 217]، وعلى هذا نفهم قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ١٩٠﴾ [البقرة: 190]، ولا يتعارض



هذا مع ما جاء في سورة التوبة بالأمر بقتال المشركين، فذلك قتال لقوم ساء ما يعملون ولا يرقبون في مؤمن قرابة ولا عهدًا وظاهروا على المسلمين، وبدأوهم بالعدوان أول مرة.

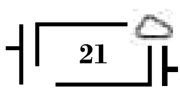
ثم أفاضت السورة في الحديث عن حماية المجتمع الصغير، وهو **الأسرة وأحكامها**، وقبل أن نبين هذه الأحكام تجدر الإشارة أن حوالي ثلثي القرآن كان قد نزل قبل هذه السورة المباركة، وتضمن تمهيدات يجب اصطحابها عند التأمل في أحكام الأسرة، فعل سبيل المثال:

- المساواة بين الذكر والأنثى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: 97].

- المودة بين الزوجين والتي هي من آيات الله في ملكوته: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21].

وعلى هذا فإن فهم وضع المرأة ومكانة الأسرة سبق الحديث عنهما، فلا غرابة إذن أن تحتوي سورة البقرة على تفاصيل لما قد يقع من نزاعات أو أحداث ينبغي تعرف حكم الله فيها:

1- الطلاق: تأمل هنا كيف وردت ثمانية توجيهات في آية واحدة وتلاحقت في أثناء تقرير حكم الطلاق لتوجيه أن المسلم قد يراجع نفسه بعد الطلاق: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: 231]، ماذا يفعل دين أكثر من ذلك في لزوم التروي والأدب وصون



الحاضر والمستقبل للأسرة، لاحظ أيضًا كيف تكررت كلمة «حدود الله» أربع مرات في آية من آيات الطلاق: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: 229].

2- **حقوق المرأة:** القرآن دافع عن حقوق المرأة: ﴿.. وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: 228]، فتبادل الحقوق والواجبات بين الزوجين ظاهر، وبالرغم من تقرير سيادة الرجل ﴿.. وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ ..﴾ [البقرة: 228]، فلا مجال لإنكار أن تكون للمرأة شخصية متميزة ومستقلة، حيث قرر القرآن من قبل أن امرأة نوح غير نوح، وامرأة فرعون غير فرعون، وأن لكلٍّ مسلكه وطريقه.

3- **وعندما تلد المرأة فالمغانم والمغارم قسمة بين الزوجين:** ﴿.. لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ ..﴾ [البقرة: 233]، وعند بلوغ الفطام يتشاوران معًا في ذلك: ﴿.. فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ ..﴾ [البقرة: 233].

4- وإذا حدث الطلاق مع ما يكتنفه من احتراق لمشاعر نبيلة فإن هذا ليس من خلق الإسلام **فيجب كسر حدة الطلاق بهدية وعطية حسنة تطفئ الغضب:** ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: 241].

بعد 13 عامًا من القرآن المكي، وفي الجو المختلف الذي نزلت فيه سورة البقرة، حيث بدأت تظهر معالم دولة، وحيث حل الولاء المشترك للدين محل السلوك الفردي للمسلمين



وبدأت مطاردة ما حرّم الله في البيت والشارع، في هذا الجو الجديد تكررت بعض معاني القرآن المكي، ولكن بمزيد من الإيضاح والتفصيل، خاصة في مجال التوحيد الذي بدأ غرسه في مكة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: 163] ، يتلوها مباشرة دلائل الوحدانية منتزعة من فجاج الأرض، فالمؤمن أشد حبًا لله من غيره، وتظهر ثمار هذا الحب في عمله وإخلاصه باتباع تعاليم الدين وإعلاء شأن المسلمين، والله سبحانه أهل لهذا الحب لأن المجد كله والعظمة كلها لله، **وهنا نسوق أعظم آيات القرآن الكريم وهي آية الكرسي:**

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: 255].

والكرسي شيء عظيم لا تدركه عقولنا، والبعض أوّله بقوله: «أحاط علمه» أو شمل سلطانه كل شيء سبحانه وتعالى، وفي السنّة يستحب قراءة آية الكرسي بعد كل صلاة مكتوبة وعند النوم، والآية كلها تنطق بربوبية وألوهية وصفات الله عز وجل، فقد روى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: «في هاتين الآيتين: آية الكرسي، و ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: 1-2]، إن فيهما اسم الله الأعظم».

نجح أصحاب محمد في الاستجابة لما نزل عليهم في هذه السورة وما تبعها من القرآن، كان القرآن ينزل وهم يعملون، يأمر وهم يطيعون، صدقوا الله فصدقهم الله، فأعلى شأنهم وأصبحوا أصحاب حضارة لا تقوم على نعرة جنس أفضل من جنس أو نزعة مادية، ولكن على الربانية الخالصة، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

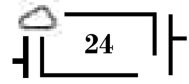


وقد ورد وصح أن النبي قدّم شابًّا وهو أحدث سنًّا ممن معه، فولاه القيادة على الجيش لأنه كان يحفظ سورة البقرة، يحفظها ليس أحرفًا وكلامًا، وإنما إلهامًا وأحكامًا ونورًا وفرقانًا، فهكذا تبنى الأمم.

- **لطائف من سورة البقرة:**

(1) ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: 17].

تصف حال أهل النفاق الذين أسلموا فعرفوا الخير من الشر، وبينما هم كذلك كفروا فصاروا لا يعرفون الحلال عن الحرام، فمثلهم كمثل رجل كان في ظلمة «وهي الكفر»، فأوقد نارًا فأبصر حتى يعرف ما يتقي « وهو الإسلام»، فبينما هو كذلك أطفئت ناره « فكأنما كفر مرة أخرى»، ثم تأتي السورة بوصف بليغ آخر لأهل النفاق: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: 19-20]، وصف آخر لأهل النفاق، إذا كثرت أموالهم وأولادهم قالوا إن دين محمد صدق: ﴿.. كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ..﴾ [البقرة: 20]، والموصوف بالصيب من السماء - أي بالمطر - هو القرآن الكريم، فيه زواجر تخيف المنافقين: ﴿.. ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ..﴾ [البقرة: 19]، وهو الآيات المحكمات من القرآن، يصمون آذانهم عند سماعها ﴿.. يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ..﴾ [البقرة: 19]، تهربًا من العمل بأوامر القرآن وأحكامه تمامًا كالذي يضع أصابعه على أذنيه تهربًا من الصواعق حذ الموت.



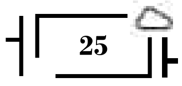
(2) ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣﴾ [البقرة: 63].

الطور هو اسم الجبل الذي كلم الله عليه سيدنا موسى عليه السلام، ولما رجع إلى قومه بالتوراة قال اليهود لن نلتزم بها حتى يكلمنا الله بها كما كلمك، فأمر الله الملائكة فاقتلعت الجبل ورفعته فوقهم كأنه مظلة عليهم، فأخذوا التوراة بالميثاق الذي هو أن يذكروا ما فيه، أي إن يكون محفوظًا عندهم ليعلموه ويعملوا به، فلم يأخذوا التوراة إلا مخافة أن يسقط الجبل عليهم، ولم يحفظوا العهد، فنقضوا الميثاق، فاستحقوا غضب الله عليهم.

(3) ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾ [البقرة: 85].

كان اليهود من بني قينقاع في المدينة متحالفين مع قبيلة الخزرج، واليهود من بني النضير متحالفين مع قبيلة الأوس، فإذا قامت الحرب بين الأوس والخزرج أعان اليهود حلفاءهم على إخوانهم من اليهود سواء بالقتل أو الأسر مخالفين في ذلك للتوراة، ثم إذا انتهت الحرب ذهبوا إلى أعدائهم ليفتدوا أسراهم تصديقًا للتوراة، وكأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

(4) ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ



وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة: 102].

الرواية تقول: إن هاروت وماروت في الأصل كانا ملكين من الملائكة أُهبطا إلى الأرض، فنزلا عند بابل في العراق، وكانا يعلمان الناس السحر ليجتنبوه، وما يعلمان أحدًا إلا قالا له لا تفعل السحر، ولا تكفر، فإنما نحن فتنة واختبار من الله لعباده.

اليهود اتبعوا ما تقوله الشياطين المتبعون للسحرة في عهد سيدنا سليمان بدلًا من أن يسمعوا وحي السماء، ماذا كانت تقول الشياطين في عهد سليمان، كانوا يقولون إن قوة سليمان الخارقة وتسخير الإنس والجن والطير كان سببه السحر، ولكن القرآن يبرئ سيدنا سليمان من تهمة الكفر فالسحر كفر، ولكن الشياطين هم الكافرون لأنهم يعلّمون الناس السحر الذي تعلموه من هاروت وماروت في بابل.

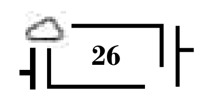
هل تدل الآية على جواز تعليم السحر فلا يكون حرامًا؟

الإجابة: لا يجوز، فالحرام تعليم السحر ليعمل به، أما أن يكون الهدف تجنبه فذلك جائز، كما قال الشاعر:

عَرَفْتُ الشّرَّ لا لِلشّرِّ ... لَكِنْ لِتَوَقيهِ

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشّرَّ مِنَ ... النَاسِ يقعْ فيهِ

فالحكمة من تعليم الملكين السحر للناس أن السحرة كثروا في ذلك العهد، فبعث الله الملكين لتعليم الناس وجوه السحر ليفرقوا بين السحر والمعجزة التي يأتي بها المرسل وحيًا من الله عز وجل.



(5) ﴿.. قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ ..﴾ [البقرة: 120].

المراد بالهدى هنا هو الإسلام، أي قل لهم يا محمد إن الإسلام هو الحق وما سواه فهو ضلال، فقد حصر الهداية في دين الله.

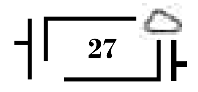
أما في آل عمران الآية 73:﴿.. قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ..﴾ [آل عمران: 73]، فالمعنى قل لهم يا محمد إن الهداية بيد الله، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وليس بالتمسك باليهودية أو النصرانية.

(6) ﴿۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة: 124].

الكلمات هي إني جاعلك للناس إمامًا، فقام بحقها «فَأَتَمَّهُنَّ»، ثم طلب الزيادة لذريته بأن يكونوا هم الآخرون أئمة: **ومن ذريتي**، فأخبره الله أنه سيكون فيهم عصاة وظلمة لا يصلحون للإمامة، فلا ينالهم عهد الله سبحانه: ﴿.. قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة: 124]، ولهذا عندما طلب إبراهيم عليه السلام الرزق من الثمرات لأهل مكة، كان حذرًا، فاشترط في طلبه أن يكون الرزق لـ ﴿.. مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ..﴾ [البقرة: 126] فقال الله تعالى له: **ومن كفر**، أي إنا أرزق الكافر أيضًا، فالرزق للمؤمن والكافر وليس كالإمامة للمؤمن فقط، فالكافر يمتعه الله بالرزق قليلًا في الدنيا، أما في الآخرة فله عذاب النار.

(7) ﴿.. رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا ..﴾ [البقرة: 126]

تنكير البلد هنا بدون «ال» لأنه كان قبل بناء البلد وهي مكة، فطلب إبراهيم عليه السلام من الله أن تُجعل بلدًا وأن تكون آمنة، أما في سورة إبراهيم ﴿.. رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ..﴾ [إبراهيم: 35]، فقد عرّف البلد (مكة) لأنه كان بعد بنائها، فطلب لها الأمن والاستقرار.



(8) ﴿.. ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ ..﴾ [البقرة: 178]

إشارة إلى ما شرعه الله في القصاص في جريمة القتل، فالله شرع للمسلمين القصاص في القتل أي من قتل مسلمًا عمدًا وجب قتله حقًّا لأولياء المقتول، وشرع كذلك إمكانية العفو من غير عوض، أو العفو بالدية تعويضًا عن الذي مات، ولم يضيق عليهم كما ضيق على اليهود، فإن في شرعهم قصاصًا أو عفوًا، ولا توجد ديّة.

(9) ﴿.. وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ..﴾ [البقرة: 184]

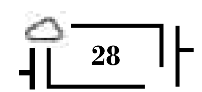
الصيام بمشقة كالشيخ الكبير والمريض، عليهم فدية بأن يطعموا المسكين طعامًا جاهزًا يكفيه لمدة يوم، فمن زاد في الإطعام على القدر، أو أطعم معه مسكينًا آخر فهو خير له: ﴿.. فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ ..﴾ [البقرة: 184].

(10) ﴿.. أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ..﴾ [البقرة: 186]

قال الرسول في الصحيح: »**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا. قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ**« (رواه أحمد في المسند).

(11) ﴿.. تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ ..﴾ [البقرة: 187]، بينما في آية الطلاق ﴿.. تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ ..﴾ [البقرة: 229]، ما السبب؟ القاعدة هي:

ما كان من الحدود نهيًا: ﴿.. وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ ..﴾ [البقرة: 187]، فالأمر فيه بالنهي عن المقاربة ولذلك قال فلا تقربوها، أما ما كان من الحدود أمرًا: مثل بيان عدد الطلاق، فالأمر فيه بالنهي عن الاعتداء.



(12) ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٢٤﴾ [البقرة: 224].

أي إذا حلفتم على مقاطعة ذوي أرحامكم إذا تصدقتم، فلا تجعلوا يمينكم بالله مانعة لكم من فعل الخير، بل كفّر عن يمينك وافعل الخير، عن الرسول أنه قال «**وَإِذَا حَلَفْتَ علَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَها خَيْرًا مِنهَا، فأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وكَفِّرْ عَنْ يَمِينك**».

وفي كفارة اليمين يكون الحالف مخيرًا بين ثلاثة أشياء:

إطعام عشرة مساكين من طعامه المعتاد، أو كسوتهم والكسوة ما يكسو البدن ولو كان ثوبًا واحدًا، أو تحرير رقبة، فمن لم يستطيع فعليه صيام ثلاثة أيام متتابعات أو متفرقات.

(13) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٦٠﴾ [البقرة: 260].

سؤال الخليل إبراهيم عليه السلام لم يكن عن شك في قدرة الله، ولكنه سؤال عن الكيفية: ﴿.. كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ ..﴾ [البقرة: 260] ، مع إيمانه الجازم بالقدرة الربانية، فسأل عن الكيف ليرى بالعيان ما كان يعتقده بالجنان.

(14) ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾ [البقرة: 265].

المؤمن إذا أكثر الله له الخير، أكثر من الصدقة (مثل الحديقة في الأرض الطيبة التي يتضاعف ثمرها إذا أصابها مطر شديد)، وإذا أصابه من الخير قليل فإنه لا يقطع صدقته:



﴿.. فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ ..﴾ [البقرة: 265]، أي مثل الحديقة فالمطر الخفيف يكفيها للإثمار، بعد ذلك جاء النصح لمن يعمل الخير ثم يضم إليه ما يحبطه فيجده يوم القيامة عند احتياجه لهذا العمل الصالح يجده لا يسمن ولا يغني من جوع، مثل حال الحديقة المثمرة، يمتلكها رجل كبير السن وله ذرية ضعفاء، فلا يستطيع أن يعيد غرس بستانه إذا أصابه إعصار فيه نار فاحترقت.

(15) ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة: 268].

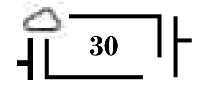
الشيطان يخوفكم الفقر حتى لا تنفقوا، والفحشاء هي المعاصى، والبخل عن الإنفاق في الطاعات، والفاحش عند العرب هو البخيل لشدة قبح البخل.

(16) ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة: 284].

المعتاد دائمًا تقديم المغفرة على العذاب في مشيئة الله سبحانه في كل الآيات بالقرآن الكريم، عدا في الآية 40 من سورة المائدة فقدم العذاب على المغفرة، لأنها في المائدة نزلت في حق السارق والسارقة بعد قول الحق: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ..﴾ [المائدة: 38]، فناسب تقديم العذاب على المغفرة.

(17) ﴿.. لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ..﴾ [البقرة: 286]

لماذا وصف الله الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟



قال سيبويه: كسب: أصاب، اكتسب: اجتهد أي فيه اشتغال وحيث إن النفس البشرية تشتهي الشر وتنجذب للسوء، فتكون في تحصيل السوء أعمل وأجد؛ فجعلت لذلك ما نسبه فيه.

ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاشتغال والاجتهاد "كسبت".

(18) ﴿.. وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ..﴾ [البقرة: 143]

حادثة تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في مكة المكرمة حدثت في شهر شعبان من العام الثاني للهجرة، وقد انكشف على إثرها الكثير من المنافقين، وارتد البعض منهم عن الإسلام، ولهذا جعلها الله نعمة كبيرة على المسلمين لكي تتطهر بها صفوفهم من المنافقين قبل أن يلاقوا المشركين في غزوة بدر التي كانت في 17 من رمضان من العام الثاني من الهجرة، أي بعد حادثة تحويل القبلة بأقل من شهر.



سورة آل عمران

مدنية - 200 آية

➤ السورة تدور حول قضيتين كبيرتين:

1- حوار مع أهل الكتاب الذين يخاصمون الإسلام وتمثل في الرد على وفد من نصارى نجران من ستين فردًا، قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة ليناقشوه في أمور العقيدة.

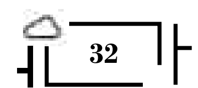
2- تعليق على هزيمة أحد.

الحديث في كلتا القضيتين يأخذ بدايته منفردًا في أول السورة ووسطها، ثم يختلط الحوار والتعليق أواخرها، كأن جهاد الدعوة يقضي بالثبات لمواجهة المعتدين من أهل الكتاب داخليًا، والمشركين خارجيًا.

كان ميلاد عيسى عليه السلام خارقًا للعادة، ليعلم الناس أن الله يحكم قانون السببية ولا يحكمه قانون السببية، وحكت السورة عن الوفد الكنسي الذي قدم يجادل الرسول وطلبه منهم المباهلة - أي يبتهلوا إلى الله داعين باللعنة على من يكذب على الله، وذلك بعد أن رفضوا المنطق السليم، حيث إن آدم عليه السلام كان أولى بالعبادة من عيسى عليه السلام حيث لا أم له ولا أب ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢﴾ [آل عمران: 62].

آيات الله... تكررت عشر مرات في السورة والمقصود بها التوراة والإنجيل والقرآن

فلا يوجد تناقض بين ما نزل على محمد ﷺ وما نزل على أخويه موسى وعيسى عليهما السلام، فالإيمان كما يؤكد القرآن الكريم إيمان بما أنزل علينا وما أنزل من قبلنا.



وفي هذا الصدد تجدر الإشارة لما ورد في السورة عن الآيات المحكمات والمتشابهات

فالمحكم... هو ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا من التفسير.

والمتشابه... هو ما فيه تصريف وتأويل أو عدم ظهور.

ومثال ذلك ما قاله نصارى وفد نجران أن الله تعالى يقول عن نفسه في القرآن «نحن، وإنا»، وذلك للجماعة فهو ثالث ثلاثة - سبحانه وتعالى-. فأمرهم برد هذا إلى المحكم نحو قوله سبحانه وتعالى:

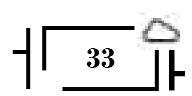
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 1-4]

أو قوله تعالى: ﴿.. إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ..﴾ [النساء: 171]

تجدر الإشارة أيضًا إلى أنه لا تناقض في ذلك ومع ما جاء في أول سورة هود: ﴿.. كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ..﴾ [هود: 1]، وهو يقتضي إحكامًا لآياته كلها، وهذا صحيح، فكلها صحيحة وثابتة ومصونة من الخلل، ولكن يوجد منها آيات ظاهر معناها أي محكمة، وأخرى تقبل التأويل أي متشابهة، وهذه المتشابهات لا تتنافى مع قول الحق في سورة الزمر آية 23: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ..﴾ [الزمر: 23]، فالمقصود هنا أنه يشبه بعضه بعضًا في الصحة، وتأييد بعضه البعض، وعدم التناقض.

وهنا مبدأ مهم...

فضعاف الإيمان يحاولون تشكيك المؤمنين على ما هم عليه، فيتعلقون بالمتشابه من الكتاب ويجعلونه دليلًا على ما هم فيه من الخطأ، ويقومون بتأويله على الوجه الذي يوافق مفاهيمهم الفاسدة، أما العلماء والراسخون في العلم فيعلمون أن المحكم والمتشابه كله من عند الله، فلا يختلف، فيردون المتشابه الذي يحتمل حقًا وباطلًا إلى المحكم الذي لا يحتمل إلا الحق.



في صدر السورة توجيه مهم لأهل الكتاب ولبقية الأمم، فأتباع الأديان الشكلية سوف يلقون العنت إذا فقدوا السيطرة على غرائزهم: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران: 14].

المهم كما بينت السورة هو عدم تجاوز طور الاعتدال في هذه الغرائز الضرورية لقيام الحياة: ﴿۞قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: 15-17].

فالسورة أكدت لأهل الكتاب أن النجاة عقيدة أساسها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عمران: 2]، **ثم تربية تقر الطبائع البشرية بدون إفراط ولا تفريط، وتجعل التبصر بالحياة بصيرة تهدي للآخرة.**

وقد أشارت السورة في أكثر من موضع أن الغنى المفرط هو الذي أغرى اليهود من أهل الكتاب بالهجوم على الإسلام، فالغنى المفرط ونسيان الله يطيشان بالأفراد والجماعات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾ [آل عمران: 10]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾ [آل عمران: 21]

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦﴾ [آل عمران: 196]

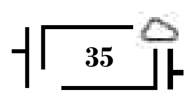


هذا الغنى وهذه القوة لم يسخرهما اليهود لدعم الحق ومحاربة الفسوق، ولكنهم حسبوا أن وحي السماء حكر عليهم، وأصبح كل همهم التشبع من الدنيا والجراءة على الله، ففقدوا أهليتهم وأصبحوا عاجزين عن الارتفاع لمستوى وحي السماء، فلا عجب أن يصرف الله الوحي إلى جنس آخر قد يكون خيرًا منهم: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ٢٦﴾ [آل عمران: 26].

نلفت النظر إلى أن قبل هذه الآية مباشرة كانت حيثيات هذا الحكم، فاليهود تصوروا أنهم آمنون من العذاب فرفعوا راية العصيان: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ٢٤﴾ [آل عمران: 23-24]، وكان الرد الإلهي عليهم تقرير العدالة العامة بين البشر: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ٢٥﴾ [آل عمران: 25]؛ ولذلك تكرر لوم اليهود في السورة، فهم كانوا يعرفون يقينًا أن محمدًا حق، ولكن كراهيتهم له بسبب تحول النبوة عنهم: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ٨٦﴾ [آل عمران: 86].

قبل أن ننصرف إلى حديث السورة عن غزوة أحد، هناك ملحظ أن السورة في عرضها للآيات التي تتحدث عن الحوار مع أهل الكتاب، جاء الحديث عن شيئين:

1- الأطعمة المحللة والمحرمة: ﴿۞كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ٩٣﴾ [آل عمران: 93].



2- **الحج إلى بيت الله الحرام:** ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ۝٩٦﴾ [آل عمران: 96].

فاليهود كأنهم والإسلام يعرض عليهم يقولون كيف نتبع دينًا يستبيح الأطعمة المحرمة علينا مثل الإبل، ولا يتبع قبلتنا، وقد وضح القرآن الكريم من قبل أن هذا التحريم كان طارئًا بسبب بغيهم كما جاء في سورة الأنعام المكية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ۝١٤٦﴾ [الأنعام: 146].

ثم جاء عيسى عليه السلام فأحل لهم بعض الذي حُرّم عليهم، ثم جاء القرآن فعاد بالتشريع إلى أصله، فلم تحرم إلا الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به.

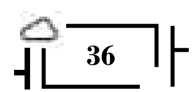
وكذلك الكلام في شأن القبلة، فالبيت الحرام هو قبلة الناس كافة، وإذا كان بيت المقدس قد صار قبلة لظروف عارضة، فقد زالت العوارض، واستُرجع تعظيم البيت الذي كان موضع التقدير من جملة الأنبياء السابقين.

الحديث عن غزوة أحد بدأ من الآية: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ۝١٢١﴾ [آل عمران: 121]، ثم انقطع الحديث فجأة وتحول للحديث عن الربا، وعن الإنفاق في السراء والضراء، وعن الإسراع للتوبة بعد اقتراف ذنب ما، ثم يتصل الكلام بعد ذلك عن نتائج المعركة.

ما السر في هذا الاعتراض؟، الهدف هو تطهير الجبهة الداخلية وإصلاحها، حتى تكون أهلًا للنصر، فالمعارك الدينية هي انتصار لمبادئ طاهرة ومسالك قويمة.

ولهزيمة أحد حكمة واضحة:

فقد فتح نصر بدر الطريق أمام أصحاب المصلحة والمنافقين ليدخلوا في الدين الجديد، لذلك يقول الحق سبحانه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ



يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: 179].

وجاءت الهزيمة من التفريط في اتباع الأوامر الصادرة:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: 152].

وكان التعليق الإلهي على استغراب المسلمين عما أصابهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: 165].

فهزيمتكم هي نصف هزيمة المشركين في بدر ومع هذا فأنتم المسئولون عما أصابكم.

ثم بدأ العزاء البليغ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: 137-139].

فالباطل لا مستقبل له: وانتصار قريش هو انتصار عابر وزائل: والمستقبل للإيمان وحده بشرط صدق النية مع حسن الأداء: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: 140].

والحياة هي صراع دائم بين الخير والشر، وما قام لله معبد أو مسجد إلا بكفاح المؤمنين: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا



ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران: 146-147]

والمعركة حفرت ذكرياتها في نفس الرسول إلى آخر عمره فهو دائم الصلاة على شهدائها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خرجت مع رسول الله إلى خيبر أخدمه، فلمّا قدِم النبي راجعًا وبدا له أُحُد، قال: هذا جبل يحبّنا ونحبه«، رواه البخاري.

ختمت السورة بآيتين:

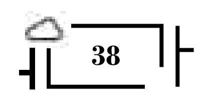
الأولى: عن أهل الكتاب تدعوهم للإيمان بالنبي الخاتم.

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾ [آل عمران: 199]

والثانية: توجيه للمسلمين أن يصبروا على تعاليم الحق، بل وأن يكونوا أصبر من غيرهم، وأن يكونوا في رباط دائم، فهل نلبي النداء؟: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: 200].

- **لطائف من سورة آل عمران:**

(1) ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران: 135].



الإنسان يجب أن يتوب من الذنوب صغيرها وكبيرها أولًا بأول ويكثر من الاستغفار والتوبة من الذنوب قبل بلوغ الأجل فلا توبة وقت الموت: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: 18].

والتوبة النصوح هي أن نقلع عن الذنب ونندم على فعله ونعزم ألا نعود إليه، وصغائر الذنوب تكفرها حسنات الأعمال، مثل إسباغ الوضوء - الصلاة - الصيام - قراءة القرآن - الصدقة - الذكر بعد سماع الأذان - السعي للمساجد - اتباع الجنائز - حسن الخلق.... إلخ.

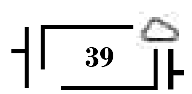
أما الكبائر فلا يصح معها إلا التوبة الصادقة مع رد المظالم إلى أهلها.

(2) ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: 133].

سئل رسول الله : إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار؟ فقال : «**إذا جاء الليل فأين يكون النهار**؟» الطبري (211/5).

(3) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: 102].

أي التقوى التي تحق له، فلا يترك العبد شيئًا مما يلزم فعله، ولا يفعل شيئًا مما يلزم تركه، لما نزلت هذه الآية قالوا يارسول الله من يقوى على هذا؟ وشق عليهم ذلك، فنزلت الآية:﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ..﴾ [التغابن: 16] ونسخت هذه الآية، وهناك رأي آخر وهو أن المقصود فاتقوا الله ما استطعتم حق تقاته.



(4) **غزوات الرسول** :

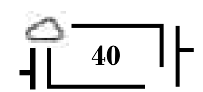
العام الثاني هجريًا	غزوة بدر	وبني قينقاع	سورة الأنفال
العام الثالث هجريًا	غزوة أحد	وحمراء الأسد	سورة آل عمران
العام الرابع هجريًا	غزوة بني النضير		سورة الحشر
العام الخامس هجريًا	غزوة بني قريظة		سورة الأحزاب
العام السادس هجريًا	الحديبية		سورة الفتح
العام السابع هجريًا	خيبر		سورة الفتح
العام الثامن هجريًا	فتح مكة		سورة النصر
العام التاسع هجريًا	تبوك		سورة التوبة

(5) ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ١٣٥﴾ [آل عمران: 135].

عن أبي بكر أن الرسول قال: ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم عند ذكر ذنبه فيتطهر، ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله من ذنبه ذلك إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية.

(6) ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ١٤٣﴾ [آل عمران: 143].

كانوا يتمنون الشهادة ويتمنون يومًا فيه قتال المشركين.



(7) ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: 161].

الغلول أن يأخذ إنسان لنفسه من مال المسلمين شيئًا مما لا حق فيه، وقيل إن سبب نزولها أنه افتُقدت قطيفة حمراء من الغنائم يوم بدر، فقال أحدهم لعل رسول الله أخذها، فنزلت الآية بتنزيه الأنبياء أن يخونوا شيئًا من المغنم.

(8) ﴿.. قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران: 40]

عند البشارة بولد لزكريا ولمريم استغرب كل منهما الحدث، وكان الرد الإلهي لزكريا: ﴿.. قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران: 40] بينما لمريم: ﴿.. قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ ..﴾ [آل عمران: 47]؛ لأن استبعاد زكريا لم يكن لأمر خارق، بل نادر وبعيد الحدوث فحسن التعبير بـ «**يَفْعَلُ**»، أما استبعاد مريم فكان لأمر خارق، فكان ذكر الخلق أحسن، والله أعلم.

(9) ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: 46].

أيُّ معجزة في تكليمه للناس كهلًا؟

المقصود أنه يتكلم بكلام الأنبياء في الحالتين من غير تفاوت بين الطفولة والكهولة، وهي ما بين الشباب والشيخوخة، وفيها كذلك بشارة لمريم ببقاء عيسى عليه السلام إلى مرحلة الكهولة.

(10) **يعتبر بعض الفقهاء أن سورة آل عمران تدور حول الثبات على دين الله، ويمكن تلخيص أسباب ووسائل الثبات في السورة:**

❃ التمسك بالقرآن والسنة: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: 101].



❁ تقوى الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

❁ الاعتصام بالله ولزوم الجماعة: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ..﴾ [آل عمران: 103].

❁ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

❁ ترك الاختلاف: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: 105].

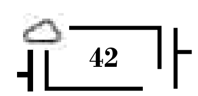
(11) ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181].

قال ابن عباس: حين أنزل الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ..﴾ [البقرة: 245].

قال اليهود: يا محمد أفقير ربك يسأل عباده القرض فنزلت الآية.

(12) ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: 183].

كان دأب بني إسرائيل أنهم كانوا يقربون قربانًا، فيقوم نبيهم يدعو، فتنزل صاعقة من السماء تحرقه، وقد ادعى بنو إسرائيل أن لديهم من الله عهدًا بذلك يفرقون به بين النبي



الحقيقي والكاذب، فكذبتهم السماء، وجاءت الآيات تؤكد أنه لم يتعبد كل الأنبياء بذلك، ولم يجعله الله دليلًا على صدق النبوة.

(13) ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨﴾ [آل عمران: 188].

النبي سأل اليهود عن شيء، فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا من عنده فرحين بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه.

وكما قال ابن عباس ليس المقصود أن كل امرئ يفرح بما أوتي ويحب أن يحمد بما لم يفعل سيكون معذبًا.

(14) **مما جاء في فضل آخر عشر آيات من السورة، أن رسول الله ﷺ قال فيهن «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها»** رواه ابن حبان.

فلنحذر أن نمر على هذه الآيات دون تفكر أو تدبر.

(15) ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران: 142]

لما هنا بمعنى لم.

الآية وما بعدها عتاب لمن وقعت منهم أخطاء في غزوة أحد، والاستفهام من الله استنكاري أن يحسب أحد أن يدخل الجنة وهو مخل بما أمره الله به من الجهاد والصبر عليه.

والمقصود بعلم الله هنا أن يظهر للناس ما سبق علمه عنهم من قبل، فالله سبحانه علمه أزلي والتغيير فيه محال؛ ولكن إعلام الناس لإظهار مَنْ جاهد وصبر وما يترتب عيه هذا الظهور من ثواب وجزاء.

ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى:

﴿.. وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران: 166-167].



سورة النساء

مدنية - 176 آية

➤ المحور الأساسي للسورة هو العلاقات الاجتماعية وضرورة إحكامها:

في الثلث الأول ... حديث عن الأسرة وقضاياها ... وهي المجتمع الصغير.

وفي الثلثين الباقيين ... حديث عن الأمة وشئونها ... وهي المجتمع الكبير.

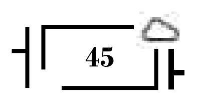
بدأ الحديث في القسم الذي يتحدث عن تعاليم الأسرة عن **اليتامى** وحقوقهم، فأمة الإسلام أمة جهاد يكثر بينهم القتل وبالتالي يكثر اليتامى.

في أثناء الحديث عن اليتامى عرض الحديث عن **الزواج** فأبيح مفردًا ومتعددًا، وهنا يجب توضيح بعض النقاط:

* الرجل كان يكفل اليتيمة ويريد أن يتزوجها فلا يقسط في مهرها طمعًا في مالها، فمن غلب ظنه التقصير في العدل لليتيمة، فليتركها وليتزوج غيرها، فالمباح له حتى أربع زوجات.

* الإسلام في إباحة التعدد لا يشذ عن أي دين، فلم يحرم أي دين التعدد، ولكنه حدد للتعدد دائرة مرسومة ومشروطة بالعدل، فإذا كان الإسلام قد أمر الأعزب الذي لا يستطيع الزواج بالصيام، فكيف يبيح لمتزوج بواحدة أن يطلب أخرى لا يستطيع إعاشتها أو لا يعدل بينهما، ولا يتم ذلك بالإكراه، وتستطيع الزوجة الكارهة للتعدد أن ترفضه وتطلب الخلع.

وتجدر هنا الإشارة إلى نقطة مهمة في قول الحق سبحانه: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ [النساء: 129]، فلا مبرر لهجوم البعض على التعدد وعلى الإسلام استنادًا إلى ﴿.. وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ ..﴾ [النساء: 129] فالعدل نوعان:



1- عدل ظاهري: في النفقة والمادة وهو الشرط في التعدد.

2- عدل معنوي قلبي: في المودة والرحمة، وهو يستحيل التحكم به، وقد روى الترمذي عن عائشةﷺ أن النبي كان يقسم بين زوجاته فيعدل ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك و لا أملك».

➤ ثم ذكرت السورة أحكام المواريث:

فالمرأة لها نصيب في كل تركة بعد أن كانت محرومة قبل الإسلام، وللضعفاء والمساكين نصيب منها، وللرجل أن يوصي بما شاء من ماله في حدود الثلث كما بينت السنة، والرجل مكلف بأعباء أكثر فله ضعف نصيب المرأة، ويلاحظ في آيتي المواريث: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ..﴾ [النساء: 11] حتى قوله تعالى: ﴿.. وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾ [النساء: 12]، أنهما بدأتا بـ ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ..﴾ [النساء: 11] وانتهيتا بـ ﴿.. وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ ..﴾ [النساء: 12]، فكأن الله يريد أن ينبهنا إلى أنه هو الذي يأمر بهذا وهو أحكم الحاكمين، وله حكمة قد لا نعلمها في تحديد أنصبة المواريث والتي يطلق عليها أحكام الفرائض، فلا يجوز الاعتراض عليها أو التعدي على أحكامه، ومن هنا كانت الآية التالية: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء: 13-14].

وعند النظر في أحكام المواريث نجد أن السنة الشريفة قد فصلت المواقف المختلفة في أحوال المواريث والتي قد تصل إلى ثلاثين موقفًا مبنية على الأصول المذكورة في هاتين الآيتين، ولاحظ الفقهاء أن الذكر يرث ضعف الأنثى في أربعة منها فقط، ويتساويان في سبع حالات، وقد ترث الأنثى أكثر من الذكر في إحدى عشرة حالة، (انظر الملحق في

آخر الكتاب عن أمثلة من هذه الحالات)، وروي عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**تعلموا العلم وعلموه الناس، تعلموا الفرائض** (أي أحكام المواريث) **وعلموه الناس، تعلموا القرآن وعلموه الناس، فإني امرؤ مقبوض، والعلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحدًا يفصل بينهما**».

- **ثم الحديث عن حسن العشرة:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ ..﴾ [النساء: 19]

﴿.. وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ..﴾ [النساء: 19]

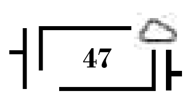
﴿.. وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: 19]

﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١﴾ [النساء: 20-21].

- **ثم محاربة لجريمتين لحماية جو الأسرة الطاهر:**

✵ السحاق: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [النساء: 15].

✵ واللواط: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾ [النساء: 16].



وحضارة الغرب التي تبيح الشذوذ الجنسي هي حضارة منخورة الكيان، ولا مبرر لهذا الفجور إلا غياب قيم الطهر والعفاف التي ينادي بها الإسلام، ومن قبله كل الأديان السماوية.

ولكي تنجح الأسرة في أداء رسالتها لابد من تهذيب الطباع، ولكن في حدود ما أقره الشرع من الرفق في معاقبة الزوجة في حالة النشوز أو أن تأذن في البيت لغريب، وذلك بالوعظ أولًا، ثم المقاطعة، إلى الضرب غير المبرح، والذي يتجنب الوجه كما بينت السنة الشريفة.

وهناك تفاسير مختلفة في فهم كلمة (فاضربوهن) تبتعد عن الفهم المتعارف عليه في إمكانية ضرب الزوجة، وقد أشرنا إليها في آخر لطيفة من لطائف السورة صفحة (61)، فبرجاء مراجعتها.

تحول مجرى الحديث بعد ذلك إلى شرح أحوال طوائف المجتمع أيام البعثة:

اليهود ... المنافقون ... ضعفاء الإيمان

➤ **اليهود:**

* اليهود من الآية 44 حتى الآية 58.

ظن المسلمون في بادئ الأمر أن اليهود وهم أصحاب الوحي الأول سينحازون إليهم في صراعهم مع الوثنية، ولكن اليهود كانوا عند أسوأ الظن وأساءوا للإسلام بكل بما يستطيعون: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴿٤٤﴾﴾ [النساء: 44]، وشرحت السورة ما صنع اليهود بدينهم حتى يحذر المسلمون من أن يفعلوا مثلهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ



سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء: 46]، والتحريف له صور شتى: الميل بالكلام عن معناه الظاهر اتباعًا للهوى، أو الزيادة عن المعنى الوارد، أو ليّ اللسان إلى معنى غير مقصود... إلخ، وشهدوا زورًا أن الوثنية أفضل من الإسلام: ﴿.. وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: 51]، ولذلك جاء لهم اللوم فالشهادة أمانة وأداؤها دين: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: 58].

➤ المنافقون:

هم قوم أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان حتى كشفتهم أعمالهم: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: 60]، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، والطاغوت هو كل ما يصد عن سبيل الله ويخالف شريعته، وهناك موضعان ينكشف فيهما النفاق:

الأول: هو كراهية الحكم بما أنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 65].

والثاني: كراهية القتال في سبيل الله: ﴿.. وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ ..﴾ [النساء: 77].

➤ ضعاف الإيمان:

من الحكمة معالجة هذه الطائفة التي يكثر وجودها في المجتمعات بحكمة حتى لا يتركوا صرعى لمخاوفهم ويفقدوا دينهم، وضربت السورة لهم بعض الأمثلة:

*** رجل تحركه مصالحه الخاصة:**

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا۝٧٢ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا۝٧٣﴾ [النساء: 72-73].

العلاج: تجرد لله وأقبل على المعركة لرفع كلمة الله وحدها: ﴿۞فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا۝٧٤﴾ [النساء: 74].

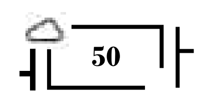
*** رجل يختار من الدين ما يناسبه:**

فهو يصلي ويصوم ويترك المعاصي حتى إذا بلغته فريضة الجهاد اضطرب وجزع: ﴿.. فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ ..﴾ [النساء: 77].

العلاج: الآجال محددة المواقيت ولكل أجل كتاب.

*** التشاؤم من بعثة الرسول:**

﴿.. وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ..﴾ [النساء: 78].



العلاج: ﴿.. قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا٧٨﴾ [النساء: 78]، فأغلب ما يصيب الناس من شرور هو لسيئات اقترفوها: ﴿.. وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ..﴾ [النساء: 79]، ولكن الله قد يبتلي بما يرفع به الدرجات كما ورد عن الرسول: «**إذا سبقت للعبد منزلة لم يبلغها بعمله سلط عليه بلاء يرفعه إليها بصبره وتسليمه**».

*** صنف آخر يبدي الرأي فيما لا يعرف:**

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ ..﴾ [النساء: 83]، من المآسي أن يشتغل العامة بشئون الدولة دون دراية، لماذا لا تترك الأمور إلى أربابها، ﴿.. وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا٨٣﴾ [النساء: 83]، إن الله ذاته يأبى سبحانه أن يسأل عنه من يجهله ﴿.. ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا٥٩﴾ [الفرقان: 59]، **وكما قال الشاعر:**

يا باريَ القوسِ بريًا ليسَ يُحسِنُه　　　لا تظلمِ القوسَ أعطِ القوسَ باريها.

وقد أمر الله رسوله ألا يكترث للضعفاء ومرضى القلوب وأن يتصدى لمقاتلة المعتدين حتى يكسر شوكتهم: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا٨٤﴾ [النساء: 84]، ومن شاء انضم إلى المؤمنين يقوي شوكتهم، وهذا يسمى شفاعة: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا٨٥﴾ [النساء: 85]، ومن حاسن المسلمون حاسنوه واستقبلوه ببشاشة، ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا٨٦﴾ [النساء: 86].

قصة من غرائب الوحي الإلهي في ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب، رجل ميت الضمير ينتمي للإسلام اسمه طعمة، ارتكب جريمة سرقة، وذهب بما سرق وأخفاه عند جاره اليهودي، وجاء قفاة الأثر وقرروا أن التهمة محصورة بين أحد البيتين، وأخيرًا استخرجوها من بيت اليهودي، اليهودي قال صادقًا إن طعمة أودعها عنده، ولكن طعمة وقومه أنكروا مستغلين أن المتهم يهودي، أي من أعداء الإسلام، وألصقوا التهمة باليهودي، وحسب النبي أن طعمة وقومه صادقون إحسانًا للظن بهم، ومال إلى تصديقهم وإدانة اليهودي، فنزل الوحي الأعلى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ۞لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ

مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴿١١٥﴾﴾ [النساء: 105-115]، **إحدى عشرة آية تحق الحق وتنصف رجلًا من خصوم الإسلام، وتثبت براءته من تهمة تتضافر القرائن لإلصاقها به... ما أعظم هذا الدين!!.**

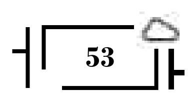
في السورة حسم قاطع لقضية الشرك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴿١١٦﴾﴾ [النساء: 116]

والشرك قد يكون أن تحسب أن للعالم أكثر من خالق، أو أن تلجأ لغير الله في التشريع والتحليل والنذر.. إلخ (مثل اليهود)، ومع الحضارة الحديثة ظهر إنكار الألوهية أصلًا وعبادة الهوى ونسيان الرب، والسورة تشير إلى أن المباهاة بالتوحيد وعدم الشرك بالله لا تكفي: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ ..﴾ [النساء: 123]، **وهذه الآية روي عن السيدة عائشة ﷺ أنها اعتبرتها أخوف آية في القرآن الكريم: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا١٢٣﴾ [النساء: 123].**

وقد أشادت السورة من قبل إلى ضرورة طاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴿٥٩﴾﴾ [النساء: 59].

وهنا ملحظ مهم، فلا حجة هنا في الطاعة المطلقة لأولي الأمر، فالسياق القرآني لم يقل أطيعوا أولي الأمر، ولكن طاعة أولي الأمر معطوفة على وأطيعوا الرسول، والدليل على



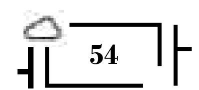
ذلك أن باقي الآية يقول: ﴿.. فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: 59]

تجري خواتيم السورة لتصدر أحكامًا حاسمة مع كل الطوائف التي سبق الحديث عنها..

فالكافرون والمنافقون لهم سوء العقبى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨﴾ [النساء: 167-168].

ونودي اليهود بنداء يستحق التأمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾ [النساء: 170]، فقد ناداهم الحق نداء مجردًا من كل انتساب استخفافًا بهم، فلم يعتبرهم أهل كتاب لأنهم شابهوا عباد الأصنام، بل زادوا عليهم.

وتلا ذلك نداء للنصارى الذين غلوا في دينهم فابتعدوا عن الصراط المستقيم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ [النساء: 171-172].



■ من لطائف سورة النساء:

(1) عن عبد الله بن مسعود: إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها:

أ - ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء: 31].

ب - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: 40].

ج - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: 48].

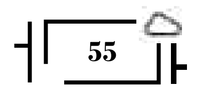
د - ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النساء: 64].

هـ - ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: 110].

(2) ﴿.. وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ..﴾ [النساء: 1].

في المصحف كلمة (والأرحامَ) بالنصب معطوفة على الله أي واتقوا الله واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وفي قراءة أخرى (والأرحامِ) بالجر معطوفة على الضمير في (به) أي واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ أي يسأل بعضكم بعضًا مستعطفًا بالله وبالرحم - أي القرابة - أن يقضي إليه حاجته.

وصلة الرحم واجبة وقطيعتها محرمة، وقد صح عن النبي أنه قال لأسماء وقد سألته: «صِلِي أُمَّك»، فأمرها بصِلتها وهي كافرة.



(3) ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾ [النساء: 17].

الذي على الله في التوبة هو قبولها، أما الوجوب بالتوبة فهو على العبد.

والمراد بالجهالة أي الجهالة بقدر قبح المعصية وسوء عاقبتها، وليس بكونها معصية، والدليل أن من يعمل سوءًا بغير أن يجهل أنه سوء ثم يتوب عنه توبة نصوحًا، قبلت توبته، والله أعلم.

والمراد بقوله تعالى: ﴿.. ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ ..﴾ [النساء: 17] في نفس الآية، أي يتوبون قبل معاينة الموت، بدليل قوله تعالى بعدها: **حتى إذا جاء أحدهم الموت**.

(4) ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥﴾ [النساء: 25].

أي من ليس له مال يقدر به على الزواج من امرأة حرة مسلمة، يحل له أن يتزوج أمة مسلمة مملوكة لغيره (ولا يجوز الزواج من أمة غير مسلمة).

فإذا أدوا إليهن مهورهن بالمعروف شرعًا بحسب التراضي، فالإماء حالهن الآن أنهن عفيفات غير زانيات علنًا ولا سرًا (ذات الخدن هي من تزني بواحد سرًا حيث كان العرب تعيب الإعلان بالزنا دون السر)، وإذا صارت الإماء محصنات بالزواج فعليهن بالزنى نصف عقوبة الحرائر أي خمسين جلدة فقط، وذلك الزواج بالأمة المملوكة رخصة لمن خاف

الوقوع في الزنا، وإن كان الصبر عن الزواج من الإماء أفضل، حرصًا على حرية النسل حيث إن في الزواج من الأمة إرقاقًا للولد.

تجدر الإشارة إلى أن الإسلام أقر الدول الحديثة والأمم المتحدة فيما تعاهدت عليه عام 1952 من إنهاء الرق في العالم، فلا مجال للتحايل على الدين وادعاء البعض على من يريدون نكاحهم ممن يعملون عندهم أنهن ملك يمين لهم، فهذا ليس من الإسلام في شيء.

(5) ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴿٢٨﴾﴾ [النساء: 28].

الإنسان ضعيف في قدرته على مقاومة شهواته، فأراد الله التخفيف عنه، فأباح له ما أباح، كما بين في الآيات السابقة، كي لا يستجيب للذين يتبعون الشهوات بقضاء شهواتهم بالزنا دون النظر في العواقب، ولا فيما أحل الله وحرم، ويريدون أن يميل معهم المسلمون فيفعلوا مثلهم دون التقيد بما شرعه الله.

(6) ﴿.. فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ ..﴾ [النساء: 43].

الصعيد هو وجه الأرض، سواء كان عليه تراب أو لم يكن؛ لأنه نهاية ما يصعد إليه من الأرض، وهذا من باب التخفيف؛ فليس صحيحًا ما قيل إن الصعيد هو التراب خاصة فلا يجزئ التيمم إلا بالتراب فقط.

(7) ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴿٦٩﴾﴾ [النساء: 69].

عن عائشة أن رجلًا جاء للرسول، فقال يا رسول الله: «إنك لأحب إليّ من نفسي ومن ولدي، وإني لأكون في بيتي فأذكرك فلا أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك في الجنة مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت ألا آراك، فلم يرد عليه النبي حتى نزل جبريل بهذه الآية السابقة.

(8) ﴿.. إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء: 76].

المراد أن كيد الشيطان ضعيف بالنسبة إلى نصرة أولياء الله، أما كيد النساء الذي وصف بأنه عظيم في سورة يوسف في الآية 28، فهو عظيم بالنسبة إلى الرجال.

(9) ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨﴾ [النساء: 148].

كالسباب والشتائم لا يحبها الله، حتى ولو كان نسبها إلى المشتوم صحيحًا، ولكن من ظلم فيجوز له أن يتكلم بالسوء في جانب من ظلمه، وليس للمظلوم أن يزيد فيما يجهر به من السوء على مقدار حقه وإلا كان معتديًا، والعفو عن السوء أفضل، وفيه اقتداء بالله سبحانه وتعالى فإنه يعفو مع القدرة، وعلى ذلك فالعفو ممن هو قادر على أخذ حقه أفضل، أما العاجز فلا قيمة لعفوه.

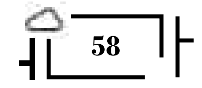
(10) الفرق بين السيئة والذنب:

قال الله تعالى: ﴿.. إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ..﴾ [هود: 114]، ولم يقل يذهبن الذنوب.

وقال عز وجل: ﴿.. إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ..﴾ [الزمر: 53]، ولم يقل يغفر السيئات جميعًا.

ما السبب؟

تعريف الذنب هو ما نضرّ به أنفسنا في حق من حقوق الله مثل الصوم والزكاة والصلاة وأي شيء بيننا وبين الله، وهذا يغفره الله لنا عندما نستغفره ونتوب إليه توبة صادقة ألا نعود إليه.



أما السيئة فهي ما ترتكبه في حق أي مخلوق، وتشمل جميع المخلوقات مثل الغيبة، والاعتداء، والسرقة، وتلويث البيئة... إلخ، أو أي شيء تضر به غيرك، مما يلزمك رد المظلمة، أو تعتذر فيسامحك، ولابد من أن تعمل عملًا صالحًا (حسنات) مقابل السيئات ليكفرها الله عنك، ولهذا نقول في الدعاء:«**اللهم اغفرلنا ذنوبنًا، وكفرعنا سيئاتنا**»، والله أعلم.

(11) قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ٢١﴾ [النساء: 21].

الإفضاء هنا يراد به ما يكون بين الزوجين في خلوة، ولكنه يشمل أيضًا العواطف والمشاعر والأسرار والهموم، ففي كل اشتراك في ألم أو أمل إفضاء، وفي كل لمسة جسم إفضاء، وفي كل التقاء في وليد إفضاء.

وبعد كل هذا كيف يأخذ الرجل بعض ما دفع؟! لابد وأن يخجل ...! والاستفهام يراد به هنا الإنكار والتوبيخ على ظلم الزوجة.

(12) قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٣٣﴾ [النساء: 33].

كان الرجل قبل الإسلام يعاقد الرجل فيقول: أرثك وترثني، وهو الشيء الذي نسخ بقول الله تعالى: ﴿.. وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ..﴾ [الأحزاب: 6]، وهو ما أكدته الآية: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ ..﴾ [النساء: 33]، أي جعلنا لكل إنسان ورثة من أقاربه يلون ميراثه، أما الحليف - الذين عقدت أيمانكم - الذي كان يرث من قبل فقد بقي له الوصية - وليس الميراث - وهو ما وصفه الحق سبحانه بالمعروف،

لقوله تعالى: ﴿.. إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ [الأحزاب: 6].

(13) ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾ [النساء: 85]

ما الفرق بين الكفل والنصيب:

الكفل في اللغة: هو المثل أي الجزء المساوي.

أما النصيب: فمطلق غير محدد بشيء معين، وحيث إن السيئة تجازى بمثلها:

﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ ..﴾ [غافر: 40]

فقال عز من قائل عن صاحب الشفاعة السيئة أن له الكفل أي المثل لما عمل.

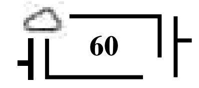
أما صاحب الشفاعة الحسنة فله نصيب منها.

والنصيب لا تشترط فيه المماثلة فالحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء وهذا من عظيم فضله سبحانه وتعالى.

(14) ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ..﴾ [النساء: 58]

هي الآية الوحيدة التي أنزلت على الرسول ﷺ داخل الكعبة..

ذلك بأنه عندما دخل مكة يوم فتحها في العام التاسع من الهجرة طلب من عثمان بن طلحة حاجب الكعبة أن يعطيه مفتاح الكعبة، فأبى عثمان وصعد إلى سطح الكعبة، فأرسل ﷺ بلالًا فأحضر منه المفتاح وفتح ﷺ الكعبة ودخلها فحطم ما بها من أصنام، ثم نزلت الآية يأمر فيها الله رسوله ﷺ أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة، فلا يزال مفتاح الكعبة إلى يومنا هذا في بني شيبة.



نذكر هنا أن تحية بيت الله الحرام لمن يدخله أن يصلي ركعتين في كل ركن من أركانه الأربعة، رزقنا الله وإياكم هذا الفضل الكبير.

(15) ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ **وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ** وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء: 162]

لماذا جاءت كلمة والمقيمين منصوبة وهو معطوفة على ما قبلها وهو مرفوع "الراسخون والمؤمنون"؟

في علم اللغة يعرف ذلك بالقطع في النعوت والمتعاطفات، والقطع يأتي بالنصب أو بالرفع على ما كان مرفوعًا أو منصوبا، فتقول مررت بزيد العالم أو العالمُ أو العالمَ.

أما في حالة العطف فيقطع الأمر الأهم والأخص في المدح فتم نصب المقيمين الصلاة التي هي أعلى العبادات رغم أنها معطوفة على مرفوع.

أما باقي المعطوفات فهي مرفوعة أي لم يحدث فيها قطع والله أعلم.

(16) ما هو المقصود بكلمة :﴿.. وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ..﴾ [النساء: 34] في القرآن الكريم؟؟

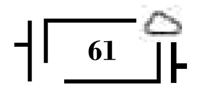
لا يمكن أن يُتصوَّر أن يأمر الله بالضرب لشريكة الحياة بمعنى: الجلد ..

وهذا التفسير يتعقب كلمة (ضرب) في القرآن ليأتي بمعنى جديد فيقول:

كنتُ على يقين أن ضرب النساء المذكور في القرآن لا يمكن أن يعني ضربًا بالمعنى والمفهوم العامّي؛ لأنّ دينًا بهذه الرّفعة والرُّقي والعظمة (الدين الإسلامي) والذي لا يسمح بإيذاء قطة، لا يمكن أن يسمح بضرب وإيذاء وإهانة الأم والأخت والزوجة والابنة.

يتابع المفسِّر كلامه ويقول:

المعنى الرائع لكلمة (فاضربوهن) في القرآن ويفسّرها ولكن ليس كما يفسرها الآخرون ...



ماذا تقول الآية؟!!

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: 34].

«من خلال المعرفة البسيطة في اللغة العربية وتطوّرها وتفسيرها فإن العقوبة للمرأة الناشز أي المخالفة نراه في هذه الآية عقوبة تواترية تصاعدية : بالبداية تكون بالوعظ والكلام الحسن والنصح والإرشاد».

فإن لم يستجبن:

فيكون الهجر في المضاجع أي في أسرّة النوم وهي طريقة العلاج الثانية ولها دلالتها النفسية والتربوية على المرأة والهجر هنا في داخل الغرفة.

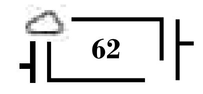
أما (واضربوهن) فهي ليست بالمدلول الفعلي للضرب باليد أو العصا لأن الضرب هنا هو المباعدة أو الابتعاد خارج بيت الزوجية.

ولما كانت معاني ألفاظ القرآن تُستخلص من القرآن نفسه، فقد تتبعنا معاني كلمة (ضرب) في المصحف وفي صحيح لغة العرب، نجد أنها تعني في غالبها المفارقة والمباعدة والإنفصال والتجاهل .. خلافًا للمعنى المتداول الآن لكلمة (ضرب).

فمثلا: الضرب باستعمال عصا يستخدم له لفظ (جلد)، والضرب على الوجه يستخدم له لفظ (لطم)، والضرب على القفا (صفع)، والضرب بقبضة اليد (وكز)، والضرب بالقدم (ركل).

وفي المعاجم وكتب اللغة والنحو لو تابعنا كلمة ضرب لنرى مثلًا في قول:

(ضرب الدهر بين القوم) أي فرّق وباعد بينهم.



و(ضرب عليه الحصار) أي عزله عن محيطه.

و(ضرب عنقه) أي (فصلها عن جسده).

فالضرب إذن يفيد المباعدة والانفصال والتجاهل.

وهنالك آيات كثيرة في القرآن تتابع نفس المعنى للضرب أي المباعدة:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴿٧٧﴾﴾ [طه: 77]. أفرق لهم بين الماء طريقًا.

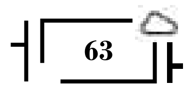
﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: 63]. أي باعد بين جانبي الماء.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ..﴾ [البقرة: 273]. أي مباعدة وسفر وهجرة إلى أرض الله الواسعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: 20]. أي يسافرون ويبتعدون عن ديارهم طلبًا للرزق.

﴿.. فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: 13]. أي فُصِل بينهم بسور.

ويُقال في الأمثال: (ضرب به عُرض الحائط) أي (أهمله وأعرض عنه).



وذلك المعنى الأخير هو المقصود في الآية.

أما الآية التي تحض على ضرب الزوجة ﴿.. فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ..﴾ [النساء: 34]:

فالآية تحض على الوعظ ثم الهجر في المضجع والاعتزال في الفراش، أي لا يجمع بين الزوجين فراش واحد، وإن لم يُجْدِ ذلك ولم ينفع.

فهنا (الضرب) بمعنى المباعدة والهجران والتجاهل، وهو أمر يأخذ به العقلاء من المسلمين، وأعتقد أنه سلاح للزوج والزوجة معًا في تقويم النفس والأسرة والتخلص من بعض العادات الضارة التي تهدد كيان الأسرة التي هي الأساس المتين لبناء المجتمع الإسلامي والإنساني.

ولدينا كلمات نمارسها أيضًا:

كـ (أضرب عن الطعام) أي (امتنع عنه وتركه)

(والإضرابات في الجامعات أو المعامل) مثلًا فكل معناها هي:

(ترك العمل أو الدراسة أو إهمالهما).

سبحان الله ..!!



سورة المائدة

مدنية - 120 آية

➤ الجو العام الذي نزلت فيه سورة المائدة:

لم يبق على العناد إلا اليهود والنصارى ...

في سورة المائدة - التي نزل بعضها بعد بعض سورة النساء - اتسعت المجادلة مع النصارى، واختُصرت المجادلة مع اليهود، بعكس سورة النساء، يدل ذلك على أن أمر اليهود آخذ في التراجع، وأن الاختلاط مع النصارى أصبح أكثر من ذي قبل، وفي هذا جاء حديث ابن عمر في البخاري: "وكان ما حول الرسول قد استقام له، ولم يبق إلا ملك غسان بالشام"، وهم نصارى.

من أواخر ما نزل من القرآن متصلًا بالتشريع، فلا يوجد فيها آيات منسوخة؛ ولذلك قالت فيها السيدة عائشة ﵂: ما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه..

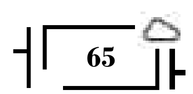
➤ تسمى سورة العقود..

وهي عقود عقدها الله على عباده، وألزمهم بما فيها من الأحكام، وطالبهم بالوفاء بعقد الله عليهم وبعقدهم بعضهم من بعض، ولهذا نجد في السورة نداءات كثيرة تعقبها إفادات وتوضيحات تحتاج إليها الجماعات حتى تستقيم على منهاج الله:

16 مرة نداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ..﴾ [المائدة: 1]:

1- ﴿.. أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ..﴾ [المائدة: 1]

2- ﴿.. لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ..﴾ [المائدة: 2]



3- ﴿.. إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ..﴾ [المائدة: 6]

4- ﴿.. كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ..﴾ [المائدة: 8]

5- ﴿.. ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ..﴾ [المائدة: 11]

6- ﴿.. ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ..﴾ [المائدة: 35]

7- ﴿.. لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ..﴾ [المائدة: 51]

8- ﴿.. مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ..﴾ [المائدة: 54]

9- ﴿.. لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا ..﴾ [المائدة: 57]

10- ﴿.. لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ..﴾ [المائدة: 87]

11- ﴿.. إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ ..﴾ [المائدة: 90]

12- ﴿.. لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ..﴾ [المائدة: 94]

13- ﴿.. لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ ..﴾ [المائدة: 95]

14- ﴿.. لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ..﴾ [المائدة: 101]

15- ﴿.. عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ..﴾ [المائدة: 105]

16- ﴿.. شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ..﴾ [المائدة: 106]

خمس مرات نداء لأهل الكتاب... في الآيات 15، 19، 59، 68، 77 .

مرتين نداء للنبي خاصة.. في الآيات 41، 67.

توحيد الله هو العهد الذي أخذه الله على العباد من جميع الأديان، ولا يحق لأحد أن ينقض هذا العهد، وتكشف السورة موقف أهل الكتاب من قضية التوحيد:

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ ..﴾ [المائدة: 17]، ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ



خَلَقَۚ ..﴾ [المائدة: 18]، والسورة تشير بوضوح أن مزاعم أهل الكتاب بأحقيتهم في حب الله، وأنهم شعب الله المختار، وأن الله خلق العالم من أجلهم، هي مزاعم كاذبة، فالإيمان والعمل الصالح وحدهما هما أساس القبول الأعلى.

وقد ساقت السورة قضيتين متتاليتين تكشفان أن أصحاب الدعاوى لا وزن لهم ما لم تؤيدهم البينات:

- **قصة بني إسرائيل عندما كُلّفوا بمقاتلة الجبارين:** (من الآية20 إلى الآية 26).
- **وقصة ابني آدم اللذين قتل أحدهم الآخر:** (من الآية 27 إلى الآية 31).

وختامها إنما يتقبل الله من المتقين، وهو المعنى المقصود، وهو ما أشارت إليه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ٣٥﴾ [المائدة: 35]، والوسيلة المطلوبة هي الأعمال الصالحة، وهي تحتاج إلى عزيمة تقهر وساوس النفس والشيطان، وهذا هو الجهاد الأعظم المؤدي للفلاح.

➤ في قصة بني إسرائيل ملحظ مهم:

اليهود يحتجون بالآية رقم (21) سورة المائدة بأحقيتهم في فلسطين: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ٢١﴾ [المائدة: 21]، والحق إن وراثة الأرض والدين إنما يجعلها الله على أساس التدين والإيمان، وليست على أساس التاريخ أو النسب، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ١٠٥﴾ [الأنبياء: 105]، فالسُنْة الربانية أن الله يورث الأرض لمن يشاء: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ١٢٨﴾ [الأعراف: 128]، فالله كتب لهم فلسطين



وأورثها لهم عندما كانوا هم المؤمنين ومن في فلسطين القوم الجبارين الكافرين، ولكن لما ابتعد بنو إسرائيل عن الدين وكفروا بأنعم الله، أي أصبحوا هم الكافرين، فقدوا أي حق فيها، وأورثها الله للمسلمين، وعلى نفس المنوال أورث الله اليهود (لما كانوا مؤمنين) الأرض بعد أن أهلك فرعون وقومه (كافرين): ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ۝٥٨ كَذَٰلِكَۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ۝٥٩﴾ [الشعراء: 57-59].

➤ قضية الحكم بما أنزل الله:

الوحي الإلهي هو مصدر التشريع في كل الأديان السماوية، ولكن في بعض الأحيان يغلب الهوى، فيحيد الناس عن ما شرعه الله، فيؤاخذ الضعيف ويسامح الشريف ويحدث ابتعاد تدريجي عن شرع الله، حتى إننا نجد الآن في بلاد عديدة هناك إباحة للشذوذ الجنسي، وغض الطرف عن الزنا طالما كان بالتراضي، والمسلمون مطالبون بإقامة حدود الله داخل سلطانهم، ويترك لأهل الأديان الأخرى إقامة شعائرهم دون المساس بهم، ولكن يبقى سؤال مهم:

➤ هل جوهر الإسلام هو فقط في الحلال والحرام؟

هناك اعتقاد خاطئ أن شرع الله والحكم بما أنزل الله هو فقط في تطبيق الحدود في السرقة والحرابة والزنا، أي قطع يد السارق وجلد أو رجم الزاني وقتل المحارب لله ورسوله، لو نظرنا إلى آيات الحدود فهي لا تزيد عن تسع آيات، وآيات التشريع في الحدود والحج والعمرة والصيام والجهاد والزواج والطلاق والأحوال الشخصية وغيرها، كل آيات التشريع بما فيها الحدود لا تتعدى المائتي آية من عدد آيات القرآن الكريم البالغة 6236 آية، **إذن فجوهر الدين وما أنزل الله ليس التشريع فقط، ليس فقط في الحلال والحرام، ولكن جوهر الدين أنه قوة روحية تضيء العقل والمشاعر، وتحرض الإنسان على العمل**

والجهاد من أجل كسب الرزق والارتقاء بنفسه وأهله ووطنه، والاستغناء عن الغير بقدر الإمكان في عزة نفس، وتدفع إلى المحبة الحقيقية في الله، والإحسان في كل ما يقوم به من عمل، وفي الوقت ذاته تدفعه إلى تحسين علاقته مع خالق ومسير الكون.

جوهر ما أنزل الله هو الأخلاق والروحانيات والالتجاء إلى الله وإعطاء كل ذي حق حقه.

إذن فالحقوق قبل الحدود، وأي مشروع يطالب بالحكم بما أنزل الله ويوصف بأنه إسلامي يجب أن يوفر الحد الأدنى للحياة الكريمة للأفراد قبل أن يطالب بتطبيق الحدود، ولنا في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أسوة حسنة حين أوقف قطع يد السارق في عام الرمادة، وهو العام الذي شهد مجاعة عامة بين المسلمين.

وفي سورة قريش يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفِۭ۝٤﴾ [قريش: 3-4]، قدم سبحانه الطعام (الاقتصاد) على الأمن من الخوف، بمعنى إذا لم نجد رغيف عيش فلن يكون أمنٍ ولن يكون دين، وكما قال الإمام على كرم الله وجهه: «ما دخل الفقر بلدًا إلا قال له الكفر خذني معك».

وفي سورة المائدة إشارة إلى موقف أهل الكتاب من شرائع التوراة، حيث حرفوها ولم يلتزموا بها، ولجأوا إلى الرسول الذي حكم بينهم بالحق الذي جاء في كتابهم: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ..﴾ [المائدة: 41]

ولهذا كانت الآية الحاسمة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ



ٱلْحَقِّۚ ..﴾ [المائدة: 48]، **فالدين قد اكتمل في الإسلام عقيدة وشريعة وتضمنت رسالته أسباب البقاء إلى آخر الدهر**، فكأن تراث أهل الكتاب دواء قد انتهت فترة صلاحيته، وقد أشار لهذا المعنى الشيخ رشيد رحمه الله في تفسيره الشهير (المنار): إن حجة الله تعالى إكمال الدين بالقرآن كما ورد في سورة المائدة، وختم النبوات بمحمد وجعل شريعته عامة ودائمة، **لا تظهر هذه الحجة إلا ببناء هذا الدين على العقل، وعلى أساس الاجتهاد فيما لا نص فيه**، مع وجود أهل الذكر كسياج آمن يمنع الشطط في الاجتهاد، فمن يمنع الاجتهاد يكون قد منع حجة الله تعالى وجعل إمكانية تطبيق شرع الله في كل زمان غير صالح للناس.

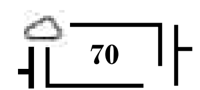
➤ قضية عدم موالاة اليهود والنصارى:

﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ۝٥١﴾ [المائدة: 51].

والسياق القرآني يحدد أوصاف هؤلاء الذين نُهينا عن موالاتهم:

1- من يكره شريعة الإسلام ويفضل شريعة الجاهلية: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ ..﴾ [المائدة: 49]

2- من يميل بقلبه إلى أعداء الإسلام ويخون المسلمين إذا سنحت الفرصة: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ ..﴾ [المائدة: 52]؛ ولذلك نجد أن دولة الإسلام لم تفكر في تجنيد أهل الذمة في الحروب واكتفت بمساهمتهم المالية.



3- من يسخر من شعائر الإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [المائدة: 57]، إن أمة الإسلام أمة تحترم نفسها ومن حقها أن يحترمها الآخرون، ولكن صعب على متعصب يعتنق الأخطاء أن يرى غيره يعتنق الصواب: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾ [المائدة: 59].

وتحدثت السورة في نحو أربع صفحات عن تناقض أهل الكتاب وضرورة استنكار ما يفعلون:

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾ [المائدة: 62-63].

فالفرق شاسع بين أن يكون الخطأ زلة قدم وبين أن يكون تقليدًا متبعًا وعرفًا سائدًا، والغريب أن أهل الكتاب تميزوا ببرود غريب أمام المعاصي من قديم الزمن، وحتى الآن تراهم يهادنون الإلحاد ويكرهون الإسلام بينما يصلون لمرضى الإيدز، وغاية جهدهم استعمال الواقي الذكري وليس الحض على عدم الزنا، ولن يكون أهل الكتاب أهل دين إلا إذا احترموا ما بقي لديهم من التوراة والإنجيل، وضموا إلى ذلك ما جاء به الإسلام: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾ [المائدة: 68].

وانطلقت السورة تستعرض العلاقة بين الإسلام وأهل الكتاب:

﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ۝٨٣﴾ [المائدة: 82-83].

انظر إلى الحب والود للذين قالوا إنا نصارى، وهم قوم أعلنوا إيمانهم وقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ۝٨٤﴾ [المائدة: 84].

وردت بعد ذلك آيات في بناء الدولة الناشئة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ۝٨٧﴾ [المائدة: 87]، فهي تنهى عن المادية والرهبانية تحذيرًا لهم عن الوقوع فيما وقع فيه من قبلهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۝٩٠﴾ [المائدة: 90]، آيات حاسمة في تحريم الخمور والقمار...

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ ..﴾ [المائدة: 95، حماية المشاعر المقدسة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ۝١٠١﴾ [المائدة: 101]، رفض الجدل الديني واللغط.



■ **لطائف من سورة المائدة:**

(1) ﴿.. وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ ..﴾ [المائدة: 5]

أي إن ذبائحهم حلال، فقط نذكر اسم الله عليها عند أكلها، وقد أكل النبي الشاة التي أهدتها إليه اليهودية كما ورد في الصحيح، لكنّ أهل الأوثان والملحدين لا تؤكل ذبائحهم، (وفي هذا تذكير للمسافرين إلى بلاد الشرق الأقصى على سبيل المثال).

(2) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ..﴾ [المائدة: 6]

روي عن أنس بن مالك أن النبي كان يتوضأ قبل كل صلاة، فلما سئل عما تفعلون، قال كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نُحدث.

(3) ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ..﴾ [المائدة: 16]

أي يهدي به الله من علم أنه يريد أن يتبع رضوانه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ..﴾ [العنكبوت: 69]   أي والذين أرادوا سبيل المجاهدة لنهدينهم سبيل مجاهدتنا.

(4) ﴿.. وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ..﴾ [المائدة: 44].

وصفه الله بالكفر ﴿.. فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ٤٤﴾ [المائدة: 44]، **ثم بالظلم** ﴿.. فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ٤٥﴾ [المائدة: 45]، **ثم بالفسوق** ﴿.. فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ٤٧﴾ [المائدة: 47].

- فهو كافر لأنه لم يحكم بشريعة الله إنكارًا لها.

- وهو ظالم لنفسه لأنه تعدى الحدود، وحكم بضد شريعة الله مع اعتقاده أنها حق.

- وهو فاسق لأنه خرج عن طاعة الله، أو جاهل بالحق فلم يحكم شريعة الله فيما يفعل.

(5) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: 55]

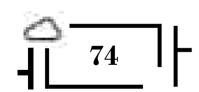
المراد بالركوع هنا الخشوع والخضوع لله بدون تكبر على الفقراء.

(6) ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: 67].

عن عائشة ﵂ أن رسول الله كان يُحرس حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رأسه من القبة وقال:«**أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله**»، (الحراسة كان موضعها عند أسطوانة الحرس في الروضة الشريفة).

(7) ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: 93].

لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمن مات منا وهو يشربها، وماتوا وهي في بطونهم، فكان الجواب أنهم ماتوا قبل تحريمها، فلم يكن عليهم في شربها إثم، وكانوا أتقياء.



(8) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ۝١٠٦ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٧ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝١٠٨﴾ [المائدة: 106-108].

هذه الآيات الثلاث اعتبرها علماء اللغة أصعب ما في القرآن إعرابًا ونظمًا وحكمًا.

الحاصل فيها أن من حضره الموت وكان في سفر أشهَدَ على وصيته عدلين من عدول المسلمين، فإن لم يجد شاهدين مسلمين جاز له أن يُشهِد رجلين كافرين على وصيته، ولكن إذا ارتاب بهما ورثة المتوفى، فإنهما يحلفان بالله أنهما شهدا بالحق وما كتما الشهادة ولا خانا الأمانة، فإن تبين بعد ذلك خلاف ما أقسما عليه، أو ظهر عندهما شيء من تركة الميت، حلف رجلان من الورثة وعمل بذلك.

(9) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٠٥﴾ [المائدة: 105].

بعض الناس يتخذها رخصة لعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روى الترمذي عن الرسول أنه قال في هذه الآية: «**بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، وللعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم**».

(10) ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ١١٨﴾ [المائدة: 118].

قال ذلك سيدنا عيسى عليه السلام على وجه الاستعطاف، وهو بهذا يبرؤ من قدرته في الحكم على أمته يوم القيامة، بل الحكم فيهم لله وحده، وقد ورد أن النبي صلى بهذه الآية ليلةً حتى الصباح يرددها.

(11) ﴿۞جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ ..﴾ [المائدة: 97]

أي جعلها الله سببًا لقيام مصالحهم الدينية والدنيوية، فالدينية الحج وأداء المناسك والعبادات وصحة الصلاة باستقباله...، وأما المصالح الدنيوية فقد جعله الله حرمًا آمنًا لمن لجأ إليه وفيه تحل الطمأنينة ومشاعر الأمن والسلام.

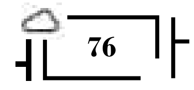
وفي الصحيحين أن رسول الله قال يوم فتح مكة: » إن هذا بلد حرام، لا يُقطَع شجره ولا يُنفَّر صيده ولا تُلتَقط لقطته إلا لمُعرِّف.«

(12) أربعة أسرار في سورة المائدة:

(أ) الحبيب لا يعذب حبيبه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ ..﴾ [المائدة: 18].

(ب) المعصية سبب في نسيان العلم: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ ..﴾ [المائدة: 13].

(ج) التدبر والتفهم لآيات القرآن أدعى إلى حصول الإيمان: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ١١٨﴾ [المائدة: 118]، فقد روي أن الرسول قام ليلة كاملة يرددها حتى أصبح.



(د) في آية الوضوء سبعة أصول كلها مثنى في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]

طهارتان: الوضوء والغسل.

مطهران: الماء والتراب.

حكمان: الغسل والمسح.

موجبان: الحدث والجنابة.

مبيحان: المرض والسفر.

كنايتان: الغائط والملامسة.

كرامتان: تطهير الذنوب وإتمام النعمة.



المشهور أنها نزلت بطولها جملة واحدة بمكة ليلًا، وحولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح والتحميد كما روى ابن عباس.

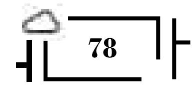
السورة الكريمة نزلت في ذروة المعركة المحتدمة بين الحق والباطل، والسورة تخاطب المشركين الغافلين عن الله والمتعصبين لأصنامهم ويقاومون كل صيحة للتحرير العقلي، ولهذا اعتمدت السورة على إطالة الإقناع، ومضاعفة الأدلة، والحديث عن الله سبحانه وتعالى حديثًا يكشف عن عظمته، ويستثير بقايا الفطرة التي غطت عليها ظلمات الجاهلية.

- **ولهذا نجد في السورة الكثير من التقريرات والتلقينات:**

أما التقرير: فنعني به إرسال حكم محدد في شأن من شئون الألوهية فأول آية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١﴾ [الأنعام: 1]، كما يكثر التحدث عن الله بضمير الغائب وهذا يجعل المستمع في حالة حضور كأن الله يخاطبه هو: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٩٧﴾ [الأنعام: 97].

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣﴾ [الأنعام: 13].

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾ [الأنعام: 59].



وأما التلقين فقد تكررت **كلمة «قل»** في السورة **أربعًا وأربعين مرة**، فالله سبحانه يقول في تلقينات متتابعة لنبيه قل لهم كذا وكذا وهو يجادل المشركين، فيسعفه ليرد على مخالفيه حتى إن كلمة «قل» تكررت أربع مرات في آية واحدة: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: 19].

وقد طلب المشركون الكثير من المعجزات ليصدقوا الرسول...

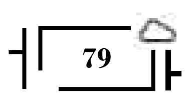
﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام: 8].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام: 37].

فهم محبوسون وراء قصورهم الفكري، فما أكثر الآيات حولهم التي تنبههم إلى النظام الكوني الذي يدبره الله، فإذا كان هذا النظام لايدل على الله، فهل خرق هذا النظام بمعجزة حسية كما يطلبون، هل هذا الخرق هوالذي يدل على الله، **وساقت السورة الكثير من الأمثلة لهذه الآيات:**

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: 59].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: 95].



﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾ [الأنعام: 61].

وهذه الآية الأخيرة تشير إلى أننا مسيرون في أغلب ما نعانى، فلا خيرة لنا في قيمة المواهب التي زودنا الله بها ولا في خط الحياة الذي نسلكه، بيد أن كل واحد منا سيحاسب على قدر ما أوتي، وكيف استعمل مواهبه وقدراته في تعامله مع الناس ومع الله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ..﴾ [الأنعام: 62].

فالله سيحاسبنا على قدر ما نبذل من جهد: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ۝١٣١﴾ [الأنعام: 131]؛ ولكن البشر يجادلون بطبعهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ ..﴾ [الأنعام: 148]، ولكن من يقبل الإيمان سيشرح الله صدره: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ..﴾ [الأنعام: 125].

ومن يؤمن فهو مكلف بطاعة الله فيما شرع من حلال وحرام ولا يخترع عبادات ما أنزل الله بها من سلطان: ﴿.. فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ ..﴾ [الأنعام: 144].

ولذلك قال الله لمن يضم إلى الدين ما ليس فيه ليمنع انتشار التدين الفاسد: ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ

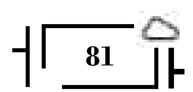
وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ **[الأنعام: 151-153]**، **وفي** هذه الآيات عشر وصايا من الرسول إلى المسلمين في كل زمان ومكان وفيها سعادتهم وفوزهم، وعن الرسول أنه قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا**» (البخاري برقم: 2856)

> ونلاحظ أن الآية الأولى من هذه الآيات العشر ختمت بقوله: ﴿.. لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: 151]، فقد اشتملت على خمسة أشياء عظام والوصية فيها أبلغ من غيرها، فختمها بأعظم سجايا الإنسان وهي العقل، أما الآية الثانية فاشتملت على خمسة أشياء يقبح ارتكابها، فالوصية فيها تجري مجرى الزجر والوعظ فختمت بقوله عز وجل: ﴿.. لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: 152] أي تتعظون، أما الآية الثالثة فقد اشتملت على الصراط المستقيم والتحريض على اتباعه وعدم التفريط فيه، فختمها الله سبحانه بقوله: ﴿.. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 153] فالتقوى هي خير الزاد.

- **لطائف من سورة الأنعام:**

(1) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: 1].

إنما جمع الظلمات لأن شُعب الضلال كثيرة ومتنوعة، وأفرد النور لأن مصدره واحد وهو الرحمن منور الأكوان، فالهدى واحد والضلال متنوع.



(2) ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ٢٣﴾ [الأنعام: 23].

لما عاين المشركون حقائق الأمور يوم القيامة قالوا ذلك ظنًا منهم أنهم يتخلصون بهذا القول من العقاب، وهذا لا يتعارض مع قول الحق ﴿.. وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا٤٢﴾ [النساء: 42]؛ لأن في القيامة مواقف مختلفة، ففي بعضها لا يكتمون، وفي بعضها يكتمون، بل ويكذبون ويحلفون بالكذب، كما في قوله تعالى في سورة الحجر:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ٩٣﴾ [الحجر: 92-93]، فلا يتناقض ذلك مع قول الحق سبحانه: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ٣٩﴾ [الرحمن: 39].

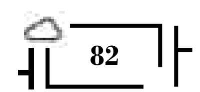
(3) ﴿.. مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ٣٨﴾ [الأنعام: 38].

البعض يحمل هذه الآية ما لا تطيق، ويحاول أن يتحايل في تفسير آيات القرآن بتكلف مدعيًا أن كل شيء في القرآن، المراد بالكتاب هنا هو أم الكتاب الذي أثبت الله فيه كل ما كان وكل ما سيكون في السموات والأرض، وليس المقصود بالكتاب هنا القرآن الكريم، والدليل على ذلك أنه توجد آيتين مشابهتين لهذا المعنى:

﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ٦﴾ [هود: 6]

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ٢٢﴾ [الحديد: 22].

أضف إلى ذلك أن الموضوع العام للآية: أن كل هذه الأمم المذكورة من دواب وحشرات وأنس وجن، كل هذه الأمم سوف تحشر إلى الله يوم القيامة، وكل شيء يخص أعمارها ورزقها وحركاتها مرصود في كتاب ما فرطنا فيه من شيء، إذن فلا لزوم للحديث عن تحميل الإعجاز العلمي في القرآن ما لا يطيق.



(4) ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ..﴾ [الأنعام: 62].

أي مولى جميع الخلق، وهذا لا يتنافى مع قوله سبحانه في سورة محمد ﴿.. وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: 11] فالمراد فيها أن الكافرين لا ناصر لهم.

(5) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82].

عن ابن مسعود أنه قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة، وقالوا أينا لم يظلم نفسه؟، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو الشرك بالله» كما قال لقمان عليه السلام لابنه: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: 13].

(6) ﴿.. رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ ..﴾ [الأنعام: 128].

أما استمتاع الجن بالإنس فهو تلذذهم باتباع الإنس لهم، وأما استمتاع الإنس بالجن فهو أنهم قبلوا تحسين الجن للمعاصي فوقعوا فيها وتلذذوا بها.

(7) ﴿.. وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ..﴾ [الأنعام: 164].

أي لا يحمل بريء ذنب شخص آخر غير بريء، وهذا لا يتنافى مع الآية ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ ..﴾ [العنكبوت: 13]، ولا مع ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم: «**ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده**»، إذ الوزر محمول في الآية الأولى على من لم يتسبب في الفعل، وكانوا في الجاهلية يؤاخذون القريب بذنب قريبه (وهذا قريب من عادة الثأر في بعض القرى)، أما فيما عدا هذه الآية



فالوزر على من تسبب فيه كالأمر به أو الدلالة عليه، فعليه وزر أنه تسبب فيه ووزر مباشرته له مثل ما قال تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ [النحل: 25].

(8) ﴿.. وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١﴾ [الأنعام: 61].

الحفظة هم الملائكة، وهم موكلون بحفظ الإنسان لا يتركونه أبدًا إلا بأمر الله لحدوث قدر مكتوب، ويتعاقبون على الإنسان ليلًا ونهارًا، ولكل إنسان ملائكة تسجل أعماله أو تقبض روحه في نومه أو مماته: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾ [الأنعام: 60].

(9) في المتشابهات:

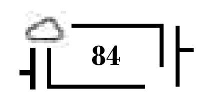
﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ ..﴾ [الأنعام: 109]

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ ..﴾ [النحل: 38]

﴿۞وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ..﴾ [النور: 53]

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ ..﴾ [فاطر: 42]

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ ..﴾ [المائدة: 53]



(10) ﴿.. حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ..﴾ [الأنعام: 61]

﴿.. حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ ..﴾ [النساء: 18]

مجئ الموت لفظ يستعمل عند الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت:

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: 61]

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: 99]

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴿١٩﴾﴾ [ق: 19]

أما حضور الموت فلفظ يستعمل في الأحكام والوصايا عند الموت فكانما الموت حاضر مع الشهود:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 133]

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴿١٨﴾﴾ [النساء: 18]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ﴿١٠٦﴾﴾ [المائدة: 106]



سورة الأعراف

مكية - 206 آية

نزلت هذه السورة المباركة بعد الجهر بالدعوة (أي بعد 3 سنوات تقريبًا من بدء الدعوة)، في مرحلة شديدة الخطورة، لأنه ستعقبها مواجهات عنيفة مع المشركين، وقد يحجم البعض عن المواجهة خوفًا من الأذى، فأنزلت هذه السورة بمحاورها وتسلسلها الرائع:

الصراع بين آدم عليه السلام وإبليس.

حوار بين أهل الجنة وأهل النار، فهذا هو **نتيجة الصراع** بين بني آدم وذرية إبليس.

عرض أحوال الأمم السابقة في الصراع.

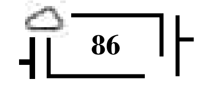
مع كثرة ذكر نبي الله موسى عليه السلام وأحواله مع بني إسرائيل، وترددهم في موقفهم من الدعوة وعدم ثباتهم بالمقارنة لموقف السحرة لما آمنوا، **والعبر الكثيرة من أحوالهم تنفع المسلمين في صراعهم مع الباطل خاصة مع بدء الجهر بالدعوة.**

وفي ذلك ذكر الله عز وجل **الميثاق الذي أخذه على البشر جميعا قبل أن يخلقهم،** وحذر من الغفلة في ثلاثة مواضع من السورة في الآيات 172، 179، 205.

> **تتلاقى المعاني المختلفة في السورة إلى هدف محدد، تكوين الإيمان والاستقامة عليه،** والعبرة من الأمم السابقة، **والمهم هو الاستقبال المعقول لآيات الله** في السورة:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف: 58]

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الأعراف: 4]، ثم فصلت السورة هلاك القرى التي تمردت على الرسل:



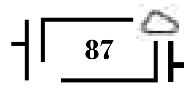
ما وقع لقوم نوح (6 آيات)، وعاد قوم هود (8 آيات)، وثمود قوم صالح (7 آيات)، وقوم لوط (5 آيات)، ومدين قوم شعيب (9 آيات)، وبني إسرائيل قوم موسى (68 آية).

كل هذه الأمم التي أبيدت هي التي حفرت قبرها بيدها فما وقع عليهم ظلم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: 96]

وبعد أن سرد الوحي قصصهم قال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ ..﴾ [الأعراف: 175-176]، هذا السياق يصدق في كل شعب تأتيه الهداية فيرفضها بغباء: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179].

وقد بينت السورة في صدرها أن الحساب الجامع سوف يبت في مصير كل إنسان: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: 8-9].

ثم أعقب هذا الإيجاز تفصيل عن مصائر الأمم المختلفة يوم القيامة: المؤمنون والكافرون وأصحاب الأعراف، والأعراف في اللغة هي المكان المرتفع، وفي هذا السياق فهي شرفات في السور المضروب بين المؤمنين والكافرين، وأغلب الظن أن أصحاب الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وقصرت أعمالهم بهم عن دخول الجنة، ثم يتفضل الله عليهم فيكونون آخر من يدخلها كما روي عن الرسول ، والإنسان مع الشيطان ليس مغلوبًا على أمره، فالشيطان لا يملك إلا قدرة البث والإنسان يستطيع أن يسمع أو لا يسمع.



والغريب أن الإنسان نسي ما وقع لأبيه آدم عندما أغواه الشيطان، واستجاب له آدم، فأخرجه الله من الجنة، ولا يبالي أن تتكرر المأساة لاسيما وأن الشيطان قد أقسم على إذلال بني آدم جميعًا: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: 16-17].

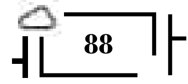
بعد هذا السرد لقصة آدم اتجه الحديث إلى بني آدم على مر العصور فنودوا ثلاث مرات »يا بني آدم« وهذه النداءات **هي للهداية إلى دين الفطرة:**

أولها: يتصل بالملابس: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: 26].

والثاني: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27].

وثالث النداءات: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: 31].

فالإسلام دين الفطرة، فهو لا يعتمد على الرهبانية والتقشف في ربط الناس بربهم، ولأن يقف الإنسان في لباس حسن في صلاته خير من يقف أمام ربه في لباس رديء، وأضاف الحق سبحانه وتعالى الزينة إلى نفسه: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ..﴾ [الأعراف: 32]، فالله هو مصدرها ومشرعها وقابل عباده فيها، وبعض الناس يقصر ثيابه دلالة تقوى الله، وفي قلبه كبر فرعون، المهم هو سلامة الفطرة والتعلق بالله وحده دون سائر الشركاء وهو أساس الفطرة، وهو ما أخذه الله من عهد على



بني آدم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 172]، فالإنسان لن يعذر على ابتعاده عن التوحيد، فإن نداء الفطرة فيه يستبقي معرفة الله، فينزهه عن كل شائبة، وبها يتقي الابتعاد عن الله الذي يغري به تتابع العادات وتتابع الليل والنهار والشمس والقمر، فيظن الإنسان أن ذلك يقع من تلقاء نفسه، فاحتاج الأمر إلى الوحي الإلهي ليذكر الناس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

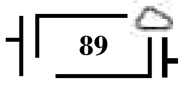
➤ **قضية حرية الإرادة البشرية:**

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 178].

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: 186].

لا يوجد تناقض بين هاتين الآيتين وحرية الإرادة البشرية، ولا توجد شبهة إجبار على شيء، فهناك فرق بين ضلال وإضلال، فالله لا يُضل إلا من ضَل ولا يُزيغ إلا من زاغ، والمراد أن القلوب المظلمة والعيون المغلقة تقود إلى جهنم، وعلى كل من يريد النجاة أن يفتح قلبه وعينه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185].

** وقد أمر الله المسلمين أن يحسنوا معرفتهم بالله فيدعوه بأسمائه الحسنى، ليتجنبوا مصائر الأمم التي هلكت وجاء ذكرها في السورة الكريمة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ



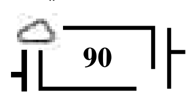
فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: 180].

الخلاصة: أن هذه السورة الكريمة قصت في أوائلها كيف نجح الشيطان في إخراج آدم من الجنة، وبينت أن محاولاته لتضليل بني آدم لن تنتهي، ولكنه لا يملك إلا الوسوسة، ومادام الإنسان مؤمنًا فستنهزم الوساوس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: 201]، وخير ما يعصم من الزلل هو ذكر الله بالقرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: 204]، وليس الذكر حركة لسان مع قلب غافل، ولكنه وعي مكتمل، وهو من وظائف العقل قبل كل شيء، ويجب أن يكون موصولًا لا متقطعًا: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205]، وبهذا الذكر ينتظم المؤمن العابد مع الكون كله وهو يسبح بحمد ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: 206]، وهذه هي أول سجدة بالمصحف.

- **لطائف من سورة الأعراف:**

(1) ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: 28].

حجة العصاة أنهم أسرى للعادات والتقاليد، ومقيدون بالواقع الذي يعيشونه، ويتمادون في التعامي، فيقولون لماذا لم يمنعنا الله من المعصية، أليس كل ما نفعله



بمشيئته، إذن فهو الذي أمرنا بها، مثل قولهم في سورة الأنعام: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ ..﴾ [الأنعام: 148]، ولكن الرد واضح في باقي الآيات: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ٢٩﴾ [الأعراف: 29].

وهنا قد يقول قائل إنه في آية رقم (16) من سورة الإسراء يقول الله عزوجل: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا١٦﴾ [الإسراء: 16]، يقصدون أن في هذه الآية أمرًا من الله بالفسوق، فكيف يقول بعد ذلك إن الله لا يأمر بالفحشاء؟، الرد عليهم أن الله قبل أن يهلك أي قرية يقيم عليهم الحجة، فيأمرهم بالطاعة وينهاهم عن المعاصى، لكن المترفين من أهلها يرفضون طاعة الله ويعصونه ويختارون الفسوق، عندها يحق عليها أمر الله، إذن فالمترفون لم يستخدموا نعمة الله كما أرادها لهم، بل جعلوها ذريعة للفسوق، ولولا الترف والنعمة لما تمكنوا من الفسوق، والهلاك قد يصيب أيضًا غير المترفين من أهل القرية، وقد يكون ذلك لأنهم جبنوا عن الإنكار وسكتوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما جاء في سورة الأنفال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ٢٥﴾ [الأنفال: 25].

(2) ﴿.. قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ..﴾ [الأعراف: 32].

الحاصل في الدنيا أن الزينة والطيبات أكثر وأدوم لغير الذين آمنوا، وقد يفهم من الآية أنها في الحياة الدنيا للذين آمنوا، ولكن المقصود أن الزينة والطيبات هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، تكون خالصة لهم يوم القيامة، لا يشاركهم فيها غيرهم، بخلاف الدنيا فإن البر والفاجر يشتركون فيها، والله أعلم.

(3) ﴿.. وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ..﴾ [الأعراف: 180]

أي يحرفون لفظها أو معناها، وقد يكون على ثلاثة أوجه:

(1) بالتغيير: فقد أخذ المشركون اسم اللات من الله، والعزي من العزيز، ومناة من المنان.

(2) بالزيادة عليها: بأت يخترعوا أسماء من عندهم لم يأذن بها الله.

(3) بالنقصان فيها: بأن ينكروا بعضها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ..﴾ [الفرقان: 60]

وقيل في سبب نزولها أن رجلًا من المشركين قال حين سمع رجلًا من المسلمين يقول في طوافه يا رحمن يا رحيم، حينها قال المشرك أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًّا واحدًا فما باك هذا يدعو ربين اثنين؟ وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعا وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة».

(4) ﴿.. وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ..﴾ [الأعراف: 160]

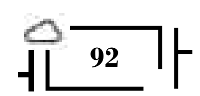
﴿.. فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ..﴾ [البقرة: 60]

هل انفجرت العيون أم انبجست؟

سياق سورة البقرة هو التفضل على بني إسرائيل:

﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ..﴾ [البقرة: 49]

﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ ..﴾ [البقرة: 50]



﴿.. وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ١٢٢﴾ [البقرة: 122]

فجاء بالكلمة التي تفيد الكثرة ﴿.. فَٱنفَجَرَتْ..﴾ [البقرة: 60]

أما سياق سورة الأعراف فهو ذكر ذنوبهم ومعاصيهم فالمقام مقام تقريع وتأنيب لبني إسرائيل حيث إنهم بمجرد أن جاوز موسى بهم البحر مالت قلوبهم إلى الشرك بالله..

فاستعمل هنا اللفظ الدال على الماء الأقل ﴿.. فَٱنۢبَجَسَتْ..﴾ [الأعراف: 160].

الجدول التالي يرصد اختلافات كثيرة في اختيار ألفاظ معينة في كل من السورتين:

سورة الأعراف	سورة البقرة
﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ١٣٨﴾ [الأعراف: 138] والفاء هنا تفيد المباشرة أي بمجرد أن أنجاهم الله تعالى من الغرق أتوا على قوم يعبدون الأصنام فسألوا موسى أن يجعل لهم إلهًا مثل هؤلاء القوم....	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ٤٩﴾ [البقرة: 49] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ٥٠﴾ [البقرة: 50] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ٤٧﴾ [البقرة: 47]

سورة الأعراف	سورة البقرة
قوم موسى استسقوه فأوحي إليه ربه بضرب الحجر إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر	موسى هو الذي استسقي لقومه ﴿۞وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَ ..﴾ [البقرة: 60] وفيها تكريم الله موسى – عليه السلام- واستجابة الله لدعائه. والإيحاء الضرب المباشر كان من الله تعالى.
﴿.. كُلُواْ..﴾ [الأعراف: 160] لم يذكر الشرب فجاء باللفظ الذي يدل على الماء الأقل (انبجست).	﴿.. كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ..﴾ [البقرة: 60] والشرب يحتاج إلى ماء انفجرت الماء من الحجر في السياق الذي يتطلب الماء
لم يرد ذكر الأكل بعد دخول القرية مباشرة وإنما أمرهم بالسكن أولا ثم الأكل: ﴿.. ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ ..﴾ [الأعراف: 161]	جعل الأكل عقب الدخول وهذا من مقام التكريم ﴿.. ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ ..﴾ [البقرة: 58] الفاء تفيد الترتيب والتعميم.
لم يذكر رغدا لأنهم لا يستحقون رغد العيش مع ذكر معاصيهم.	(رغدًا) تذكير بالنعم وهم يستحقون رغد كما يدل سياق الآيات
﴿.. وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ..﴾ [الأعراف: 161] لم يبدأ بالسجود هنا لأن السجود من أقرب ما يكون العبد لربه وهم في السياق هنا مبعدين عن ربهم لمعاصيهم.	﴿.. وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ..﴾ [البقرة: 58] بدأ في مقام التكريم وتقديم السجود أمر مناسب للأمر بالصلاة جاء في سياق السورة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

سورة الأعراف	سورة البقرة
	وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة: 43]، والسجود هو من أشرف العبادات.
﴿.. نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأعراف: 161] وخطيئات جمع قلة وجاء هنا في مقام التأنيب وهو يتناسب مع مقام التأنيب والذم في السورة	﴿.. نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: 58] الخطايا جمع كثرة. غفر الخطايا فقد غفر الخطيئات قطعًا وهذا يتناسب مع التكريم الذي جاء في السورة.
﴿.. سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأعراف: 161] لم ترد الواو هنا لأن المقام ليس فيه تكريم ونعم وتفضل.	﴿.. وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: 58] إضافة الواو هنا تدل على الاهتمام والتنويع ولذلك تأتي الواو في موطن التفضل وذكر نعم .
﴿.. ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ..﴾ [الأعراف: 162] هم بعض ممن جاء ذكرهم في أول الآيات.	﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمۡ ..﴾ [البقرة: 59]
﴿.. فَأَرۡسَلۡنَا ..﴾ [الأعراف: 162] أرسلنا في العقوبة أشد من «أنزلنا»، وقد تكرر الإرسال في السورة 30 مرة.	﴿.. فَأَنزَلۡنَا..﴾ [البقرة: 59] تكرر الإنزال في البقرة فتكرر 17 مرة.
﴿.. بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: 162] والظلم أشد لأنه يتعلق بالضمير...	﴿.. بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: 59]

سورة الأعراف	سورة البقرة
﴿.. فَٱنۢبَجَسَتۡ ..﴾ [الأعراف: 160] في مقام التقريع قل الماء بمعاصيهم فناسب.. حالة قلة الماء مع تقريعهم.	﴿.. فَٱنفَجَرَتۡ ..﴾ [البقرة: 60] جاءت هنا هذا في مقام التكريم والتفضل وهي دلالة على أن الماء بدأ بالإنفجار بالماء الشديد فجاء بحالة الكثرة مع التنعيم.

(5) ﴿۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ..﴾ [الأعراف: 142]

﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ..﴾ [البقرة: 51]

تفصيل في الأعراف وإجمال في البقرة..

السبب أنه في البقرة لم ترد إلا هذه الآية في هذا المجال، بينما في المشهد نفسه في الأعراف هناك تفصيل كبير من الآية (142) حتى (145)، فالكلام طويل والقصة في المواعدة مفصلة أكثر في الأعراف.



سورة الأنفال

مدنية - 75 آية

السورة نزلت في أعقاب انتصار المسلمين في غزوة بدر، وبدأت بداية مثيرة للانتباه متحدثة عن الأنفال، وهي الغنائم التي حصل عليها المسلمون في الغزوة، وكيف أن توزيع الغنائم هو للرسول بأمر الله سبحانه، وليس لكم يا من تسألون عن الحكم في ذلك التوزيع.

الذي حدث بعد المعركة أنه دب خلاف بين المجموعات المحاربة من المسلمين، فبعد النصر قامت مجموعة بجمع الغنائم، وأخرى بملاحقة الكفار المنسحبين، ومجموعة ثالثة تولت حماية الرسول نفسه، وكان الخلاف على من أحق بالغنائم، فكان الأمر الإلهي أن توزيعها موكل للرسول بأمر من الله سبحانه، وأن عليهم إصلاح ذات بينهم برد ما لديهم من الغنائم لإعادة توزيعها، وهو ما تم فعليًا.

➤ قضية الغنائم:

السلف الأول كانوا يقاتلون متطوعين، وكان الذي يخرج من بيته يشتري سلاحه وفرسه إن استطاع من ماله الخاص، ويترك لأهله نفقاتهم من جهده وحده، وعلى هذا فكان مسلكًا طبيعيًا أن يكون لهم نصيب من الغنائم، ولكن إذا تغيرت الأوضاع وصار هناك جيش نظامي، ودفعت رواتب، وضمنت الدولة مداواة الجرحى ورعاية أسر الشهداء، فلا لوم إذا تم التعامل مع الغنائم بأسلوب آخر غير الذي تضمنته السورة من أن الخمس لله والرسول والباقي للمقاتلين، وهو ما حدث عند فتح مصر مثلًا في زمن عمر بن الخطاب.



مبدئيًا أبانت السورة أن النصر في بدر كان مكافأة سماوية للمسلمين مع صبر السنين، فقطعت تعلقهم بالغنائم، وكان الاهتمام الأول أن للرجولة مواقف وللإيمان إمارات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ۝٤﴾ [الأنفال: 2-4]، في آخر السورة أمارات أخرى للإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ۝٧٤﴾ [الأنفال: 74]، وفي سورة أخرى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ۝١٥﴾ [الحجرات: 15]، وفي موقف آخر: ﴿.. وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ ..﴾ [النور: 62]، إذن فالرجولة مواقف شتى لا موقف واحد، ومطالب الإيمان تتباين بتباين الأحوال، ولا يجوز أن يتخلف مطلب في حينه.

** وقد استغاث المسلمون في غزوة بدر بالله عندما رأوا تفوق العدو عددًا وسلاحًا: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ۝٩﴾ [الأنفال: 9]، ومَلَكٌ واحد يكفي لحصد المشركين ولكن الله أراد طمأنة عباده بذكر العدد: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ۝١٠﴾ [الأنفال: 10].

** وقد اجتهد الرسول في الدعاء كما جاء في الأثر، وناشد ربه في حرارة رافعًا يديه إلى السماء حتى سقط رداؤه عن منكبيه، بينما كان أبو بكر ﷺ يهدئه قائلًا إن الله منجز ما وعدك، هنا مقارنة مهمة بين موقفين، ففي موقف آخر في الغار أثناء الهجرة كان

القلق والخوف من جانب أبي بكر بينما الرسول هو الذي يثبته، وكان هو الواثق من نصر الله، يقول العلماء في هذا أن الرسول كان في الهجرة فارغ اليد من أسباب النصر، فاطمأن إلى أن الله معه وسيرعاه، أما في بدر فمعه جيش - وإن كان صغيرًا - فقد يعتمد عليه، فرأى النبي الكريم أن يبرأ من حوله، إلى الله الذي لا حول ولا قوة إلا به، طالبًا منه النجدة والعون والنصر، تجدر الإشارة إلى أن دور القدر في النصر هو مكافأة لجهد البشر في المعركة، فالنصر الإلهي لا يستحقه من يفرط في الأسباب، وأولها شجاعة لا تخاف الموت، وهو ما يعبر عنه لفظ إذ رميت في الآية: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ..﴾ [الأنفال: 17]

التعليق الإلهي على هذا النصر بعد خمسة عشر عامًا من الإذلال يستحق أن نقف عنده فالأسلوب لم يتجه إلى تهنئة المنتصرين، بل اصطبغ بالتأديب وقمع الغرور، انظر إلى هذه الأمثلة:

1- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١﴾ [الأنفال: 20-21]، الله سبحانه يرمي إلى إبراز دور القدر فيما ناله المسلمون، مستنكرًا تنازعهم على الغنائم ومتحوطًا من أن يقعوا في ذلك مرة أخرى.

2- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال: 24-25]، إن سائق النصر لعباده يرفض أي شبهة غرور حتى لا تسكرهم خمرة النصر.

3- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ٢٦﴾ [الأنفال: 26]، يذكرهم الله بما كانوا فيه من هوان ليمحو أي تطلع إلى جاه أو غنائم.

4- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ٢٧﴾ [الأنفال: 27].

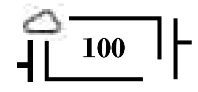
هذا التعليق الإلهي يخالف ما اعتاده المنتصرون على مر التاريخ من المدائح التي تكال عليهم والورود التي تنثر على رؤوسهم، فبالرغم من أنهم منتصرون في أول معركة كبيرة بين الحق والباطل، فإن الله سبحانه في قرآنه الكريم يوجه لهم النصائح ويعلمهم الاعتدال، **وهذا درس للمستشرقين الذين عميت قلوبهم فحسبوا معركة بدر أول مظاهر عنفوان المسلمين وعدوانيتهم.**

في السورة نداء مهم يتضمن خمس نصائح لبلوغ النصر واستدامته، وهي تصلح لكل لقاء للمسلمين مع أعدائهم في كل زمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ٤٦﴾ [الأنفال: 45-46].

- **لطائف من سورة الأنفال:**

(1) ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ٥﴾ [الأنفال: 5]

يعني كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين للقاء العدو في بدر، كذلك فامضِ على ما رأيته صوابًا في توزيع الغنائم وإن كرهوا.



(2) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ٢٤﴾ [الأنفال: 24].

إشارة إلى ضرورة سرعة الاستجابة لأوامر الله تعالى قبل أن تتغير الأمور، فتصير القلوب اللينة غير مطاوعة، فمن أكثر من المعصية قد لا يوفق إلى الاستجابة بعد ذلك إذ أصبحت القلوب قاسية بعدم ذكر الله.

(3) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ٢٩﴾ [الأنفال: 29].

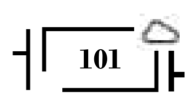
أي يجعل لكم من ثبات القلوب وقوة البصائر ما تفرقون به بين الحق والباطل.

(4) ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ٣٣﴾ [الأنفال: 33].

في هذه الآية أقوال عدة: فقد روي أنهم كانوا يقولون في الطواف غفرانك، أو أنهم لو كانوا ممن يؤمن بالله ويستغفره لم يعذبهم الله، أو ما كان الله ليعذبهم وفيهم مسلمون يستغفرون، وأرجح الأقوال أن المراد بالعذاب هنا عذاب الاستئصال الذي طلبوه في الآية السابقة، فهم قد طلبوا الهلاك لأنفسهم، فذكر لله تعالى أنه لا يعذبهم ذلك العذاب الشامل إكرامًا لرسوله، فقد جرت سُنّة الله عز وجل ألا يعذب أمة ونبيها بين ظهرانيها كما قال ابن عباس: لم تعذب أمة قط ونبيها فيها.

(5) ﴿.. إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ٤٨﴾ [الأنفال: 48]

قالها إبليس كذبًا، فقد قال قبلها إني أرى ما لا ترون وقد صدق في هذا، إذ رأى الملائكة يتقدمهم جبريل؛ ولكنه علم أنه لا قوة له ولا منعة في مواجهاتهم، فكذب في مقولته إني أخاف الله.



(6) ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ٥٨﴾ [الأنفال: 58]، المعنى رائع، إذا ظهرت من قوم بينكم وبينهم عهد، أي بوادر للخيانة، فعليك أن تخبرهم إخبارًا ظاهرًا مكشوفًا بنقض العهد ولا تحاربهم بغتة، والآية عامة في كل معاهد يخاف من وقوع النقض منه حقًّا، حقًّا ما أعظم هذا الدين!!

(7) ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ١٠﴾ [الأنفال: 10]

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ١٢٦﴾ [آل عمران: 126]

لماذا جاءت "قلوبكم" مقدمة على "به" في آل عمران ومتأخرة في الأنفال؟

في أول عمران المقام مقام مسح على القلوب وطمأنة لها بعد هزيمة أحد، فخصص البشرى بأنها لهم بشرى كلهم وقدم القلوب "قلوبكم" على "به".

أما في الأنفال فالكلام عن الإعداد السماوي الذي هو محور الآيات فقدم "به" على "قلوبكم" وكذلك جعل البشري عامة ولم يخصصها.



نصف السورة الأول لتصفية المجتمع من الوثنية، والنصف الثاني لتصفية المجتمع من النفاق، حيث إن الأمر يتصل بمستقبل الإسلام، فكان لابد من هذه الغربلة حتى يستقبل المسلمون عهدًا أنظف، لاسيما ورسول الله تاركهم بعد عام كما سبق ذلك في علم الله.

والسورة الكريمة نزلت بعد عام من فتح مكة، أي في العام التاسع بعد الهجرة، وأرسل النبي ﷺ بالآيات العشر الأولى منها مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليقرآها على أهل مكة في موسم الحج، وينبذ العهود إلى المشركين بعد أن كثر منهم النقض، فكان ينادي:

- لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة.
- لا يطوف بالبيت عريان.
- لا يجتمع مسلم وكافر بالبيت الحرام.
- من كان بينه وبين النبي ﷺ أجل فأجله مدته.
- ومن لم يكن له أجل فأجله أربعة أشهر.

وقد نزلت السورة قبل وفاة الرسول بخمسة عشر شهرًا، في السنة التاسعة للهجرة، أي بعد اثنين وعشرين عامًا على بدء الوحى... كانت السياسة المتبعة خلالها في معاملة أعداء الإسلام هي المهادنة: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 41].

وهي سياسة لا إكراه فيها على دين ولا مبادأة بالعدوان.

ولكن أعداء الإسلام من المشركين وبعض أهل الكتاب رفضوا أن تشق الدعوة طريقها المسالم، ولم يتراجعوا عن الإساءة والعدوان، فلم يكن بد من منازلة العابثين وإلزامهم حدود الأدب، وهذا هو معنى البراءة التي صدرت من الله ورسوله على هذه القوى الخائنة، ومعناها أن الله ورسوله يبرؤون من المعاهدات بسبب ما وقع من الكفار من نقض لهذه العهود.

➤ فهل سورة براءة تشرع الحرب وتحرض على العدوان كما يدعي البعض؟

الإجابة حاسمة وهي رفض هذا الاتهام الذي يروج له البعض، فالحق كما قال: ﴿.. وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ ..﴾ أضاف سبحانه: ﴿.. كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ..﴾ [التوبة: 36]، وكما قال: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ ..﴾ [التوبة: 3]، فقد استثنى وعقب بعدها المقصود بالناس: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾ [التوبة: 4]، فالحرب المقصودة هي ضد قوم معينين ظاهروا علينا العدوان، مع طمأنة من لا يفكر في قتالنا: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [التوبة: 6].

➤ فأين هي الحرب الهجومية في هذا السياق النبيل؟

وقد أعطى الله سبحانه للمشركين مهلة أربعة أشهر ليتراجعوا عن خطئهم، وهي ليست عن ضعف فلا تنخدعوا بقوتكم المزعومة: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾ [التوبة: 2]، وعند متابعة السياق تجد أن القوم الذين أمرنا بمحاربتهم ما كانوا أهل سلم ولا وفاء، وأنهم أساءوا إلى المسلمين

طويلًا، هل يجد أحد منصف أي إشارة لهجوم على قوم آمنين، في الحقيقة أن وصف سورة براءة أنها غيرت مجرى الحرب في الإسلام فيه جهل كبير، أنظر كيف تعامل القرآن مع الوثنية العربية خلال اثنين وعشرين عامًا قبل نزول سورة براءة، كان يناشد الكفار أن يعقلوا أو حتى يعدلوا، واستمع إلى نغمة الإخلاص والحب في قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى: 15]؛ ولكن هذه المناشدات لم تؤت ثمارها، وبدا أن موقف لكم دينكم ولي دين مرفوض، وأن المسلمين يريدون حياتهم وهم يريدون قتل المسلمين.

** كان العلاج الإسلامي بعد أن صار الأمر للمسلمين أن قالوا للمشركين دعوا هذه الأرض لنا وسيحوا في أرض الله الواسعة، لن نقاتلكم ولكننا نتحصن من فتنتكم، فدعونا وشأننا، ولا يحجن أحد من المشركين بعد هذا فقد حطمت أصنامكم، كان الله يعلم في غيبه أن أجل الرسول ﷺ سينتهي بعد 15 شهرًا، فلا يجوز ترك هذه الفتن على الأرض.

➤ قضية الجزية:

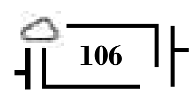
المسلمون لا يحاربون إجبارًا لاعتناق دين، فقط يعرضون الإسلام على الآخرين: ﴿.. فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ..﴾ [الكهف: 29]، فإذا شاء البعض الكفر فلا بأس، فقط اترك الدعوة تنطلق للآخرين، ولا تتعرض لغيرك إذا استجاب، فالمسلمون مكلفون بالبلاغ، فإذا ارتضى بذلك فخيرًا: ﴿.. فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ [النساء: 90]، أما إذا اعترض فهي الحرب،

فإن نصرنا الله جردناكم من السلاح وتعيشوا مع المسلمين آمنين ومقيمين شعائركم، مع الدفاع عنكم إذا تعرض لكم أحد بسوء، وكل ذلك نظير بعض المال تدفعونه، وهذه هي الجزية التي كثر اللغط عنها، فالجزية لا تفرض على محايد آثر عدم الاعتداء أصلا، إنما تفرض على من قرر قتال المسلمين أو أعان على قتالهم: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: 29]، والشيء المدهش أن الكثير من الشعوب التي تعرفت على الإسلام عن قرب، سرعان ما دخلت فيه مثل مصر وخراسان وغيرها، حتى نضبت موارد الدولة الإسلامية من هذا الباب لكثرة من دخلوا في دين الله، وهو المطلوب، فمحمد بعث هاديًا ولم يبعث جابيًا.

- **ثم بدأ القسم الثاني من السورة..**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: 38-39].

بعد أن تطهرت الأرض من الوثنية، ومن قبل من اليهود بعد غزوة خيبر في السنة السابقة لنزول السورة، مضت السورة تطهر الأرض من المنافقين، فالسورة إعداد للأمة التي ستحمل الرسالة بعد وفاة قائدها، فكانت مقاتلة الروم في موقعة تبوك هي المحك الذي كشف معادن الرجال، فالروم في ذلك الوقت هم الدولة الأولى في العالم بعد أن كسروا شوكة الفرس، فلم يكن مستغربًا أن يهتز الضعفاء والمنافقون لفكرة



قتالهم، ولولا أن الرسول يستند إلى الله في جهاده من أجل نشر الدعوة وحرية الأديان وكسر القيود التي وضعها الرومان ضد نشر الدعوة، لولا هذا ما أقدم على هذه المغامرة، ولذلك جاءت بقية السورة تفضح المنافقين والمترددين، وتستجيش القوى المؤمنة لكي تؤدي واجبها.

وقد صدر الأمر بمقاتلة الرومان في غزوة العسرة أو غزوة تبوك في ظروف تتطلب الإفصاح:

* فالرومان الدولة الأولى في العالم بعد هزيمة الفرس.

* المسلمون جزء قليل من العرب أما باقي العرب فأتباع للفرس أو الروم.

* قوة المسلمين محدودة ولم تغنِ عنهم في غزوة مؤتة وذات السلاسل من قبل.

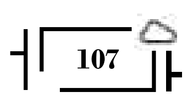
* المجتمع الإسلامي تعمل فيه قوى الشر وفتن المنافقين وبقايا الوثنية.

ولكن الله يريد أن ينقي الأمة من هذه الأخلاط حتى تتفرغ لأداء رسالتها الكبرى، فجاءت السورة لتغربل المجتمع بقوة إلى غير رجعة في صور متعددة:

1- استنكار كل تقاعس عن القتال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: 38].

2- رفض الأعذار الكاذبة من الكسالى والجبناء: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤﴾ [التوبة: 44]

3- فضح حجج الكاذبين: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩﴾ [التوبة: 49].



4- كشفت من يطمع في الأموال: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة: 58].

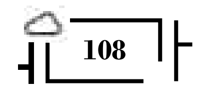
5- كشفت من يستغلون أدب الرسول: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: 61].

6- فضحت من طلب منهم نعمة الله ثم كفر: ﴿۞وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة: 75].

إذن في سورة براءة انتهت المواربة في مواجهة المنافقين تلك المعالجة التي سبقت من قبل، وأشارت إليها آيات في سورة آل عمران: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: 167]، هذا التعليق الخفيف بعد هزيمة أحد في آل عمران حل محله في الحديث عن المتخلفين في تبوك: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة: 74].

في أول السورة براءة من الشرك ورجاله العابثين بالمعاهدات وفي آخرها تذكير برحمة الله عندما أرسل نبي الرحمة..إنه نبي محارب لمن يحاربون:

الحَربُ في حَقٍّ لَديكَ شَريعَةٌ   وَمِنَ السُمومِ الناقِعاتِ دَواءُ



ولكنه أيضًا يبحث عن السلام ومحو الظلم عن كل محزون: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: 128]، ما قاتل حبًا في قتال ولكن كرهًا للتسلط والعدوان، ولذلك ختمت السورة بهذا النداء المتوكل على الله، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: 129].

هذه هي السورة التي قالوا عنها ظلمًا إنها تضمنت آية السيف وأعلنت الحرب على الناس.

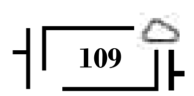
■ لطائف من سورة التوبة:

(1) ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: 5].

هي الأشهر الأربعة التي أمهلهم الله إليها، وحيث إنها بدأت يوم عرفة وهو يوم الحج الأكبر فإنها تنتهي في العاشر من ربيع الآخر، وهي ليست الأشهر الحرم المشهورة (رجب - ذو القعدة - ذو الحجة - محرم).

(2) ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: 17].

المراد بهذه الشهادة قول المشركين في طوافهم بالبيت لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.



(3) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾ [التوبة: 28].

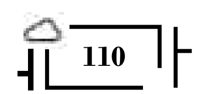
المراد نجاسة الأخلاق والعادات السيئة والشرك بالله الذي هو ظلم عظيم، والكافر ليس بنجس الذات، وثبت عن الرسول، أنه أكل في آنيتهم وتوضأ فيها.

(4) ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ [التوبة: 30].

عبدة الأوثان قالوا إن اللات والعزي والملائكة بنات الله، واليهود قالوا عزير ابن الله، والنصاري قالوا أن المسيح ابن الله لما رأوا أنه يحيي الموتى وهو من غير أب.

(5) ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: 72].

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله : «**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**» متفق عليه، فذلك هو الرضوان من الله أكبر.



(6) ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١﴾ [التوبة: 91].

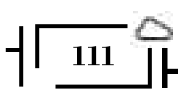
النصح لله هو الإيمان به والعمل بشريعته وترك ما يخالفها، والنصح للرسول هو تعظيم سنته، والعمل بها وإحياؤها بعد موته، روي عن الرسول أنه قال: «**الدين النصيحة**، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

(7) ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: 100].

من هم السابقون الأولون، هناك أكثر من قول، الذين صلوا القبلتين، أو الذين شهدوا بيعة الرضوان، أو أهل بدر، وأفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب، ثم الستة الباقون من المبشرين بالجنة، ثم البدريون، ثم أصحاب أُحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية.

(8) ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [التوبة: 117].

تاب الله على النبي فيما وقع منه من الإذن في التخلف، وتاب على المهاجرين والأنصار فيما اقترفوه من الذنوب، ثم اتبعوه فلم يتخلفوا عنه في ساعة العسرة، وهذا سبب التوبة عليهم (لهذا فهي سورة التوبة)، فإن خروجهم للجهاد مع بُعد المسافة وقوة الأعداء وقلة ذات اليد وشدة الحر، كل هذا ذاقوا عسرته وتحملوا مشقته في سبيل الله لنشر الإسلام، فاستحقوا التوبة ورضي الله عنهم وأرضاهم.



(9) عاتب الله رسوله خمس مرات في القرآن الكريم:

(أ) في بدر حين وافق صلوات الله عليه وسلامه هو وأبو بكر في فداء الأسرى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: 67]. "انظر لطائف سورة محمد".

(ب) في غزوة تبوك حين أذن بالتخلف عن الغزو: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: 43]

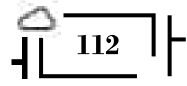
(ج) في مسألة إلغاء التبني: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ ..﴾ [الأحزاب: 37].

(د) في مرضات أزواجه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾ [التحريم: 1].

(هـ) في التذكير بالاهتمام بالفقير والغني على حد سواء: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [عبس: 1-3].

(10) بالرغم أن السورة مليئة بالتهديد والوعيد للكفار والمنافقين، إلا أنها فتحت لهم باب التوبة، وقد وردت لفظة التوبة ومشتقاتها 17 مرة للدلالة على سعة رحمة الله بعباده، ومنها ما ورد في الآيات التالية:

1- **توبة المشركين المحاربين:** ﴿.. فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: 5]، ﴿.. فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة: 7]، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ



وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴿١١﴾﴾ [التوبة: 11]، ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: 15].

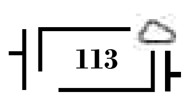
2- **توبة المؤمنين المتخاذلين:** ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: 27]، ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: 102].

3- **التوبة من عدم التوكل على الله:** ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: 27].

4- **توبة المنافقين والمرتدين:** ﴿.. فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة: 74].

5- **توبة الله على النبي ﷺ وأصحابه الكرام:** ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: 117].

6- **توبة المتخلفين عن الغزو:** ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: 118].



(11) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ..﴾ [التوبة: 20]

السياق في سورة التوبة عن القتال وعدم القعود عن الجهاد فكان تأخير الأموال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ..﴾ [الأنفال: 72]

السياق في الأنفال عن جمع الأموال وحب الأموال فكان ذكر التضحية به فقدم المال على ﴿.. فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ..﴾ [الأنفال: 72]، فهذا من باب التناسب بين الكلام ومناسبة المقال للمقام.

(12) في سورة التوبة آيتان متشابهتان:

﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ۝٥٥﴾ [التوبة: 55]

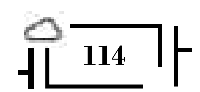
﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ۝٨٥﴾ [التوبة: 85]

الآية الأولى في سياق إنفاق الأموال في الآيات التي قبلها وبعدها:

﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا ..﴾ [التوبة: 53]

﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ ..﴾ [التوبة: 54]

﴿.. وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ۝٥٤﴾ [التوبة: 54]



﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُم..﴾ [التوبة: 55]

فبدأ بالفاء وهي للاستئناف لما قبلها وأَضاف "لا" فصلًا للأولاد عن الأموال للتوكيد وأكد باللام في «ليعذبهم» لزيادة التوكيد لأن السياق في الأموال والإنفاق فقد كان تعلقهم بالمال تعلقًا شديدًا في الحياة الدنيا، وعلى هذا ذكر الحياة الدنيا في الآية الأولى التي في سياق المال الذي هو مبعث الرفاهية في الدنيا.

أما في الآية الثانية فالسياق في الآيات قبلها وبعدها عن الجهاد وليس الإنفاق، وفي الجهاد مظنة مفارقة الحياة في القتال فاقتضى السياق عدم ذكر الحياة في الآية الثانية.



قبل أن تقرأ هذه السور الثلاث، نلفت النظر إلى أن هذه السور الثلاث مرتبطة معًا بالتسلسل الزمني وقت النزول، وبالتسلسل الترتيبي في المصحف الذي يقرأه الملايين من المسلمين من أكثر من ألف وأربعمائة عام .

هذه الثلاثية المترابطة نزلت في فترة مكية متأخرة نسبيا، فسورة يونس نزلت بعد الإسراء، وحادثة الإسراء كما في أغلب الروايات كانت قبل الهجرة بسنة واحدة، أي في السنة الثانية عشرة للبعثة.

كانت تلك الفترة صعبة في حياة الدعوة، فقد تفننت قريش في محاربة الرسول حتى إنها حاصرت بني هاشم في شعاب مكة ومنعتهم الأسواق وحذرت من التعامل معهم، واستمر الحصار ثلاثة أعوام، وبعدها مباشرة كانت وفاة أبو طالب عم الرسول الذي كان يمثل السند العشائري له، ثم وفاة السيدة خديجة التي كانت تمثل السند المعنوي والمادي.

ويمكن فهم حادثة الإسراء بعدها بربطها بالوضع النفسي للرسول في تلك الفترة، فقد قدمت دعمًا معنويًا ونفسيًا هائلًا عبر إسرائه ومعراجه، ثم إنه عاد منها بفريضة الصلاة، واحدة من أهم أركان الدين الإسلامي، وبالرغم من ذلك فالوضع داخل مكة ازداد سوءًا، فقد تضاعف استهزاء وسخرية مشركي مكة، بل إن بعض المسلمين أنفسهم قد افتتنوا بعد حادثة الإسراء كما تروي بعض الروايات، كانت مكة قد صمت أذنيها عن سماع دعوة محمد، بل ومنعت وروجت عند بقية القبائل ألا تسمعه، وبعد عشر سنوات من الدعوة والرسول قد بلغ الخمسين من العمر، كان الأذى والسخرية والظلم والاضطهاد هو ما اعتاد أن يواجهه في حياته اليومية.

في تلك الفترة بالذات المحملة بأقسى التحديات تنزل الثلاث سور متتابعات:

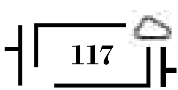
تبدأ سورة يونس بداية هادئة مثل أغلب السور المكية، مستعرضة جلال الله عز وجل وتتصاعد اللهجة تدريجيًا مستعرضة الجدال مع الملأ القرشي، وتمر سريعًا على إغراق قوم نوح ثم قوم موسى، ثم يتوجه الخطاب الإلهي إلى الرسول الذي كان يواجه السخرية والاضطهاد التي واجهت الأنبياء من قبله، كل ما مر بهم يمر به الآن، وهو لا يريد أن يلاقي قومه ما لاقاه المكذبون من قوم نوح وقوم موسى من مصير مظلم، فقد كان يريد لهم الإيمان والصلاح والتغيير، لا الدمار والهلاك، فجاء الخطاب: ﴿.. أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: 99].

وتنتهي السورة نهاية حاسمة ﴿.. وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ ..﴾ [يونس: 109]، **إذن سيحكم الله وعليه أن يصبر حتى يأتي هذا الحكم**، تراه الطوفان أم الإعصار أم الزلزال، كان يتفاعل مع الخطاب القرآني في تلك المرحلة الصعبة التي تكالبت على دعوته فيها الصعوبات والفتن.

كانت سورة يونس مقدمة ذهنية لسورة هود، إحماء ذهني وفكري لما ستفعله سورة هود، **التي وصفها تحديدًا بأنها شيبته:**

كان يشعر بعد عشر سنوات من الدعوة والصدود عنها أن الوقت بدأ ينقضي، وأنه سيأتي اليوم الذي يكون فيه: ﴿.. قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ..﴾ [هود: 43]، أو يقال فيه: ﴿.. وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ..﴾ [هود: 44]، وكذلك كان تفاعله مع تلك الصورة المفجعة لنوح الأب الذي يشاهد ابنه وهو يغرق أمام عينيه - وقد كان أبًا مفجوعًا هو الآخر - وأيضًا تفاعله مع نوح الداعية والرسول الذي شاهد قومه يغرقون .

تتابعت الآيات المفجعة في سورة هود وتلاحقت الصور، لقد كان هنا من قبل، هذا الحوار بين الأنبياء وبين أقوامهم، لقد سمعه من قبل في حواره مع أهل مكة، فالمقدمات متشابهة في الآيات، وتحتم منطقيًا أن تكون النتائج أيضًا متشابهة.



كان يتساءل بلوعة وحرقة وخوف، هل يحدث لمكة كما حدث لمدين، أو يحدث لقومه ما حدث لقوم عاد وشعيب ولوط وصالح، هل يأتيه الأمر فجأة: فأسر بأهلك ويكون موعدهم الصبح ثم يأتي أمر الله بما يشاء، كان لا يزال يحبهم وكان - مع انقياده للأمر الإلهي - يتمنى لهم نهاية مغايرة، وكان يشعر ربما اعتمادًا على طبيعة معجزته ورسالته، أن له دورًا سيكون مختلفًا عن باقي الأنبياء، دورًا لا يعرف كنهه ولا تفاصيله، خصوصًا بعد حادثة الإسراء والمعراج ومقابلة الأنبياء وصلاته بهم.

ثم جاء المشهد الختامي في سورة هود الذي أنهى كل القصص بالعقوبة الإلهية في الآيات العشرين الأخيرة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود: 102]، وتحققت هواجسه لقد اقترب المشهد الختامي حقًا، إنه فقط مؤخر لأجل معدود، وهو يتمنى لو كانت هناك فرصة أخرى لقومه، يتمنى لو بإمكانه أن يفعل شيئًا، **كان ذلك يشيبه فعلًا**، خاصة بعد قوله سبحانه: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢﴾ [هود: 122]، ينتظرون ماذا، تساءل الرسول وعيناه معلقتان بالسماء متخوفًا من سحابه قد تكون مقدمة للمشهد الختامي، ينتظر أمرًا بالخروج من مكة لتواجه مشهدها الخاص بها من صاعقة .. صيحة .. زلزال ... حجارة ...

وبينما هو ينتظر ومعه المؤمنون، حدثت المفاجأة، نزلت سورة بنسق مختلف وسياق متميز، سورة لم يكن فيها وعيد ولاصيحة ولا حجارة من سجيل، **سورة ابتدأت بحلم طفولي شفاف على قلب الرسول**، سبحان الله، كان من المتوقع بعد التهديد والوعيد في سورة هود أن يحدث شيء ما يغير رتابة الأمر الواقع الذي فرضه الملأ المكي على الدعوة الجديدة، ففي ظل الاضطهاد لم يكن أتباع محمد بعد عشر سنوات يتجاوز المائة مسلم، وهم مستضعفون في الأغلب، فكان المتوقع أن يحدث ما حدث للقرى السابقة التي جاء ذكرها في سورة هود بالعقوبة الإلهية التي تنهي القصة بأكملها من جذورها، **وفي ظل**

الانتظار المتعب المتحدي - وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ - تنزل سورة يوسف كأنما لتغير معطيات التفكير وأولويات النظر في تلك المرحلة الدقيقة التي تمر بها الدعوة، كيف هذا:

* سورة يوسف بينت أن النجاح ممكن، والنهاية السعيدة قد تكون محتملة، ولم يعد العذاب الإلهي هو الفصل النهائي في قصص الأنبياء.

* إيمان يوسف وطموحه ودأبه على الكفاح صارت كلها علامات واضحة على طريق الدعوة، لقد كان وحيدًا منذ ألقي في البئر بلا سند عشائري من أي نوع، كما كان خاليًا من أي مكانة اجتماعية منذ بيع رقيقًا بثمن بخس، ثم عمل خادمًا، ثم صار نكرة منسية في السجن، لكن كل ذلك لم يعوق إمكانية نجاحه ووصوله إلى هدفه، **وكان ذلك نقطة مهمة في تفاعل الرسول مع الخطاب القرآني**، فوحدة يوسف صارت تعني مواساة له عن فقدانه لعمه وزوجته، سنداه العشائري والمعنوي، فيوسف أصلًا لم يمتلك هذين السندين في قصة كفاحه الطويلة، ومع ذلك نجح .

* **السورة أعطت الرسول فكرة إمكانية النجاح في قرى أخرى غير قريته، تفتحت بصيرته لترى أن مكة ليست الساحة الوحيدة للدعوة**، قد تكون فرصة النجاح أوفر في أماكن أخرى، في تلك الفترة تحديدًا التي أعقبت هذا **التفاعل الإيجابي**، حاول نقل الدعوة إلى الطائف ولكنها قوبلت بصدود مماثل لما حصل في مكة، ثم حاول مع أهل يثرب، وهناك ... كان ما كان ...



سورة يونس

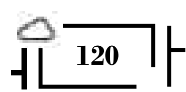
مكية - 109 آية

➤ تشبه سورتي الإسراء والأنعام في موضوعها:

التعريف بالله عن طريق النظر في ملكوته والتأمل في خلقه، فهي تعالج مشكلة طائفة كبيرة من البشر، فتجيب عن تساؤلاتهم وتنفي عنهم الشك في الإيمان بالله وصفاته وأسمائه سبحانه، واليوم الآخر، والثواب والعقاب، وذلك عن طريق التفكير في الكون، وحسن تدبير الله له، ليصلوا إلى حقيقة أن الله هو أحكم الحاكمين.

القرآن يؤكد دومًا أن وجود الإنسان في الدنيا هو تمهيد لوجوده في الدار الآخرة، ومن يأنس بالله في الدنيا بالتسبيح والتحميد والشكر، فإنه يأنس به في الآخرة حيث سيكون التسبيح والتحميد طبيعة وليس تكليفًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس: 9-10]، أما من كفر واستغرق في عبادة الدنيا وغفل عن ما وراءها، فماذا ينتظر غير العذاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [يونس: 7-8].

وهذا المنطق المادي يستغرب ويتعجب من وجود من يبعثه الله لهداية البشر: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ



مُّبِينٌ﴿٢﴾ [يونس: 1-2]، يبدو أن الإيمان بالله من البديهيات السهلة، ولكنّ الجهلة والمعاندين يجعلونه صعبًا.

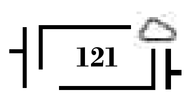
والإيمان في هذه السورة مرتبط بالعمل الصالح: ﴿.. لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِۚ ..﴾ [يونس: 4]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ ..﴾ [يونس: 9]، ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ..﴾ [يونس: 26]، والأمة الإسلامية لم تستثنَ من ذلك، فالجزاء من جنس العمل: ﴿.. إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٥﴾﴾ [يونس: 15]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا ..﴾ [يونس: 27]، فالغرض هو تكوين أمة تعرف ربها وتعرّف به، وتحق الحق، وتتجنب سير الفراعنة، كما جاء ذكرهم في السورة.

ومادام الأمر كذلك فكان لابد من التفصيل بصفات الله العليا والتذكير بآلائه ونعمه:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿٣﴾﴾ [يونس: 3]

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴿٥﴾﴾ [يونس: 5]

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٣١﴾﴾ [يونس: 31]



والسورة من السور التي رفعت راية التوحيد، وقد تعرض المشركون للقرآن الكريم في ثلاثة مواضع من هذه السورة:

1- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ..﴾ [يونس: 15].

2- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ۝٣٨﴾ [يونس: 38].

3- ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ۝٥٨﴾ [يونس: 58].

فالقرآن زاجر للنفوس، عاصم من الشكوك، وراحة من الحيرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ۝٥٧﴾ [يونس: 57].

والرسول جاهر أعداءه بالقرآن، فأدحض كل وجهة نظر لديهم وكان يتلوه في كل وقت: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ..﴾ [يونس: 61]، ثم جاء آخر السورة مصدقًا لأولها بأهمية الاستمساك بالقرآن، فإذا كان للناس عجبا أن أوحينا بالقرآن إلى رجل منهم كما جاء في أولها، فآخرها يقول: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ۝١٠٩﴾ [يونس: 109].

والنزاع بين المسلمين وغيرهم شديد حول هذا القرآن، ونحن على يقين من أنه الحق المبين، والحال كذلك فكيف نفسر الآية: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ۝٩٤﴾



[يونس: 94]، فبالتأكيد لا يتصور أحد أن يسأل المثلثين عن التوحيد، والإجابة تحتمل أحد وجوه:

(1) إما المقصود أهل الكتاب الذين أسلموا مثل عبدالله بن سلام، فإنهم سيخبرونك بأنك رسول الله، وأن التوراة شاهدة على ذلك.

(2) أو أن السؤال مثل تحريض المتفوق في عمله بقولك له لا تكسل، وهو ما فكر قط في الكسل.

(3) أو الخطاب للنبي ، والمقصود غيره كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ..﴾ [الأحزاب: 1].

(4) أو المراد إلزام الحجة على الكافرين الذين يشكّون، كما في قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿.. ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ..﴾ [المائدة: 116]، وهو سبحانه عالم بانتفاء هذا القول عنه، وذلك لإلزام الحجة على النصارى.

وعن قتادة قال: ذكر لنا رسول الله أنه قال «لا أشك ولا أسأل».

إذن فعقيدة التوحيد التي هي دعامة الإسلام لا يثار حولها تساؤل، وكذلك التهم التي وجهها اليهود وهم المذكورون في سياق السورة، هذه التهم لاشك في كذبها لذلك جاء الخطاب الحاسم: ﴿.. لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٥﴾ [يونس: 94-95].

قصة قوم سيدنا يونس عليه السلام ذكرت بإيجاز، ومع ذلك جاءت تسمية السورة باسم نبيهم يونس تنويهًا بفضل قومه، فهم الأمة الوحيدة التي آمن كل أفرادها بالله تعالى، واتبعوا نبيهم قبل أن يأتيهم العذاب، وفيها إشارة وتلويح إلى أن أهل مكة قد يظفرون بالنجاة من العذاب كما ظفر بها قوم يونس، وهو ما حدث بالفعل بعد معاداة عشرين عامًا، فقد دخلوا في الإسلام بعد ذلك وحملوا لواءه.

■ لطائف من سورة يونس:

(1) ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ ..﴾ [يونس: 5]

الضياء: ما كان من ذات الشيء، مثل السراج.

النور: ما كان مستفادًا من غير الذات بالانعكاس.

ومنازل القمر: هي المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته، وجملتها ثمانية وعشرون منزلًا، ينزل القمر في كل ليلة منها منزلًا لا يتخطاه، ثم يستتر ليلة أو ليلتين.

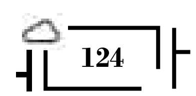
(2) ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: 26].

الزيادة كما ذكر أهل العلم هي التفضل بالنظر إلى وجه الله الكريم، أخرج أحمد ومسلم أن رسول الله تلا هذه الآية وقال: «**ينادي مناد لأهل الجنة إن لكم موعدًا عند الله فيقولون ما هو، ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار، قال فيكشف لهم الله الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه**».

(3) ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: 64].

أولياء الله لهم البشرى في الدنيا: بما يوحيه الأنبياء أن لهم الجنة، كذلك الرؤيا الصالحة، وإجابة دعائهم، وما يشاهدونه عند حضور آجالهم من تبشير الملائكة بالجنة.

ولهم البشرى في الآخرة: فتتلقاهم الملائكة مبشرين بالفوز بالجنة والنجاة من النار.



(4) ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ٨٧﴾ [يونس: 87].

قال رسول الله : «**عليكم بالصلاة في بيوتكم، فخير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة، وأكثروا من السُنْن والتطوع في بيوتكم**» (البخاري برقم: 731).

(5) ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ ..﴾ [يونس: 42]

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ ..﴾ [يونس: 43]

لماذا الجمع في الاستماع والإفراد في النظر؟

في معظم الأحوال يكون المستمعون أكثر من الناظرين فجاء تعالى بالجمع مع الكثرة "يستمعون".

وجاء بالإفراد مع القلة "ينظر" والأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر لأن السمع أهم من البصر في التبليغ لأن فاقد البصر يمكن تبليغه بالسماع أما فاقد السمع فيصعب تبليغه.



سورة هود

مكية - 123 آية

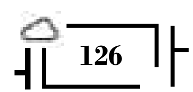
في السورة تذكير ووعظ وتثبيت للنبي، لما فيها من قصص الأنبياء مع أممهم، وكيف واصلوا دعواتهم إلى الله، وما جرى معهم من المجادلة والمخاصمة، وكيف احتمل الرسل الكرام أقوامهم، وكيف أنجاهم الله ومن آمن معهم، وكيف أهلك الظالمين: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: 120].

روى الترمذي أن رسول الله قال «شيبتني هود»، ترى ماذا في هذه السورة ينبت الشيب؟، يلفت الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - النظر إلى سببين رئيسيين:

(1) مصارع الأمم التي ضلت وجاء ذكرها في السورة، وخاصة أنها عندما تحدثت عن ما جرى لهم ذكرت جملة «ولما جاء أمر ربك»أو «ولما جاء أمرنا» - تكررت في السورة ثماني مرات - وفيها ما فيها من وعيد يثير الرعب في النفوس.

(2) كثرة التوجيهات إلى الرسول وتتناوله بضمير الخطاب المفرد، كأنما تشعره بثقل ما هو مكلف به من بلاغ، وهذه الضمائر تكررت عشرات المرات في السورة بدءًا من قوله تعالى:

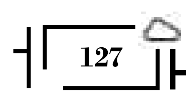
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود: 12]، فعقب



كل قصة من معاناة الأنبياء مع قومهم تكرر أيضا ضمير الخطاب المفرد في مخاطبته: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: 49]، أربعة ضمائر مخاطبة يتبعها أمر بالصبر، والعاقبة للتقوى، فما تظن وقع هذا على فؤاد صاحب الرسالة؟، وعليه أن يصدع بما يؤمر وأن يتحمل آلام الاختبار هو ومن آمن معه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: 112]، ألا يفسر ذلك قول الرسول شيبتني هود..

المعصية العابرة لا تدمر المستقبل، إنها تولد لتموت، وقد يلحقها من الندم ما يمحو لها أي ذكرى حسنة، بل قد تكون لقاحًا يمنع تكرراها، أما المعاصي التي تهلك الأمم فهي التي تستقر في النفس ولا تعبرها، فتكون جزءًا من النفس، ثم جزءًا من المجتمع، وتتحول إلى تقليد متبع وتشريع قائم، فيكون البعد عنها مستبعدًا والنهي عنها جريمة، تدبر هذا المثل من السورة الكريمة عن ما قاله قوم لوط لنبيهم الكريم عندما دعاهم لترك المعاصي: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأعراف: 82]، وأهل الحضارات الفاجرة الذين أباحوا الشذوذ الجنسي في عصرنا الحالي بحاجة إلى من يقول لهم ما جاء في صدر سورة هود: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: 2-3]، وقدم الله عز وجل الاستغفار لأن المغفرة هي الغاية المطلوبة والتوبة هي السبب إليها.

تتكرر القصص في القرآن الكريم، ولكن في كل منها ملحظ لا يرى في الأخرى، وتتشابه قصص الأنبياء في سورتي الأعراف وهود ولكن التفاصيل تختلف:



➤ قصة قوم نوح:

في سورة هود خمس وعشرون آية بينما هي سطور معدودة في سورة الأعراف، ويشعر المرء بالروع من مناشدة نوح لربه أن يرد له ابنه فكانت الإجابة الصارمة: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود: 46]، والمقصود أن ابنه كان يؤيد أمه في موقفها المؤيد للكفار ويظاهر أعداء الله، ودين الله على اختلاف النبوات يؤخر نسب الدم ويقدم نسب الإيمان، ويجعل الحب والبغض في الله هو أساس التواصل أو القطيعة.

➤ قصة قوم شعيب أهل مدين:

سورة الأعراف تناولت فسادهم السياسي، فطلب منهم سيدنا شعيب أن يصبروا على الرأي الآخر ولا يتوعدوا أصحابه: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦﴾ [الأعراف: 86]، أما سورة هود فقد تناولت فسادهم الاقتصادي، فحاربت الغش في المعاملات التجارية بعد محاربة الإشراك بالله: ﴿۞وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾ [هود: 84-85].

> إن سورة هود فصلت أحوال الأمم مع رسلها، ليعلم صاحب الرسالة الخاتمة أنه لا جديد في تكذيب قريش له، فالصراع بين الحق والباطل هو صراع أزلي لا فكاك منه، ولكن النتائج الحاسمة تنصف المؤمنين وتعز المتقين.

لطائف من سورة هود:

(1) **عدد الآيات في قصص الأنبياء:**

النبي / السورة	نوح	هود	صالح	لوط	شعيب	موسى
الأعراف	6	8	7	5	9	68
هـود	25	11	8	15	12	4

(2) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴿١٨﴾﴾ [هود: 18].

الأشهاد هم الملائكة والمرسلون والعلماء، عن ابن عمر أن رسول الله قال: «**إن الله يدني المؤمن يوم القيامة ويقرره بذنوبه حتى إذا رأى المؤمن أنه هلك، قال الله عزوجل إني سترت عليك ذنوبك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكافر فيقول الأشهاد هؤلاء يارب الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين**» (البخاري برقم: 6070).

(3) ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٤٤﴾﴾ [هود: 44].

أطلق علماء البلاغة على هذه الآية الشريفة أنها آية بالغة الفصاحة والبلاغة، إلى حد يتقاصر معه الوصف، وتضعف عن الإتيان بما يقاربها قدرة القادرين على فنون البلاغة والراسخين في علم اللغة، والجودي: جبل بالعراق قرب الموصل..

➤ الجبال التي ذكرت في القرآن الكريم:

1- عرفات. 2- الصفا. 3- المروة.

4- الطور. 5- الجودي. 6- الغار (جبل ثور).

(4) ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ [هود: 80].

يقصد عشيرة قوية حيث إنه من أهل العراق، ولم يكن له منهم عشيرة، عن أبي هريرة أن رسول الله قال: »**رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد**«، يعني حماية الله له.

(5) ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود: 113].

أي الرضى بما عليه الظلمة، أو تزيين ما يفعلونه ومشاركتهم فيه.

(6) ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ..﴾ [هود: 114]، الزلف هي الساعات القريبة من بعضها، والمقصود المغرب والعشاء، **وهي إحدى الآيات التي ذكرت بها أوقات الصلاة:**

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78]، دلوك الشمس يعني زوالها من كبد السماء أي المغرب والعشاء.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه: 130]، وسبح بحمد ربك المراد الصلوات الخمس.



﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ [الروم: 17-18]، تمسون المغرب والعشاء، تصبحون الفجر، وعشيًا العصر، وتظهرون الظهر.

(7) ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾ [هود: 67]، ﴿.. وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾ [هود: 94]

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾ [الأعراف: 78].

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩١﴾ [الأعراف: 91]

ديارهم مع الصيحة، ودراهم مع الرجفة!!

الصيحة أشمل وأعم من الرجفة فهي تصيب عددًا أكبر لأن الصوت يمتد أكثر من اهتزاز الأرض ولهذا استخدم الحق سبحانه وتعالى الديار بالجمع مع الصيحة.

أما الرجفة فيكون تأثيرها في مكانها فقط لذا جاء استخدام دارهم مع الرجفة. والله أعلم.



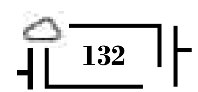
سورة يوسف

مكية - 111 آية

قصة يوسف عليه السلام قطعة من التاريخ وليست رواية من صنع البشر، وهذا التاريخ تظهر فيه سنن الله في الناس، وقد سمى الله تعالى هذه السورة أحسن القصص، وآيات للسائلين، وعبرة لأولي الألباب، وتصديق ما قبل القرآن من أهل الكتاب، وفيها مواقف الابتلاء بالشدائد، والابتلاء بالشهوات، والابتلاء بالقدرة والسلطة، وبيان عاقبة ذلك كله.

وقد ختمت السورة بآية تصف كل قصص القرآن: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]، وهذه القصص تكرر الكثير منها في وجوه مختلفة وألفاظ متباينة، بينما لم تتكررقصة يوسف، ولم يقدرمخالف للقرآن على معارضة ما تكرر، ولا تكذيب غير المتكرر.

خلق الله يوسف عليه السلام على قدر لا مثيل له من الجمال، وكان آباؤه يعقوب وإسحاق دعاة لله، فحافظ على مواثيق الشرف التي ورثها عن آبائه، واستعصم بالله من الزلل، فكانت نوازع التقوى تكبت كل نداء، ولو كان شابًا باردًا لا شهوة له، فمن أين عندئذ يكون له فضل: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]، فقد انتصرت المقاومة المؤمنة على المراودة الخاطئة، وبقي يوسف عليه السلام ذاكرًا لربه وقافًا عند حدوده.



➤ في السورة ثلاث رؤى جاءت واضحة كوضح النهار:

أولاها: ما قصة يوسف عليه السلام على أبيه.

ثانيها: مع مبادئ دخوله إلى السجن.

ثالثها: رؤية الملك.

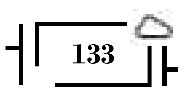
انظر كيف كان يوسف عليه السلام معتزًا بعقيدة التوحيد التي ورثها عن آبائه، بالرغم من سجنه ظلمًا من مؤامرات القصور المترفة: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39].

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: 55]، يوسف عليه السلام طلب لنفسه المنصب من الملك لأنه ليس هناك من أحق منه، ومن المصلحة العامة أن توضع الأمور في يد من يقدر على حقها، وليس في يد عاجز قليل الخبرة.

﴿.. إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: 90]، سنة اجتماعية تشبه سُنَن الله الكونية ذكرها يوسف عليه السلام: التقوى والصبر ينتجان النجاح، كما تقول أكسجين وهيدروجين ينتجان الماء.

وبعد عشرات السنين أحس الجميع أن قوانين الله هي الحق: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: 91-92]، إن الكبير لا يحقد، وهو بعد انتصاره يزداد سماحة وتوافقًا مع الله.

بعد أن تمت القصة يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ [يوسف: 102]، نعم لم يكن النبي معهم، إنه



الوحي الأعلى قص عليه ما كان دون تحريف، مع ذلك فكثير من الناس يكذب بنبوة محمد، ولن يوقف هؤلاء مسيرة الرسالة الخاتمة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ۝١٠٨﴾ [يوسف: 108]، إنهم معدومو البصيرة لا تقع أعينهم على ما يعرفهم بالله من سُنن الكون: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ۝١٠٥﴾ [يوسف: 105].

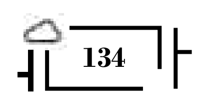
■ لطائف من سورة يوسف:

(1) ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ..﴾ [يوسف: 31].

أي علمت امرأة العزيز بغيبتهن إياها، أو أردن بذلك أن يتوسلن إلى رؤية يوسف، فلهذا سمى قولهن مكرًا، ويبدو أن النسوة استمررن في غيهن فدعونه لأنفسهن بدليل قول الملك فيما بعد: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ ..﴾ [يوسف: 51]، ودليل آخر قول يوسف ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ۝٣٣﴾ [يوسف: 33].

(2) ﴿.. فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ۝٤٢﴾ [يوسف: 42].

البضع ما بين الثلاث إلى التسع، ومع ذلك توقف عند الخروج من السجن ولم يسارع إلى إجابة الملك، وقال لرسول الملك: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ۝٥٠﴾ [يوسف: 50]، ليظهر للناس براءة ساحته، وهذا من الحلم والصبر والأناة.



(3) ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ٧٥﴾ [يوسف: 75].

أي إن جزاء سرقة صواع الملك (الإناء الذي يشرب فيه) أخذ الرجل الذي يوجد الصواع في رحله، وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يؤخذ السارق عبدًا لمن سرق منه لمدة سنة.

(4) ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ١٠٣﴾ [يوسف: 103].

قيل إن قريشًا واليهود سألت رسول الله عن قصة يوسف وإخوته، فشرحها بوحي من الله شرحًا وافيًا، وهو يأمل أن يكون ذلك سببًا لإسلامهم، فخالفوا ظنه، وحزن رسول الله، لذلك عزاه الله.

(5) من صور الإعجاز التاريخي في السورة: القرآن يذكر حكام مصر دومًا بلقب فرعون، وذلك في حوالي ستين آية، ولكن في سورة يوسف ذكر الله حكام مصر في ثلاث آيات بلقب ملك، لأن هذه الفترة (1800 - 1550 قبل الميلاد) هي الفترة التي اجتاح فيها الهكسوس مصر، وكان يطلق على الحكام فيها لقب الملوك الرعاة.

* أول أسرة فرعونية في مصر 3400 قبل الميلاد.

* بناء الأهرام 2800 قبل الميلاد.

(6) الفرق بين السنة والعام في القرآن:

السنة: دليل المعاناة.

والعام: دليل الرخاء.

مثال: دعوة نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا.

في سورة يوسف: تزرعون سبع سنين دأبًا (معاناة) ثم يأت عام فيه يغاث الناس (رخاء).

(7) التجسس يكون في الشر أما التحسس يكون في الخير: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: 87].

(8) تؤكد السورة على أن الإحسان هو من أفضل الأخلاق:

فقد تكرر ذكر الإحسان ومشتقاته **لفظًا** عدة مرات في السورة:

﴿.. وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: 22]

﴿.. إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: 36]

﴿.. وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: 56]

﴿.. فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: 90]

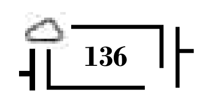
كما تكرر الإحسان **معاملةً** من يوسف عليه السلام عدة مرات:

* دعا الفتيان في السجن إلى عبادة الله حده ولم يكتف بتأويل الرؤيا.

* زاد على تأويل الملك بشيء من عنده.

* لم يؤاخذ أخوته أو يعاتبهم بل سامحهم وعفا عنهم.

* بعد أن عفا عن إخوته وفي حديثه مع أبيه، لم يذكر إخراجه من الجب لأن في ذكره توبيخًا وتجريحًا لإخواته، وهو قد عفا عنهم من قبل، واكتفى بذكر إخراجه من السجن.



(9) ﴿.. وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ ..﴾ [يوسف: 43]

﴿.. كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ ..﴾ [البقرة: 261]

ما الفرق بين سنابل وسنبلات؟

سنابل جمع كثرة فجاءت في البقرة عن مضاعفة ثواب من ينفق في سبيل الله.

سنبلات جمع قلَّة، فجاءت في سباق المنام وما رآه الملك فيه يناسب بأن يأتي بجمع القلة.

(10) ذكرت مصر في القرآن خمس مرات باسمها:

1- ﴿.. ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ ..﴾ [البقرة: 61].

2- ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧﴾ [يونس: 87].

3- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ..﴾ [يوسف: 21].

4- ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾ [يوسف: 99].

5- ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١﴾ [الزخرف: 51].

(11) ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: 106]

الشرك بالله أنواع:

* شرك صريح لا مواربة فيه... انكار للفكرة الإلهية ذاتها.

* شرك ساذج... كعبادة الأصنام والتماثيل أو إضافة إله آخر أو ولد لله الواحد المعبود.

* شرك خفي.... يعبد أحدنا فيه الله الواحد؛ ولكن قد نرجو أو نخاف الناس أكثر مما نرجو أو نخاف من الله.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه أن الشرك الخفي مختفٍ عن الأعين والإدراك أكثر من اختفاء صوت نملة تمشي على صخرة ملساء في ظلام الليل.

وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم أن حق الله على العباد ألا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا، فاللهم توفنا موحدين لك غير مشركين بك.



سورة الرعد

مكية - 43 آية

في الأغلب مكية، حيث يغلب عليها إلحاح المشركين في طلب معجزة حسية مثل سور الأنعام ويونس والإسراء، فيها بعض الآيات مدنية نزلت بعد سورة محمد، **والسورة في مجملها تتحدث عن قوة الحق في مواجهة إلحاح المشركين وعنادهم.**

أول خيط في السورة يتحدث عن صدق الوحي النازل من السماء، وعن قيام الرسول بتبليغه:

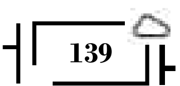
﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾ [الرعد: 1]

﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد: 19]

﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [الرعد: 30]

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ [الرعد: 36]

وفي الآية الأخيرة نبوءة تحققت حيث دخل النصارى إلى الإسلام بعد فتح مصر والشام، وانتشر الإسلام في أنحاء جزيرة العرب قبل أن يدخله أهل مكة الذين بقوا على



وثنيتهم حتى وقت متأخر، ولعل هذا يفسر قول الحق: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41].

قاوم الوثنيون هذا الوحي طويلًا وطلبوا حدوث خارق من الخوارق يشهد بصدق الرسالة: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: 27]، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7]، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 43]، فالمعنى في الآية السابقة رقم (27) أن الله أنزل على الرسول آيات ظاهرة، لكن الله الذي بيده الهداية والإضلال قد أضلكم عنها لعنادكم، وهدي إليها آخرون انشرحت لها صدورهم، فلا فائدة من تكثير الآيات والمعجزات.

ولذلك تكثر في السورة آيات تدل على القدرة الإلهية، لكي تستثير التعقل والتفكر والتدبر في السماء والأرض، **ألا يستدعي التأمل**: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4]، **ألا يستدعي التفكر** أن ترى دودة تأكل ورقة التوت فتصنع حريرًا، ونفس الشجرة تأكل منها النحلة فتنتج عسلًا، وتأكل منه الشاة فتضع بعرًا، **ألا يوقظ النائم**: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 8-9]، آلاف الأنواع والفصائل في البر والبحر تتناسل وتلد أجنتها في مراحل محسوبة ومكتوبة ومقدرة عند الله سبحانه الذي لا يشغله شيء عن شيء، **ألا يثير العقل** أنه توجد

حوافظ من الملائكة تحمي الإنسان من المخاطر العارضة بالليل والنهار، يعقب بعضها بعضًا، فإذا جاء القدر بأمر الله تخلوا عنه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ..﴾ [الرعد: 11].

إن الكون كبير كما اكتشف العلم، ولكن الله أكبر كما يجب أن يشعر العلماء، فرب العالمين لا يشغله شيء عن شيء، فهو يسمع سبحانه مواء قطة معذبة ويدخل من عذبها النار كما جاء في الحديث، أنه يسمع سقوط ورقة من شجرة، ويعلم الخبء في السموات والأرض، ويعلم ميعاد ولادة كل أنثى، فلا تغيض (أي تنقص) الأرحام ولا تزداد، كما يرى ويسمع قصف الرعد الذي له صوت رهيب من الخارج ولكنه في باطنه يسبح الله تعالى، فسبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

- **لطائف من سورة الرعد:**

(1) ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ [الرعد: 14].

دعوة الحق هي دعاؤه سبحانه عند الخوف، لأنه لا يدعى فيه بسواه، فهو القادر على الاستجابة، فمن دعاه فقد دعاه بحق.

(2) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ۩﴿١٥﴾﴾ [الرعد: 15].

الغدو: أول النهار، والآصال:آخر النهار، وهي الأوقات التي يستطيل فيها الظل إلى أقصى درجة.

(3) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: 28].

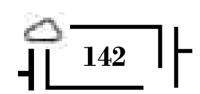
ذكر الله يطمئن القلوب كلها، حتى قلوب الكافرين.

(4) ﴿.. وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴿٣١﴾﴾ [الرعد: 31].

المعاصي تزيل النعم، فمن أراد دوام النعمة، فلا يعصِ الله بها.

(5) ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: 39].

أم الكتاب هي اللوح المحفوظ الذي لا تبديل فيه، أما ما يمحوه الله أو يثبته فهو من الصحف التي بأيدي الملائكة، فالكتابة التي في اللوح المحفوظ الذي لا محو فيه ولا تغيير تعقبها كتابات أخرى تتنزل بها الملائكة، فمثلًا الجنين في بطن أمه إذا تم أربعة أشهر، أرسل إليه ملك ينفخ فيه الروح، ويؤمر بكلمات أربعة: رزقه وأجله وعمله ومصيره شقي أم سعيد، وهناك كتابات في ليلة القدر تتنزل فيها الملائكة بإذن ربهم من كل أمر.



(6) **سجدات القرآن: خمس عشرة سجدة:**

من قرأ آيات السجود يستحب له عندها أن يكبرويسجد

ثم يكبرللرفع من السجود.

1) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: 206]

2) ﴿وَلِلَّهِۦ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: 15]

3) ﴿وَلِلَّهِۦ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: 49-50]

4) ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: 109]

5) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: 58]

6) ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: 18]

7) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩﴿٧٧﴾﴾ [الحج: 77]

8) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: 60]

9) ﴿أَلَّاۤ يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩﴿٢٦﴾﴾ [النمل: 25-26]

10) ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩﴿١٥﴾﴾ [السجدة: 15]

11) ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩﴿٢٤﴾﴾ [ص: 24]

12) ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: 37-38]

13) ﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ۩﴿٦٢﴾﴾ [النجم: 62]

14) ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩﴿٢١﴾﴾ [الانشقاق: 21]

15) ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب۩﴿١٩﴾﴾ [العلق: 19]



(7) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ..﴾ [الرعد: 15]

يقول سبحانه وتعالى في سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ..﴾ [الحج: 18]

في الرعد ذكرت: «**الْأَرْضِ**» وفي الحج ذكرت «**وَمَن فِي الْأَرْضِ**».

في تفسير ذلك أن في الرعد تقدم على آية السجود ذكر الكافرين الذين دعاؤهم في ضلال فلم يذكر﴿.. وَمَن فِي الْأَرْضِ ..﴾ [الحج: 18] استخفافًا بهم، أما في الحج فقد تقدم على آية السجود ذكر المؤمنين وسائر الأديان فذكرهم بـ ﴿.. وَمَن فِي الْأَرْضِ ..﴾ [الحج: 18].

وكذلك في سورة النحل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..﴾ [النحل: 49] تقدم على آية السجود ذكر ما خلقه الله على وجه العموم، ولم يذكر فيه الملائكة والرعد والعلويات السماوية ولا ذكر الإنس بالتصريح، فاقتضت الآية: ﴿.. مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..﴾ [النحل: 49]

فقال عز وجل في كل آية ما يناسبها.



سورة إبراهيم

مكية - 52 آية

تتحدث السورة في **محورها الرئيسي عن وحدة الرسالة التي جاء بها الرسل:**

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ١﴾ [إبراهيم: 1].

الرسول مكث ثلاثة وعشرين عامًا يتعهد العرب بالقرآن الكريم حتى يمحو عنهم الجهل والغرور والإثم والعصيان، ونقلهم نقلة عظيمة خلقيًّا وعقليًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا، فلما اشتبكوا مع أعدائهم استحقوا التمكين في الأرض ورجحت كفتهم عن جدارة، وهي سنّة الله في الأرض من قبل:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ١٤﴾ [إبراهيم: 13-14].

ومن سننه أيضًا سبحانه أن المجتمع البشري طبقات ودرجات، هناك سادة وعبيد، رؤساء وأتباع، وقد أوضح الله حقائق الدين للجميع حتى لا ينخدع تابع برئيس ولا رئيس بتابع، ومع ذلك فبعض المغرورين خدعوا التابعين لهم وجروهم إلى الهلاك:

﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ٢٩﴾ [إبراهيم: 28-29]. فالمصير واحد للأئمة وتابعيهم على حد سواء.

تشبه السورة سورة الرعد في شرح طبيعة الحق، فالحق ينفع الناس والباطل يجلب المتاعب:

ففي سورة الرعد: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ [الرعد: 17].

وهنا في سورة إبراهيم ؈: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤﴾ [إبراهيم: 24]، كلمة التوحيد هي الحق، هي مثل جذر شجرة كثيرة الفروع تثمر حضارة يانعة لمن استنار بها.

وهكذا فبالتمسك بالقرآن الكريم يخرجنا الله من الظلمات إلى النور ويمكن لنا في الأرض.

ولكن ما هو الهدف من هذا التمكين في الأرض: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١﴾ [إبراهيم: 31]، وهي سنة كونية أخرى فالأمم التي تستغرق في الدنيا وتنقطع صلتها بالسماء هي إلى زوال، أما أهل الإيمان فهم ملاك للأرض، وبأيديهم قيادة الدنيا يصرفونها كيف شاءوا.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ

وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 32-34] في ثلاث آيات تكررت كلمة «لكم» خمس مرات تأكيدًا لهذا المعنى الذي يتسع ليشمل المعنى الأوسع للجهاد في هذا العصر، فهو سيادة في البر والبحر والجو، وهو ما قصر عنه المسلمون، فلا تلحظ لهم أي تقدم في مجالات العلوم والتكنولوجيا وسبقتهم كل الأمم، فما أوسع التفاوت بين فصائل ذرية إبراهيم عليه السلام، منهم من ورث الوحي من السماء ولم يحسن العمل به فعاش خاملًا، ومنهم من معه القوة بالرغم من إنه اتبع هواه وابتعد عن الوحي، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

كان إبراهيم عليه السلام صالحًا مصلحًا جاب الآفاق داعيًا إلى التوحيد، وجاء إلى الحجاز بوحي من الله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: 37]، واعتبر اليهود أنهم أبناء السيدة الحرة سارة والعرب أبناء الأمة هاجر، فهم دونهم، وهذا كذب وافتراء على الله والظلم مرتعة وخيم، وهو آتٍ لا محالة: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: 42].

وقد بدأت السورة ببلاغ للناس بإخراجهم من الظلمات إلى النور وتختتم ببلاغ حاسم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: 52]، ويجب على أولي الألباب المذكورين هنا أن يحترموا عقولهم ويتدبروا الوحي الإلهي الذي يضئ لهم الطريق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

- **لطائف من سورة إبراهيم:**

(1) ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ۝٥﴾ [إبراهيم: 5].

أي بوقائعه وبنعم الله عليهم، وبنقم أيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح ﷺ وعاد وثمود.

(2) ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ۝١٥﴾ [إبراهيم: 15].

من غرور الكفار أنهم طلبوا من الله أن يقضي بينهم وبين الرسل، فيهلك الظالم وينصر المظلوم، فلما قضى الله بينهم نصر الرسل والمؤمنين.

(3) ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ۝٣٥﴾ [إبراهيم: 35]

هي دعوة لكل ذرية إبراهيم ﷺ ما تناسلوا، فلكل عصر أصنامه التي تلتبس على أهل الذكاء، فاللهم إنا نعوذ بك من الشرك.

(4) ﴿.. رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ..﴾ [إبراهيم: 37].

أفصح إبراهيم ﷺ عن سبب تركه لأهله عند بيت الله الحرام في وادٍ لا زرع فيه، وفي ذلك إشارة عظيمة لأهمية الصلاة؛ ولذلك خصّها بالطلب من الله سبحانه أن يكون من مقيمها هو وذريته: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ ..﴾ [إبراهيم: 40].

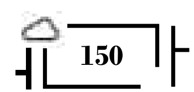
(5) ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ [إبراهيم: 39].

قيل ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين عامًا، وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة، **قال ابن عباس: ما ابتلي أحد بهذا الدين وقام به كله إلا إبراهيم** عليه السلام **ومن ابتلاءاته:**

* محاجة النمرود.
* الصبر على محاولة حرقه.
* ثم هجرته من العراق إلى الأردن.
* فوجد أهل الأردن يعبدون الكواكب.
* ثم ذهابه إلى مصر وزواجه من السيدة هاجر.
* ثم توجه لمكة وترك هاجر واسماعيل عليه السلام.
* ثم اختباره بذبح إسماعيل عليه السلام.
* ثم بناء الكعبة ودعاءه بالخير لأهلها
* ثم دعوة البشر للحج لبيت الله.
* دعوته بإرسال الرسول .

(6) ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم: 18].

ما يقوم به الكافرون من أعمال الخير في حياتهم ستنفعهم إذا ماتوا على الإسلام، أما إذا ماتوا على الشرك فلن يستفيدوا منها بشيء في الآخرة، وذلك لأن الشرك محبط للأعمال.



(7) ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: 36].

هذه الآية لا تتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ ..﴾ [يونس: 18]، فهذا مجاز من باب نسبة الشيء إلى سببه، كأن يقال فتنتهم الدنيا، فهي سبب الإضلال، بينما فاعله الحقيقي هو الله تعالى.

(8) ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 41].

الاستغفار لهما بالرغم من أنهما كافران كان بسبب وعد إبراهيم عليه السلام لأبيه أنه سيستغفر له: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: 47]، وذلك قبل أن يتحقق من كفر أبيه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: 114].

(9) ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: 42].

لا يعقل أن يحسب الرسول أن يكون الله غافلًا، إنه أعلم الخلق بالله، ولكنه أسلوب التنبيه والتحذير، يخاطب به القائد والمراد به الأتباع كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: 88].



سورة الحجر

مكية - 99 آية

➤ **محور السورة الرئيسي هو حفظ الله لدينه.**

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ۝٢﴾ [الحجر: 2]: عندما تنكشف الخدعة الكبرى - الكفر - يندم الذين أضاعوا أيامهم سُدى ولم يستعدوا ليوم الحساب، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ۝٣﴾ [الحجر: 3]،

وعندما يتحدى عبيد الحياة الرسل ويظنون أن الدنيا خالدة لهم، يجيء قول الحق سبحانه في أوائل السورة: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ۝٥﴾ [الحجر: 4-5]. هذا القول الموجز تفسره أواخر السورة عندما تقص: كيف هلك قوم لوط (61-77)، وقوم شعيب أصحاب الأيكة (78-79)، وقوم صالح أصحاب الحجر (ثمود) (80-84)

وكان عرب الجاهلية يستهزؤون بالقرآن والرسول: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ۝٦﴾ [الحجر: 6]، فيرد الله عز وجل بأن هذا الوحي خالد مادامت السموات والأرض: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ۝٩﴾ [الحجر: 9]، ويقول ممتنًا على رسوله بهذا القرآن: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ۝٨٧﴾ [الحجر: 87].

➤ **في السورة حديث شائق عن الكون وأسراره الدالة على صاحبه..**

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر: 21]، عجبًا.. كيف يجعل الله سبحانه طعام طير سارح من دودة ملتصقة بظهر حيوان ضخم يستريح..!

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٦﴾ [الحجر: 26]، إذن فبما زكا الإنسان وسما..؟، بما أكرمه الله به ونعّمه بالنفخة الربانية التي طالما جار عليها، فالإنسان فيه قبس من نور الله حسده عليها إبليس اللعين وقرر الانتقام من آدم وبنيه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: 39-40]، وإبليس لا يملك إلا الوسوسة والإغواء، فعلى بني آدم اليقظة والانتباه والإيمان بأن الله عندما يرضي فإنه يغفر ويرحم، وعندما يغضب فلا ينجو من بطشه أحد: ﴿۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر: 49-50].

وتلا هذا التحذير نبأ عن إبراهيم عليه السلام وضيوفه من الملائكة المكرمين الذين جاءوا يبشرونه بغلام عليم وبهلاك قوم لوط، كان من يقومون باللواط يتوارون به استخذاءً، حتى جاءت الحضارة الحديثة فأقرته وشرعته، ولكن العقاب الإلهي بالمرصاد: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾ [الحجر: 85-86].

بعد أن سردت السورة القصص للعظة والعبرة، قيل للرسول إن الله قد شرفك بالوحي فأدّب به الأمم: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ [الحجر: 88-91]، والمقتسمين في الآية هم أهل الكتاب



الأوائل، الذين جعلوا القرآن أقسامًا يصدقون بعضها ويكذبون البعض الآخر تبعًا لأهوائهم، ثم بشر الله نبيه بأن المشركين المعاندين لدعوته لن يطول بهم الأمد: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾ [الحجر: 95-96].

■ **لطائف من سورة الحجر:**

(1) ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر: 72].

قسم من الله عز وجل بمدة حياة محمد ، وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته كالنجم والضحى والشمس والليل والفجر ونحو ذلك.

(2) ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر: 80].

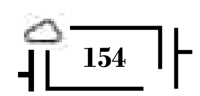
هم قوم نبي الله صالح، وهي اسم لديار ثمود، وهي ما بين مكة وتبوك في شمال الجزيرة العربية.

(3) ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: 87].

أجمع المفسرون أنها الآيات السبع الخاصة بفاتحة الكتاب، وسميت مثاني لأنها تتكرر (تثنى) في كل صلاة.

(4) ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر: 44].

لجهنم سبعة أبواب، لكل باب من الأتباع الغواة قدر معلوم مميز، أخرج البخاري والترمذي عن ابن عمر أن رسول الله قال: «**لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سَلَّ السيف**



على أمتي»، وعلى هذه الأبواب تسعة عشر ملكًا غلاظ أشداء لا يعصون الله ما أمرهم، ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ۝٣٠﴾ [المدثر: 30]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۝٦﴾ [التحريم: 6].

(5) ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ۝٩٣﴾ [الحجر: 92-93].

المراد هنا سؤال توبيخ وليس سؤال استعلام، وعلى هذا فلا تعارض مع قول الحق ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ۝٣٩﴾ [الرحمن: 39]، وقيل أيضًا إن في يوم القيامة مواقف مختلفة. ففي بعضها يسألون، وفي بعضها لا يسألون.

(6) بعض المفسرين يعتبرون سورة الحجر هي سورة الحفظ والعناية الربانية، فعمود السورة هو الحفظ:

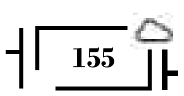
** حفظ القرآن: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ۝٩﴾ [الحجر: 9].

** حفظ السماوات من الشياطين: ﴿وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ۝١٧﴾ [الحجر: 17].

** حفظ الأرض: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ۝١٩﴾ [الحجر: 19].

** حفظ الأرزاق: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ۝٢١﴾ [الحجر: 21].

** حفظ الله لعباده المؤمنين: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ۝٤٢﴾ [الحجر: 42].



** حفظ الجنة: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: 46].

** حفظ ماء المطر في الأرض: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: 22].

** حفظ الله لرسوله: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: 95].

** حفظ الله إبراهيم ولابن أخيه لوط عليهما السلام: لما نجاهم وأهلك قومهم.

** حفظ الله لشعيب وصالح عليهما السلام.

** **ثم بعد استشعار حفظ الله بالقلب والوجدان تجيء النصائح للرسول وللمؤمنين كي ينعموا بحفظ الله في الدنيا والآخرة:**

* الاعتزاز بالدين والقرآن والالتزام بتلاوته: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعًا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 87].

* عدم الانبهار بمناخ الدنيا الزائل: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: 88].

* الجهر بالدعوة إلى الله وعدم الخوف فالله هو الحافظ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: 94].

* وأصلح ما بينك وبين الله حتى آخر العهد: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 97-99].



سورة النحل

مكية - 128 آية

محور السورة الرئيسي إثبات ألوهية وربوبية الله سبحانه بتعداد نعمه على خلقه.

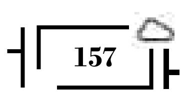
** احتدم الصراع بين المشركين والمؤمنين وطال الأمد، ولم يظفر الإيمان بنصر يؤزره، ولم ينزل بالشرك حدث يقصمه، وتساءل المشركون أين ما توعدتمونا به من عذاب، فكان الجواب في هذه البداية المدهشة: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ [النحل: 1]، وهو سيتحقق في وقت يعده المجرمون طويلًا ويعده القدر قصيرًا، لهذا يجب على المسلمين أن يصبروا دون ارتياب: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: 127-128].

** وقد صابر المسلمون وعندما اشتد عليهم الابتلاء نزلت آيتان في السورة تعزيان المسلمين:

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [النحل: 41].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ [النحل: 110].

والهجرة المقصودة هنا هي الهجرة للحبشة، فالسورة في الأغلب من القرآن المكي قبل الهجرة للمدينة.

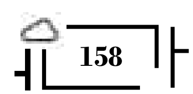


**** السورة تسمى سورة «النِعَم» لكثرة ما وصفه الله فيها من النعم لعباده ليذكروه ويشكروه، وفي مقدمة هذه النِعَم القرآن الكريم، كأن دلالات الكون الصامتة تقارنها دلالة القرآن الناطقة،** وسنتحدث عن كلتا الشعبتين.

الشعبة الأولى: في سياق السورة هي الوحي النازل أي القرآن الكريم: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ۝٢﴾ [النحل: 2]، فانقسم الناس إلى فريقين الأول ضال ومضل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ۝٢٤ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ۝٢٥﴾ [النحل: 24-25]، وفي هذا يقول الرسول : «**من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»، من مثال ذلك في العصر الحديث نكتة بذيئة أو صورة فاضحة أو إشاعة كاذبة، فيكون كمن فتح رصيدًا مفتوحًا إلى يوم الدين، أما الأتباع فهم محاسبون أيضًا مع غفلتهم وانسياقهم كالأنعام.

أما الفريق الآخر: ﴿۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ۝٣٠﴾ [النحل: 30]، فهم أناس قضوا أعمالهم في الصالحات وجاءهم الأجل وهم مثابرون في الخيرات وترك المنكرات.

** ويتكرر الحديث عن القرآن الكريم في مشهد آخر عندما يلتقى الأولون والآخرون أمام الله: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ۝٨٩﴾ [النحل: 89]، هذا المشهد تكرر في سورة النساء: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ



عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴿٤١﴾﴾ [النساء: 41]، وقد صح أن النبي بكي عند سماع الآية، لقد تلقى كتابًا فيه بيان كل شيء، فماذا دهى المسلمين حتى نسوا فزلوا.

** ويناقش القرآن في سورة النحل فرية صغيرة وجهها أعداء الإسلام إلى الرسول: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: 103]، **من العبث أن يقول أحد أن محمدًا قد أخذ كتابه من الكتب الأولى وذلك لأسباب واضحة وعديدة:**

1- هناك تناقض قائم في العقيدة بين القرآن والتوراة والإنجيل، فالتوراة تقوم على التجسيد ووصف الله بصفات غير كريمة، مثل أن الله سبحانه تصارع مع سيدنا يعقوب (إسرائيل) وكاد ينهزم لولا أن أفلته إسرائيل بشروط !!، والأناجيل المتاحة تسمى عبدًا لله وهو جبريل بالإله الروح القدس، وعبدًا لله وهو عيسى بالإله الابن، أما الخالق والباقي فهو الإله الأب، أين كل ذلك من عقيدة التوحيد الخالص في الإسلام: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: 1-4]، أين كل ذلك من تنزيه الله سبحانه من كل نقص، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴿٥﴾﴾ [طه: 5].

2- وهناك أيضًا أسلوب القرآن المتفرد في غرس التقوى وكبح وساوس الضعف، إن أمجاد الألوهية تتألق في جو القرآن وتجعل الإنسان شديد الحس بعظمة الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فكيف يزعم زاعم أن القرآن مأخوذ مما قيل من قبل، إن الأقوى لا يأخذ من الأضعف، والمستشرقون الذين يدعون بذلك يستحيل أن يهتدوا للحقيقة وهم يستنبطون هذا اللغو: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: 105].

أما الشعبة الثانية من السورة فهي عن نعم الله وأفضاله وعن الكون وكيف يسره لعباده طالبًا منهم أن يذكروه ويشكروه:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 4]، عجيب أن يتحول الإنسان المعروف النشأة إلى عدو لله الذي خلقه فسواه.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: 5-6]، الصورة المذكورة في ترفيه الإنسان بما خلقه الله له من أنعام هي صورة فلاح مجتهد يذهب إلى الحقل ووراءه ماشيته، ويعود مالكًا ومسخرًا لها، فهي دعوة للاجتهاد والعمل لإعمار الأرض وصلاحها.

** ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 18].

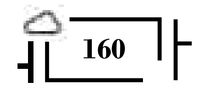
** ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: 66].

** ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68].

** ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: 70]

** ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]

** ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: 81]



وختمت السورة بأن الدعوة تقوم على الحوار والإقناع والأخذ والرد: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: 125]، ولا يستطيع ذلك إلا فقيه في الكتاب والسنة عالم بالداء والدواء: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ [النحل: 116]، فمن يفتي بغير علم من الله فقد ضل وأضل.

- **لطائف من سورة النحل:**

(1) ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾ [النحل: 74].

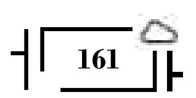
أي ألا تجعلوا لله مثلًا لأنه واحد لا مثل له، كانوا يقولون أن إله العالم أجلّ من أن يعبده الواحد منا مباشرة، فكانوا يتوسلون إليه بالأصنام والكواكب، كما أن يخدم أصاغر الناس أكابرهم، وأولئك الأكابر يخدمون الملك.

(2) ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾ [النحل: 69].

أي إن العسل فيه شفاء للناس، **آيات الشفاء في القرآن** أربعة، ثلاث من هذه الآيات ذكرت أن الشفاء بالقرآن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: 57]

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء: 82]



﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ ..﴾ [فصلت: 44]

(3) ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ٩٠﴾ [النحل: 90].

قال عنها ابن مسعود إنها أجمع آية في القرآن، أسلم عند سماعها عثمان بن مظعون أخو النبي في الرضاعة.

العدل: الإنصاف والتوسط بين الإفراط والتفريط.

الإحسان: التفضل بما لا يجب، وتكررت هذه القاعدة، العدل يعقبه الإحسان، في القرآن كثيرًا.

الفحشاء: الخصلة المتزايدة في القبح من قول أو عمل مثل البخل والزنا.

المنكر: ما أنكره الشرع.

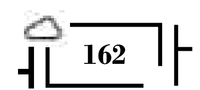
البغي: الظلم والكبر.

(4) ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ٧٣﴾ [النحل: 73].

عبادة الله تعالى على أنواع:

* **قلبية**: أساسها عقيدة التوحيد، وتشمل حب الله والخوف منه والتوكل عليه والرضا بقدره والصبر على طاعته.

* **قولية**: رأسها الدعاء بنوعيه: دعاء ثناء وتمجيد... ودعاء طلب وسؤال، وتشمل الذكر والتسمية والاستعاذة بالله والاستغاثة به والحلف به.



* **بدنية**: كالصلاة والصوم والحج والعمرة والنوافل.

* **مالية**: كالزكاة والصدقات والذبائح والنذور.

(5) ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٩٢﴾ [النحل: 92].

امرأة من مكة كانت تغزل الصوف طوال اليوم، ثم إذا غضبت حلت ما أبرمت في المساء، وقد نهى الله المؤمنين أن يكونوا في مثل حماقتها فلا يحلون ما أبرموا من العقود، فلا يغتروا بكثرة قريش وسعة أموالهم فينقضوا بيعة النبي، عن مجاهد أن العرب كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من هو أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون الأعز منهم، فنهاهم الله عن ذلك.

(6) أمر الله تعالى النحل **(اتخذي - كلي - اسلكى)**، فلما نفذت الأوامر، أخرج الله من بطونها العسل، فالعمل والجد والاجتهاد واتباع أوامر الله هو السبيل للنجاح والبركة.

(7) ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [النحل: 96].

وهذا من فضل الله على الصابرين، فإنهم يجازون يوم القيامة بأفضل عمل عملوه، ولو لم يفعلوه إلا مرة واحدة.

(8) ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل: 18].

هذه معاملة الله للعبد، أما معاملة العبد لله فهي كما جاء في سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم: 34].

(9) ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾ [النحل: 102].

هو روح القدس القوي الأمين جبريل عليه السلام، ذكر جبريل في القرآن الكريم باسمه مرتين (البقرة آية (97) و التحريم آية (44)، وذكر بصفاته ثلاث مرات بخلاف النحل (الشعراء آية (193) والنجم آيات (10-5) والتكوير آية (20).

(10) ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل: 120].

أي كان جامعًا لصفات الخير أو عالمًا بما علمه الله من الشرائع، والقانت هو المطيع الذي ملأت خشية الله جوانبه، والحنيف المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الحق.

(11) ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤﴾ [النحل: 124].

يعني إنما جعل وبال السبت وهو المسخ إلى قردة (أو فَرْض تعظيم السبت) جعل ذلك على الذين اختلفوا في إبراهيم وهم اليهود والنصارى، أو جعل على اليهود الذين كانوا يزعمون أن تعظيم السبت من شرائع إبراهيم عليه السلام، فلم يجعل الله الالتزام بالسبت فرضًا على إبراهيم عليه السلام ولا بنيه.



(12) ﴿.. وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ..﴾ [النحل: 89]

إذا كان الأمر كذلك، فكيف اختلفت الأئمة في كثير من الأحكام؟، السبب هو أن أغلب الأحكام المختلف عليها ليست منصوصًا عليها في الكتاب، بل تستنبط الأحكام منه، وطرق الاستنباط مختلفة، فبعضها يكون بالإحالة إلى السُنّة تطبيقًا للآية: ﴿.. وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ..﴾ [الحشر: 7]، والبعض الآخر بالإحالة إلى إجماع العلماء استنادًا لقول الحق: ﴿.. فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾ [الحشر: 2]، والاعتبار هو النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس.

(13) الخاسرون والأخسرون.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾ [النحل: 109]

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢﴾ [هود: 22]

الأخسر هو الأكثر خسرانًا من الخاسر.

في سورة النحل السياق عن الغافلين الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، كأنهم يصدهم عن سبيل الله لم يتعد تأثيرهم إلى غيرهم فكان وصفهم بالخاسرين.

أما في سورة هود فأفعالهم أشد تأثيرًا؛ فهم كذبوا على ربهم وصدوا عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، أي إن تأثير أعمالهم السيئة وصل للآخرين فكان وصفهم بالأخسرين.



سورة الإسراء

مكية - 111 آية

بنو إسرائيل بالرغم أنهم عانوا كثيرًا تحت وطاة العذاب الفرعوني، فإنهم لما أوتوا التوراة دينًا ودولة جددوا سيرة الفراعنة الأولين من الظلم والعدوان، فلم يكن بد من تأديبهم، ويقول التاريخ أن عقابهم كان على يد الأشوريين الذين دمروا دولتهم وهدموا الهيكل، ولما قامت دولتهم الثانية عادوا إلى الإفساد فتكررت العقوبة وهذه المرة من الرومان، وبقوا دهورًا بدون دولة، ثم شاء الله أن يقلد المسلمون اليهود ويفسدوا وحي السماء باهواءهم، فكان العقاب أن يقيم اليهود دولتهم على أنقاض العرب الذين ابتعدوا عن الوحى، فالفساد ينتهي بزوال السلطة كما قال الشاعر:

أوتيت ملكًا فلم تحسن سياسته ... كذلك من لا يسوس الملك يُخْلَعه

وتصور السورة في الآيات الخمسة (4-8) إفساد اليهود في المرتين وكيف كان تأديبهم من السماء، فكان انتقال الكتاب والرسالة من بني إسرائيل إلى الأمة الجديدة (العرب): ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ٧﴾ [الإسراء: 7].

➤ تفردت سورة الإسراء بذكر كلمة القرآن عشر مرات.

ولعل ذلك لكي يفهم المسلمون أن القرآن الذي صنع أمتهم من قبل قادر من خلال تشريعاته في العقيدة والأخلاق والمعاملات أن يعيد إليهم أمجادهم القديمة إذا التزموا بتعاليمه:



(1) ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ [الإسراء: 9].

(2) ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ٤١﴾ [الإسراء: 41].

(3) ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٦﴾ [الإسراء: 46].

(4) ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠﴾ [الإسراء: 60].

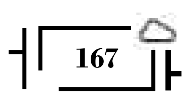
(5) و **(6)** ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: 78].

(7) ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء: 82].

(8) ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء: 88].

(9) ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾ [الإسراء: 89].

(10) ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ [الإسراء: 106].



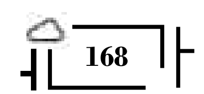
ومما يؤكد هذا المعنى أن السورة تؤكد أن الإنسان هو المسئول الأول عن نفسه: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ ..﴾ [الإسراء: 15]، فإذا فسد وابتعد عن تعاليم السماء هلك، وبينت السورة أن الترف أول مظاهر الفساد: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: 16].

والمعنى أن المترفين يرفضون طاعة الله ويختارون الفسوق عن أمره، عند ذلك يحق على القرية أمر الله الذي لا يصيب الذين ظلموا وحدهم، فغير المترفين جبنوا عن إنكار أفعالهم وسكتوا عنها.

- **ثم تتحدث السورة عن مصائر الأمم:**

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسراء: 58]، **وتوضح بالتفصيل كيفية النجاة من هذا المصير في خمس وعشرين من الوصايا العظيمة خلال صفحتين كاملتين تعصم من الزلل.**

تبدأ النصائح من قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: 23]، وتنتهي بقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: 39]، **فالنصائح بدأت وانتهت بتوحيد الله، فالقلب الذي يحنو لغير الله لا أمل فيه، والاستقامة الكاملة مربوطة بتوحيد الله.**



➤ **بعد هذه النصائح حديث شجي عن الله والكون:**

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: 44]، فالكون يتحرك وفق نغم معين بلا نشاز، ويقوم بذلك الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم، ومع ذلك ترى المشركين يتخذون آلهة من دون الله، تراهم ذاهلين تائهين لايحبون أن يستمعوا للوحي الذي يعتبرونه أساطير الأولين فلا توجد حياة بعد هذه الدنيا، ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩﴾ [الإسراء: 49].

واقتضى هذا الحال تذكير المسلمين بآدم وبنيه، فنجد أن الله اصطفاه وأعلى شأنه وأسجَد له ملائكته، فكان جديرًا ببنيه أن يكذبوا ظنون إبليس الذي توعدهم قائلًا: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ [الإسراء: 62]، (أي سيقودهم كما تقاد الدواب بوضع اللجام على أفواههم).

كان جديرًا ببني آدم أن لا ينسوا الجميل الذي كرمهم به الله: ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: 70]؛ ولكنهم وهنوا ونسوا فكان لابد من معاقبتهم ومؤاخذتهم، والرسول بذل كل جهده في إثبات وحدانية الله وعظمته، فقيل له أصنامنًا أفضل، وتحدوه بأن يأتي بمعجزة.

الإشكال أن كفرهم غالبا سيبقى حتى ولو استجاب الحق لتحديهم المزعوم، فيكون ساعتها إهلاكهم يقينًا، **إن اللعب مع السماء لا يجوز:** ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا

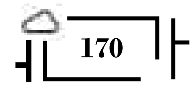
تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: 90-93].

والرسول ﷺ هو إمام أولي العزم من الرسل لن ينشغل بهذه المطالب الساذجة، فرسالته العامة إصلاح الخلل في كل نفس وفي أي مكان معتمدًا بعد تأييد الله له على تحريك العقول وهز التقاليد، وقد ينفق من وقته الكثير ليقنع زعيمًا يتبعه كثيرون، وربما أخذ هنا من وقت الفقير، فجاء العتاب الرقيق تحذيرًا من ملاينة المشركين وتنبيهًا إلى كيدهم: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: 73-74].

- **بعد جهاد الدعوة جاء جهاد العبادة:**

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: 78].

إنه خاتم النبيين، وقد كان أهل الكتاب يستشعرون بعثته فسارع المخلصون منهم إلى اتباعه: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: 107-108]، والتاريخ يذكر أن النصارى في مصر والشام بعد الفتح سارعوا إلى دخول الإسلام بعد زوال استبداد الرومان، ثم حملوا العرب إلى العالم مصداقًا لهذه الآية الكريمة.



■ لطائف من سورة الإسراء:

(1) ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: 24].

أصلها أن الطائر إذا أراد ضم فراخه إليه خفض لها جناحه، فكأن الله سبحانه يقول أكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك.

(2) ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾ [الإسراء: 26].

النصح بعدم التبذير تكون نتيجته توافر ما تستطيع به أن تؤتي ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل (وليس المقصود العكس بأن تعطيهم ولكن لا تبذر).

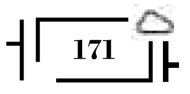
(3) ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١﴾ [الإسراء: 31].

يعني إذا كنت تخشى الفقر فالله سوف يرزقهم فلن تكون فقيرًا.

في سورة الأنعام: ﴿.. وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ ..﴾ [الأنعام: 151]، يعني لو أنت فقير فعلًا فالله يرزقك فلا تقتلهم.

(4) ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾ [الإسراء: 64].

مشاركة إبليس وذريته في أموال الناس هي كل تصرف فيها مخالف للشرع، سواء أخذًا أو وضعًا في غير حق، والمشاركة في الأولاد هي تحصيل الأولاد بالزنى، وتسميتهم بأسماء فيها



شرك بالله كعبد اللات والعزى، وقتلهم خشية إملاق، ووأد البنات، وتربية الأولاد على غير دين الإسلام، وعدهم تعني قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث فافعلوا ما بدا لكم.

(5) ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَۤ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا۩﴾ [الإسراء: 107].

هم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة قبل نزول القرآن وعرفوا حقيقة الوحي وإمارات النبوة مثل: ورقة بن نوفل ... عبدالله بن سلام ... زيد بن عمرو (أحد المبشرين بالجنة).

(6) ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: 111].

أخرج أحمد والطبراني عن معاذ أن رسول الله قال عنها أنها آية العز.

(7) ذكرت جملة «الأسماء الحسني» في أربع آيات في القرآن الكريم:

1- ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110].

2- ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180].

3- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8].

4- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 24].



(8) ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ ..﴾ [الإسراء: 101]

الآيات التسع هي:

(العصا - اليد - الطوفان - الجراد - القُمَّل - الضفادع - الدم - انفلاق البحر - السنين)



➤ **موضوع السورة الأساسي هو عقيدة التوحيد.**

وفيها قصص لم تتكرر في غيرها تدعم بصدق هذا الموضوع الأساسي، فبعد كل قصة تعليق رائع يهدي إلى الله ويعد للقائه:

ففيها قصة أهل الكهف.

والحوار بين صاحب الجنة ومحاوره الفقير.

وحكاية موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر.

ونبذة مختصرة عن حياة ذي القرنين.

** فبعد قصة أهل الكهف، الذين كان كل ما يعنيهم هو الثبات على الحق والفرار من الفتنة، ختمت قصتهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ [الكهف: 26]، فالقصة كلها لدعم عقيدة التوحيد.

** في السورة حوار بين كافر كثير المال ومؤمن فقير، من آداب الإسلام أن نعتبر نعم الله علينا أنها فضل ومنة من الله، وليست كما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ..﴾ [القصص: 78]، ولما هبطت جوانح السماء على الجنة المزدهرة التي جحد الكافر نعمة الله بها عليه صاح نادمًا: ﴿.. يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾ [الكهف: 42]، **من الذي أشرك به هذا المسكين، لقد أشرك بالله نفسه التي بين جنبيه، إنها الوثن الذي عبده، لقد جعل إلهه هواه**، وهو مثال متكرر للكثيرين من الناس، استبعدوا الآخرة من

حساباتهم، وإزداد تعلقهم بالحياة الدنيا وفيهم يقول الحق: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: 45].

وهنا نقطة مهمة:

فالحياة رغم كثرة المرويات عن ذمها فإنها ليست شرًا محضًا، والله لم يحرّم الغني على عباده الصالحين ليختص به العباد المجرمين، والغضب في هذه القصة على صاحب الجنة كان لغروره وتطاوله على الله، وعلى هذا فالمال والبنون كما يكونان زينة في الدنيا، فهما عدة للنصر إذا أحسن المرء استخدامهما: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: 46]، وفي الحديث الشريف: «**نعم المال الصالح للعبد الصالح**»، ولكن إذا أدى حب الدنيا في وجود المال إلى غلبة الشر وانهزام دوافع الخير لكانت المصيبة، أما صاحب المال والبنون الذي يساند بهما الإيمان فهو عابد رفيع الأجر.

** **في القصة الثالثة:** قصة موسى عليه السلام مع نبي آخر من عباد الله الصالحين الذين اختصهم الله وعلمه من لدنه علمًا (اسمه الخضر كما ورد في السُنْة الشريفة)، **القصة تشرح حكمة شائعة، لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع**، وليس معنى ذلك أن نفقد الثقة في أحكامنا، بل يجب الأخذ بالأسباب ثم تدع الباقي على الله، وأيضًا لا يجب أن يفهم من القصة أن نأذن بارتكاب شيء مخالف للعقل أو الشرع بحجة أن العواقب غيب، كلا، فالقصة مسلك خاص تم بوحي أعلى، وقد انتهى زمن الوحي والرسالات، وما حدث كان معاتبة لموسى عليه السلام لأنه في غمرة تبليغه للدعوة سئل هل يوجد من هو أعلم منك، فأجاب بالنفي، وكان ينبغي أن يرد العلم كله لله، كما فعل الخضر في تعقيبه على الأحداث: ﴿.. وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ..﴾ [الكهف: 82].

** **القصة الرابعة تؤكد أن التدين المعزول عن الدنيا لا خير فيه**، فإن تدين ذي القرنين نموذج حسن للتقوى والتمكين في الأرض، والعبرة أن نتعلم الإبداع في شئون الدنيا كما نهتم بإبداع شئون الدين، فذو القرنين استعمل مهارته في شئون الحياة في التغلب على يأجوج ومأجوج، وهم قوم من الهمج كانوا يعيثون في الأرض فسادًا، ويلفت الشيخ الغزالي النظر إلى قول الحق سبحانه في سورة الإسراء: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسراء: 58]، فهل يكون ذلك على يد يأجوج ومأجوج كما جاء في سورة الأنبياء: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: 96]، خاصة وأن ذي القرنين بعد أن أتم بناء السد الذي يمنع هؤلاء القوم قال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: 98].

تختتم السورة بالمعاني التي ذكرتها في أولها: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الكهف: 102].

وكما بدأت في أوائلها: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: 7].

انتهت بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: 104]، وختمت بمعنى جميل يؤكد على عقيدة التوحيد، فما دام الرب واحد فليكن هو المقصد: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: 110].

■ **لطائف من سورة الكهف:**

(1) ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ [الكهف: 39].

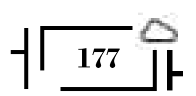
تحض الآية على الاعتراف بأن الحديقة وما فيها بمشيئة الله، وأن ما تيسر من عمارتها إنما هو بمعونة الله وقوته، ولا يقوى أحد على ما في يد الله من ملك ونعمة إلا بالله، وورد عن النبي أنه قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة**».

(2) ﴿.. وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: 46]

أعمال الخير وطاعة الله هي الباقيات الصالحات، وذكرت مرة أخرى في سورة مريم: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ [مريم: 76]، وروي عن رسول الله عندما سئل عن الباقيات الصالحات أنها التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله كما روي أحمد عن أبي سعيد الخدري.

(3) ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: 49].

أي لا يترك معصية صغيرة أو كبيرة إلا أثبتها، وهذا القول هناك إجماع على أنه للذين لم يجتنبوا الكبائر، أو لم يتوبوا عنها فإنهم يجدون في كتابهم الصغائر أيضًا، أما من تجنب الكبائر فيجد أن الصغائر قد محيت كما جاء في سورة النساء: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا



تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴿٣١﴾ [النساء: 31]، والكبيرة هي كل ذنب ختمه الله في كتابه العزيز بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

(4) قال رسول الله ﷺ:«**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة المسيخ الدجال**» رواه مسلم.

(5) في السورة توضيح لكيفية العصمة من الفتن التي وردت فيها:

(أ) العصمة من الفتنة في الدين (كما في قصة أهل الكهف).

هي في الصحبة الصالحة وتذكر الآخرة وتلاوة القرآن (الآيات 27، 28، 29).

(ب) العصمة من فتنة المال (كما في قصة صاحب الجنتين).

هي في فهم حقيقة الدنيا والانشغال بالآخرة (الآيات 45، 46).

(ج) العصمة من فتنة العلم (كما في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام).

هي في التواضع وعدم الغرور بالعلم (الآية 69).

(د) العصمة من فتنة السلطة (كما في قصة ذي القرنين رحمه الله).

هي في الإخلاص لله في العمل وتذكر الآخرة (الآيات 103، 104).

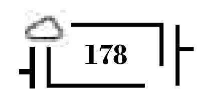
(6) الدعوة إلى الله تعالى ذكرت في السورة بجميع مستوياتها:

(أ) فتية يدعون ملك القرية (أهل الكهف).

(ب) صاحب يدعو صاحبه (صاحب الجنة).

(ج) معلم يدعو تلميذه (الخضر مع موسى).

(د) ملك يدعو رعيته (ذو القرنين).



(7) واو الثمانية هو لفظ أطلقه بعض علماء اللغة قديمًا على حرف الواو الذي ذكر في خمس آيات في القرآن الكريم، حيث ذكر حرف الواو عند ذكر الصفة الثامنة أو الرقم ثمانية:

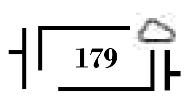
أ - سورة التوبة آية (112) قبل الصفة الثامنة للمؤمنين: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: 112].

ب- سورة الكهف آية (22) قبل رقم ثامنهم: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾ [الكهف: 22].

جـ - سورة الزمر آية (73) على أساس أن أبواب الجنة ثمانية: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: 73].

د - سورة التحريم آية (5) قبل الصفة الثامنة للمؤمنات: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥﴾ [التحريم: 5].

هـ - سورة الحاقة آية (7) قبل رقم ثمانية: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧﴾ [الحاقة: 7].



(8) قوله تعالى: ﴿.. إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ..﴾ [الكهف: 50]

الآية صريحة في النص أن إبليس من الجن وليس من الملائكة، وهناك أكثر من دليل على ذلك:

* الملائكة لا يعصون أمر الله. وإبليس قد عصى ربه.

* الملائكة خلقت من نور. وإبليس يقول خلقتني من نار وهو طبيعة الجن.

* الملائكة لا يوصفون بالذكورة أو أنوثة ولا يتناسلون. إبليس له ذرية وبينهم تزاوج كالبشر.

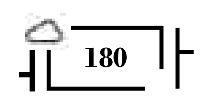
أما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ..﴾ [البقرة: 34]

فإن استثناءه من الملائكة بالرغم أنه جني وليس ملاكًا، فكان على أساس التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه، حيث إنه كان يصحب الملائكة وكان مندمجًا معهم ويعبد عبادتهم، كالرجل يقيم في قبيلة غير قبيلته فيُعد منهم، أما الرأي بأنه من الملائكة قبل أن يعصي ربه ثم صار من الجن كما روي عن ابن عباس فهو رأي ضعيف، والله أعلم.

(9) قال الخضر في خرق السفينة: ﴿.. فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ..﴾ [الكهف: 79]؛ لأن ذلك في ظاهره إفساد محض، فأسنده إلى نفسه.

وقال في إقامة جدار اليتيمين: ﴿.. فَأَرَادَ رَبُّكَ ..﴾ [الكهف: 82]؛ لأن ذلك في ظاهره إنعام محض، فأسنده إلى ربه تعالى.

وقال في قتل الغلام: ﴿فَأَرَدۡنَآ ..﴾ [الكهف: 81]؛ لأنه إفساد من حيث القتل، وإنعام من حيث التبديل، فأسنده إلى ربه ونفسه.



(10) ﴿.. كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ..﴾ [الكهف: 5]

لماذا «كلمةً» منصوبة؟

إعراب «كلمةً» أنها تمييز، والفاعل ضمير مستتر، ويأتي التمييز ليفسرها ويسمى الفاعل المفسَّر بالتمييز.

(11) ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: 97]

متى تحذف التاء في الفعل «استطاع»؟

التاء تحذف في الحدث الأخف وهو الصعود على السد، فالصعود أهون من إحداث ثقب فيه؛ ولهذا لم تحذف التاء مع الحدث الأشق، بل أعطاه عز وجل أطول صيغة له.

﴿.. ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: 82]

المقام مقام مفارقة بين الخضر وموسى، فلم يتكلم الخضر بعدها، فاقتضي حذف التاء.

﴿.. سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴿٧٨﴾﴾ [الكهف: 78]

المقام هنا مقام شرح وإيضاح، فلم تحذف التاء من الفعل.



سورة مريم

مكية - 98 آية

افتتحت السورة بكلمة الرحمة: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم: 2].

وتكررت كلمة الرحمة أربع مرات في السورة، كما تكرر اسم «**الرحمن**» في السورة ست عشرة مرة .

تحدثت السورة عن الإعجاز الإلهي في خلق سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، وجعلت هذا الإعجاز بين يدي قصة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، حيث كانت ولادة يحيى هي الأخرى معجزة، وهذا الترتيب تكرر ذكره في سورة آل عمران المدنية، فالله خالق الأسباب لا تحكمه الأسباب .

ولكن لماذا حرص زكريا على أن يكون له غلام على حين يرضى مؤمنون كثيرون أن يعيشوا بلا أولاد، إن حرصه على قيادة بني إسرائيل الروحية هو السبب، فقد كان يريد أن يصد الباب على من يريدون الزعامة وهم ليسوا أهلًا لها: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾ [مريم: 5-6]، أي يرث العلم والنبوة لا المال، فالأنبياء لا يورثون إلا العلم والنبوة، وقد روى البخاري أن الرسول قال: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**».

➤ وقد تكرر ذكر السيدة مريم في القرآن 31 مرة.

توفي أبوها عمران وأمها حامل فيها، وكانت أمها تريد ذكرًا تهبه لخدمة المعبد كعادة العائلة كلها، بعد موت الأم اقترعوا على من يكفلها ففاز بها زوج خالتها زكريا، فقام برعايتها،



ولما شعر بمدى قربها من الله، ورأى بعينيه البركات والخيرات في حضرتها، دعا الله أن يرزقه بالولد، فاستجاب له الله رغم أنه شيخ كبير وامرأته عاقر، وسماه الله (يحيى) وهو اسم لم يسمّ به أحد من قبله، وجعله نبيًا.

رزقت مريم بعيسى ﵇ بأن نفخ سيدنا جبريل في صدرها فحملت فورًا، ووضعته بدون أب في الناصرة مسقط رأس أمه في وادي بيت لحم في إقليم الجليل.

بدأت دعوة سيدنا عيسى ﵇ وهو في عمر ثلاثين عامًا، واستمرت ثلاث سنوات فقط، كان أساسها كسب النفس البشرية ودعوة محبة في عالم تسوده القسوة والقهر، وكان سيدنا عيسى ﵇ يعيش بين الناس - عكس يحيى الذي كان يعيش في البرية، وكان عظيم الأثر في النفوس، ودعا الله ولم يخبر أحدًا أنه المسيح المنتظر، حيث كان الإيمان منتشرًا بانتظار المسيح، بعد أن هُدِم المعبد حين كان المسيح عمره عشر سنوات، وهو عبد الله ورسوله أرسله الله لليهود لدعوتهم لعبادة الله، ولكنهم لم يعترفوا بمكانته الدينية، ولديهم نصوص محرفة تدل على صلبه على يد الرومان بإصرار من اليهود، بينما هو قد رفعه الله إليه ولم يصلب: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ [مريم: 30-31]، وكلام سيدنا عيسى ﵇ في المهد برهان ساطع على براءة أمه من بهتان اليهود، وولادة سيدنا عيسى ﵇ على هذا النحو كانت السبب في وجود عقيدة جديدة غير عقيدة التوحيد، ولذلك سمي بالعهد الجديد حيث إنها تحمل فكرة أن لله ولدًا سبحانه.

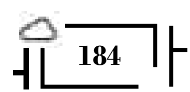
والصحيح أن الله واحد، وأن سيدنا عيسى ﵇ عبده ورسوله كسائر المرسلين، كما أكد القرآن في مواضع كثيرة، وسيظل الخلاف محتدمًا حتى يجمعنا الله في يوم المشهد العظيم: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ [مريم: 38]، وفي أواخر السورة تسمع الآيات تقصف كالرعد: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ

جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم: 88-92].

بعد قصة سيدنا عيسى عليه السلام التي أكدت دعوته إلى وحدانية الله، جاءت قصة إبراهيم عليه السلام الذي بارز الوثنية في مواطن عدة، ونجده يناشد أباه أربع مرات في وداعة وأدب أن يترك عبادة الأصنام ويسلم وجهه لله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥﴾ [مريم: 45].

ثم ذكرت عددًا من الأنبياء وما أفاء الله عليهم من نعم، ثم توالت القرون وخلق أقوام ابتعدوا عن عبادة الله وأضاعوا الصلاة التي هي المعراج الذي يصلهم بربهم، فيغسلهم من الذنوب ويكسبهم حصانة ضدها: ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: 59]، في موضع آخر في سورة الأعراف أشار الحق سبحانه إلى سلوك أعوج آخر في الحديث عن الله من أناس يتبعون الدنيا ويطلبون المغفرة وهذا من خصائص التدين الفاسد: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ ..﴾ [الأعراف: 169]، والمقصودون في الآية هم اليهود الذين تركوا العمل بالتوراة بالرغم من علمهم بما فيها بعد دراستهم لها، فهم يقرأونها ولا يعملون بها، فيتعجلون مصالحهم في الدنيا ويتهاونون العمل بأحكام التوراة ويكتمون ما علمهم الله، متعللين بأن الله سيغفر لهم مرة بعد مرة بالرغم من ضلالتهم.

والله سبحانه يقبل على الموحدين به بالود والرحمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾ [مريم: 96]، وقد نزلت حين استشعر أحد الصحابة - وفي الأغلب أنه عبدالرحمن بن عوف - فراق أصحابه في مكة، فطمأنه الله أنه



سيجد محبة في قلوب المؤمنين، وقد قال أحد الصالحين: ما أقبل عبد على الله بقلبه إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم، وفي الحديث الصحيح أن الله إذا أحب عبدًا نادى جبريل إني أحببت فلانًا فأحبه، فينادي جبريل ذلك في السماء، ثم ينزل له المحبة في الأرض.

■ لطائف من سورة مريم:

(1) ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم: 15].

قيل: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن:

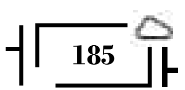
- يوم يولد لأنه يخرج مما كان فيه.
- ويوم يموت لأنه يرى قومًا لم يكن قد عرفهم وأحكامًا ليس له عهد بها.
- ويوم يبعث حيًا لأنه يرى أهوال يوم القيامة.

(2) ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم: 18-19].

المعنى إن كنت تقيًا اتركني ولا تؤذيني، فهو شرط حذف جوابه أي إن كنت من تتقي الله، فأنت تنتهي عني بتعوذي بالله منك، فرد عليها أنه رسول من ربك لأكون سببًا في هبة الولد، وهناك قراءة «**إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهب لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**».

(3) ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾ [مريم: 38].

بعكس ما جاء في سورة الكهف: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ [الكهف:



26]، التفسير أنه هنا في سورة مريم ذكر الله تعالى قصص الأنبياء فيقول لنبيه اسمعها وتدبرها ثم استعمل النظر فيها ببصيرتك، أما في سورة الكهف فإنه سبحانه وتعالى له غيب السموات والأرض، فاجعل بصيرتك في التفكر في مخلوقاته لتصل لمعرفته، واستمع لصفاته، فلذلك قدم السمع في مريم، وقدم البصر في الكهف، والله أعلم.

(4) ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ [مريم: 54].

وصف الله إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد، رغم أن كل الأنبياء كذلك؛ لأنه كان مشهورًا به مبالغًا فيه، ناهيك عن صدقه في وعده لأباه أن يكون صابرًا عندما يذبحه، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات: 102].

(5) ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣﴾ [مريم: 83].
الشياطين تحرك الكافرين إلى فعل المعاصي وتغويهم.

(6) ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ٩٨﴾ [مريم: 98].
الركز هو الصوت الخفي.

(7) في قصة يحيى عليه السلام ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ ..﴾ [مريم: 15]
في قصة عيسى عليه السلام ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ ..﴾ [مريم: 33]
لماذا التنكير ثم التعريف لكلمة "سلام"



صيغة التنكير تدل على السلام العام الشامل وهو تحية الله لعباده المرسوين وعبادة في الجنة... دائمًا بالتنكير:

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٠﴾ [الصافات: 120]

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ..﴾ [الأحزاب: 44]

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ ..﴾ [مريم: 15]

أما تحية عيسى عليه السلام فهي من نفسه فجاءت بالمعرفة: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم: 33]

فحيًّا نفسه بالتعريف تأدبًا مع الله تعالى.



سورة طه

مكية - 135 آية

ظن النبي أن يصدقه قومه حين يتلو عليهم القرآن، فهو مشهور بينهم طوال عمره بالصادق الأمين، لكنهم رفضوا بعناد وتكبر ما جاء به، فشعر بالحزن والأسى، فواساه رب العالمين: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: 2-5]، وتتابعت أوصاف جلال الله سبحانه وهي ترتد إلى القرآن النازل فترفع قدره، وإلى الرسول المبلغ فتعلي شأنه، في أواخر السورة نفس الشيء تقريبًا، مواساة للرسول بالصبر والتسبيح والحمد: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ۝١٣٠﴾ [طه: 130].

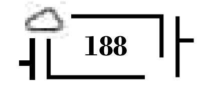
وهذا مشابه أيضًا لختام سورة الحجر: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨﴾ [الحجر: 97-98].

قيل للنبي في مواجهة المكذبين، قيل له لست وحدك، فقبلك موسى عليه السلام، فرويت قصته التي تملأ أكثر السورة على مرحلتين:

(1) محاولة هداية فرعون (من الآية 9 - إلى الآية 76).

(2) متابعة مواقفه مع بني إسرائيل (من الآية 77 - إلى الآية 98).

وأعقب ذلك حديث مرعب عن الآخرة يزلزل كبرياء المكذبين: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝١٠٥﴾ [طه: 105].



مادة الذكر والنسيان من خصائص سورة طه، تكررت في السورة في اثني عشر موضعًا، فالسورة كلها في سياقها تعرض لخطورة الغفلة عن الله، والنسيان العارض لا يخاف منه على صاحبه فسرعان ما يُنسى، ويتذكر صاحبه، ولكن الشيء المدمر أن ينتج عن النسيان غشاوة تعمي البصيرة وتغشي الهوى:

1- ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 3]

2- ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: 14]

3- ﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: 34]

4- ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾ [طه: 42]

5- ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 44]

6- ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: 52]

7- ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: 88]

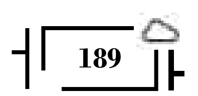
8- ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا﴾ [طه: 99]

9- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ [طه: 113]

10- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: 115]

11- ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: 124]

12- ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: 126]



وقصة آدم عليه السلام مثال على ذلك، فهي في سياق السورة العام عن التحذير عن الغفلة والتأكيد على الذكر والتذكر، فالعلة في استجابته لوساوس إبليس هي النسيان: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115]، فاستمع لوساوس الشيطان الكاذبة، خلود وملك عريض إذا أكل من الشجرة، والقصة تتكرر يوميًا، يغلبنا النسيان فيجيء بعده السقوط في المعصية، فالجنة تحتاج إلى إنسان ذاكر لله واضح الرقابة له، فلا يضعف أمام المغريات.

- **لطائف من سورة طه:**

(1) ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5].

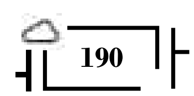
الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، كما قال الإمام مالك.

(2) ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾.

هل فيه تعارض مع قول الحق في سورة القصص ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: 32] الجناح هو ما بين الذراع والإبط، فيضم ذراعه اليسرى مثلًا إلى إبطه، ثم بعد ذلك يدخل يده اليمنى فيه، فلا تنافي.

(3) ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: 38].

المتفق عليه بين العلماء أن الوحي لم ينزل على امرأة، والمقصود به وحي الرسالة والنبوة، أما الوحي المشار إليه هنا فهو ما فسرته سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ



أَنْ أَرْضِعِيهِۖ ..﴾ [القصص: 7]، ولذلك قال هنا في طه **«ما يوحى»** كقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴿١٦﴾﴾ [النجم: 16]، ففيه إبهام وتعظيم.

(4) ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴿٧٤﴾﴾ [طه: 74].

أي لا يموت ميتة تريحه من العذاب، ولا يحيا حياة فيها أي متعة، وقد روي عن الرسول أنه قال أما أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين هم ليسوا بأهلها فإن النار تميتهم ثم يحييهم الله.

(5) ﴿.. لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴿٧٧﴾﴾ [طه: 77].

لا تكرار، أي لا تخاف إدراك فرعون لك، ولا تخشى الغرق في البحر.

(6) ﴿۞وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴿٨٣﴾﴾ [طه: 83].

موسى لما واعده الله تعالى، في الحضور إلى جانب الطور لأخذ التوراة، اختار موسى من قومه سبعين رجلًا بصحبته، ثم سبقهم شوقًا إلى ربه تعالى، وأمرهم باللحاق به، فعوقب على ذلك بسؤال الله له، والسؤال فيه إنكار لما فعل، فبدأ موسى بالاعتذار عما أنكره تعالى عليه، بأنه لم يوجد منه إلا تقدم يسير، ثم عقب الاعتذار بجواب السؤال عن السبب بقوله: ﴿.. وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴿٨٤﴾﴾ [طه: 84].

(7) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: 124].

لا يوجد تعارض بين هذه الآية وما نراه من أن المعرضين عن ذكر الله يعيشون أفضل عيشة، فالمراد بالعيشة الضنك أن هذا المتنعم في الدنيا والمعرض عن ذكر الله لا طمأنينة لقلبه، ولا انشراح لصدره، وإن تنعم ظاهره.

(8) ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه: 130].

المراد الصلوات الخمس: قبل طلوع الشمس (الفجر) وقبل غروبها (العصر) ومن آناء الليل (العشاء) وأطراف النهار (الظهر والمغرب).

(9) ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه: 7]

ما الشيء الذي هو أخفي من السر؟

السر هو شيء أعلمه ولا يعلمه غيري.

ما أخفي من السر هو الوسوسة والخواطر فهي تفكير لم يخرج حيز التنفيذ.

(10) ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ [طه: 112]

الظلم: منع كل الحق

الهضم: منع بعض الحق.



سورة الأنبياء

مكية - 112 آية

- فيها ذكر 16 نبيًّا.

موسى وهارون - عليهما السلام-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: 48].

إبراهيم عليه السلام: من ﴿۞وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ إلى ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: 51-71].

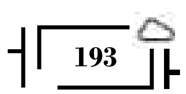
إسحق ويعقوب - عليهما السلام-: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: 72].

لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنبياء: 74].

نوح عليه السلام: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: 76].

داود وسليمان - عليهما السلام-: من ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ..﴾ **إلى** ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء: 78-82]

أيوب عليه السلام: ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ ..﴾ [الأنبياء: 83-84].



إسماعيل وإدريس وذا الكفل - عليهم السلام -: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ۝٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ۝٨٦﴾ [الأنبياء: 85-86]

ذا النون عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ۝٨٨﴾ [الأنبياء: 87-88].

زكريا ويحيى - عليهما السلام-: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ۝٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ ..﴾ [الأنبياء: 89-90]

ولكن يبدو أن مشركي مكة كانوا موغلين في الضلال، معرفة غامضة بالله، إنكار للبعث والجزاء، ولا يحيون إلا لليوم الحاضر، كيف ناقشت سورة الأنبياء هذه القضايا..؟ردت على منكري البعث بأدلة شتى:

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ۝١٦﴾ [الأنبياء: 16]، لابد من حساب دقيق على ما نقدم وما نؤخر، وما هو الدليل على البعث؟، إنه دليل بدهي: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ۝٣٠﴾ [الأنبياء: 30]، تلك هي نظرية السديم، الكواكب كانت جرمًا واحدًا ثم تبعثرت بقدرة الله وصنعه وأخذ كل كوكب مداره.

﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ۝٣١﴾ [الأنبياء: 31].

ولكن الناس في غفلة، إنهم سكاري بخمرة الحياة:

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ۝١﴾ [الأنبياء: 1]، أي إنه قريب عند الله كقوله: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا۝٧﴾ [المعارج: 6-7]، بل ويسخرون من

الآخرة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنبياء: 38]، والله سبحانه له حساب دقيق في الآخرة: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

والمشركون في عنادهم ليسوا فقط منكرين للبعث، ولكنهم أيضًا منكرين للرسول: ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ [الأنبياء: 3]، وهي كلمة تخفي ضيقهم بكل من آثره الله بموهبة جليلة، وينبههم الله أنه سبحانه اختار محمدًا ليرفع من شأنهم ويحولهم من رعاة الغنم إلى رعاة للأمم: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10].

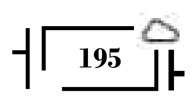
والأنبياء كلهم دعاة إلى توحيد الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وذكرت السورة قصص ستة عشر نبيًّا بدون تحديد مكاني أو ترتيب زماني، فكأنهم أعضاء هيئة تدريس في معهد عميده محمد، وطلابه أهل الأرض جميعًا، وخلاصة تعاليمه ومناهجه مودعة في القرآن الكريم.

- **والحديث عن الأنبياء سبقه وأعقبه حديث عن اليوم الآخر:**

فقبله: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

وبعده: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 93].

فكان أجدر بأتباع الأنبياء أن يتعاونوا على البر والتقوى، ولكن الذي حدث غير هذا، فقد كذب اليهود سيدنا عيسى عليه السلام، وعندما ظهر محمد كذبه اليهود والنصارى، وتعاونوا على حرب رسالته وخصومة أتباعه، ويبدو أن هذا التنطع سوف يبقى بين أتباع الرسل



حتى يظهر جنس همجي من شرق العالم لم يتلق أي رسالة سماوية فيجتاح الدنيا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء: 96].

- **لطائف من سورة الأنبياء:**

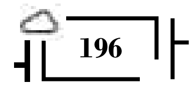
(1) بعض العلماء يسمي سورة الأنبياء بسورة «**الاستجابة**».. إذ إنها السورة الوحيدة التي تكرر فيها لفظ «**فاستجبنا له**» أربع مرات في الآيات (76، 84، 88، 90).

وذلك في معرض الحديث عن نوح، أيوب، يونس، زكريا، عليهم السلام، ويلفت العلماء النظر أن استجابة الله عز وجل لأنبيائه ليست قاصرة عليهم فقط، مستدلين على ذلك بأنه بعد أن استجاب لأيوب عليه السلام **قال سبحانه**: ﴿.. رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء: 84]، وبعد استجابته لدعاء يونس عليه السلام **قال سبحانه**: ﴿.. وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: 88].

ومفاتيح الاستجابة للدعاء من وحي السورة هي: الصبر(في دعاء سيدنا نوح عليه السلام)، أدب مخاطبة الله سبحانه وتعالى (في دعاء أيوب عليه السلام)، دعاء يونس عليه السلام الذي بدأ بالتوحيد فالتسبيح فالاستغفار وهو من أفضل الأدعية كما جاء في السنة الشريفة، أما زكريا عليه السلام فيقول رب العزة موضحًا مفاتيح الاستجابة له: ﴿.. إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: 90].

(2) كل نفس ذائقة الموت، تكررت ثلاث مرات في القرآن الكريم:

1- ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: 185].



2- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ٣٥﴾ [الأنبياء: 35]

3- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ٥٧﴾ [العنكبوت: 57]

(3) ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ٢٨﴾ [الأنبياء: 28].

الخشية هي الخوف مع التعظيم، والإشفاق هو الخوف مع الترقب والتوقع والحذر، أي إن الملائكة لمعرفتهم بالله تعالى يخشونه حق خشيته، ولا يزالون منه خائفين.

(4) ﴿.. وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ٣٥﴾ [الأنبياء: 35].

اختبار الله لعباده بالشدة والرخاء، بالصحة والمرض، بالغني والفقر، بالحلال والحرام، بالطاعة والمعصية، فينظر أيشكرون أم يكفرون.

(5) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةًۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ٧٢﴾ [الأنبياء: 72].

النافلة هي الزيادة في الخير، كان إبراهيم عليه السلام سأل الله أن يهب له ولدًا، فوهبه إسحاق ثم وهب لإسحاق يعقوب بدون دعاء، فكان ذلك زيادة في الخير على ما دعا به.

(6) ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ٩٢﴾ [الأنبياء: 92].

الخطاب هنا للكفار فأمرهم بالعبادة التي هي التوحيد، أما في سورة المؤمنون ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ٥٢﴾ [المؤمنون: 52] فالخطاب فيها للنبي وأمته وهم مأمورون بالتقوى.

(7) ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 95].

أي ممتنع عن أهل كل قرية قدرنا إهلاكها أن يرجعوا إلى الدنيا.

(8) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 101].

الآية تنفي أن يكون سيدنا عيسى عليه السلام أو أن يكون العزير - اللذان يعبدهما النصارى واليهود - من حطب جهنم، كما جاء في الآية السابقة أنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم، كما زعم بعض المشركين، فأولئك سبق لهم من الله الهداية فعملوا بعمل أهل الجنة.

(9) ﴿.. وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].

ومثل ذلك ما جاء في سورة النور ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ ..﴾ [النور: 45] قد يقول البعض إن هناك مخلوقات لم تخلق من الماء، مثل الملائكة خلقت من نور، والجن خلقوا من نار، وآدم من تراب، وناقة صالح من حجر، الرد عليهم أن المراد به البعض كما في قوله تعالى:﴿.. وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ..﴾ [النمل: 23] وقوله: ﴿.. وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ ..﴾ [يونس: 22].

(10) ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69].

الخطاب خطاب تحويل وتكوين ولا يشترط أن يكون لعاقل، كما قال سبحانه من قبل: ﴿.. يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ ..﴾ [سبأ: 10]، ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ..﴾ [هود: 44]، فقال لها وللأرض ﴿.. ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11].



(11) ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ٧٠﴾ [الأنبياء: 70].

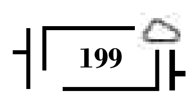
إبراهيم غلب قومه في الكيد، فخسرت تجارتهم حيث كسر أصنامهم، ولم يبلغوا مرادهم بإحراقه، فناسب هنا ذكر الأخسرين، أما في سورة الصافات ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ٩٨﴾ [الصافات: 98]، فقد تقدم على الآية أنهم بنوا بنيانًا عظيمًا رفعوا إليه إبراهيم ورموه منه إلى أسفل، فجعلهم الله هم الأسفلين، فناسب هنا ذكر الأسفلين.

(12) ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ٦﴾ [الأنبياء: 6].

الآية تتحدث عن كفار مكة ورحمة الله بهم من عدم إنزال عذاب الاستئصال كما فعل في أمم سابقة لهم ... كيف ذلك؟

إن سنة الله في الأمم السابقة عندما يطلبون حدوث معجزة خارقة كي يؤمنوا، أنه سبحانه ينزل بهم عذاب الاستئصال من الأرض عندما لا يؤمنون بعد أن يستجيب الله لطلبهم.

وكفار مكة سألوا مثل ذلك: أنهم لن يؤمنوا حتى يفجر لهم النبي من الأرض ينبوعًا أو يسقط السماء عليهم كسفًا أو يرقى في السماء أو ...أو ...أو... ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا٩٣﴾ [الإسراء: 90-93]. فكأن الله يشير في هذه الآية إلى رحمته بهذه الأمة من أنه لا يريد لها عذاب الاستئصال من الأرض؛ ولذلك لم يجبهم إلى ما طلبوه من المعجزات.



(13) ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء: 44].

الأرض تدور حول نفسها، محور الدوران يمر بين القطب الشمالي والقطب الجنوبي، ينشأ عن هذا الدوران قوة طرد مركزية تكون أشد عند خط الاستواء عنها في القطبين وهذا يؤدي إلى انضغاط الكرة الأرضية قليلا عند القطبين، وهكذا نجد أن علماء الفلك وجدوا أن طول محور الأرض الذي يمر بخط الاستواء 7926) ميلًا) أكبر من ذلك الذي يمر بالقطبين 7900) ميل)، فالأرض ناقصة التكوير عند طرفيها.

(14) ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفًا مَّحۡفُوظًاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: 32].

لماذا اعتبر الحق - سبحانه وتعالى - غلاف الأرض الجوي سقفًا للأرض؟

السقف هو الشيء العلوي الذي يحفظ البناء، والغلاف الجوي للأرض يحفظها من أضرار الأشعة الكونية القاتلة ويمنع كذلك وصول الشهب والنيازك المدمرة التي تحترق عند احتكاكها بطبقات الغلاف الجوي العليا.

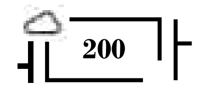
وهذا الغلاف أيضا محفوظ بنص القرآن، أي سيظل موجودا في مكانه لا يتبعثر حيث تتحكم فيه بقدرة الله تعالى مجموعة متوازنة من قوى الجاذبية تجعله ثابتا في مكانه.

(15) ﴿.. فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ..﴾ [الأنبياء: 91]

جاء الله سبحانه بضمير التعظيم وهو ما يأتي دائمًا مع ذكر قصة مريم وعيسى عليهما السلام، فالنفخ كان عن طريق جبريل عليه السلام.

أما في قصة آدم عليه السلام فالله سبحانه هو الذي نفخ الروح في آدم بعد خلقه:

﴿.. وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ..﴾ [الحجر: 29]





سورة الحج

مدنية - 78 آية

- **الوحيدة التي فيها سجدتا تلاوة.**

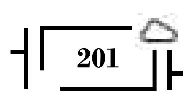
السورة تتحدث عن الصراع الأبدي بين الكفر والإيمان، وتقرير الجهاد المرير والقتال الذي يتحمله جند الحق، وتخللها آيات عن الحج، وانتهت بمواساة وحث الرسول في صراعه ضد الكفار.

بدأت بداية فيها نداء عاطفي يثير الذعر يحمل أهوال يوم القيامة، أعقبه نداء عقلي يوقظ العقل الخامل عنه، فإذا كان هناك خلق وبعث يحدث كل يوم وكل لحظة، فلماذا يستبعد الكفار البعث الآخير، ولكن الكفار يرفضون نداء الفطرة ومنطق العقل، إنهم يرون حياتهم وليدة مصادفة ومصيرهم إلى مجهول، وهذا الكفر لا يستند إلى أساس علمي، وغالبًا ما يرجع إلى عناد وجهل وخطأ في الحسابات أو غرور أعمي، وشرعت السورة تشرح أنواع الكفر:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ [الحج: 3].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: 8-9].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: 11].



بعد هذه المقدمة شرعت السورة تصف الصراع القائم بين الإيمان والكفر وهي جزء من الابتلاء الواقع في الحياة، والأنبياء مروا جميعًا بهذا الابتلاء، والبيوت التي بنوها لعبادة الله ما ثبتت إلا بعد جهاد مرير:

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: 38].

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: 39].

فالأنبياء وأتباعهم المؤمنين لا يعرفون حروب العدوان.. إنهم يقمعون الظلم فينصرهم الله لأنه نصر للمبادئ التي يمثلونها: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴿٤١﴾﴾ [الحج: 41].

إذن فالمسلم مكلف بتوضيح حجته لدعوة الجاحدين، فإذا أبوا الدخول في الإسلام تركهم لحالهم وأنصف في معاملتهم، فتلك هي طبيعة الخصومة القائمة بين أهل الإيمان والكفر والتي عبرت عنها السورة بهذه الآية: ﴿۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴿١٩﴾﴾ [الحج: 19].

ويبدو أن إيراد آيات الحج بين الآيات التي تحدثت عن القتال، جاء لإفهام المشركين أنهم منحرفون عن دين إبراهيم ﷺ الذي يزعمون الولاء له، فهم مشركون وهو يدعو للتوحيد، فأين الولاء، فالحج تظاهرة كبري لدعم التوحيد وغرزه في القلوب، تأمل في المعاني التي شرحتها السورة في الآيات التي تتحدث عن الحج، تجد تأكيدًا لمعني التوحيد في نفوس المؤمنين:

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: 30].

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴿٣١﴾﴾ [الحج: 31].



﴿.. فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾ [الحج: 34]

➤ إلقاء الشيطان:

تصور الآيات كيف أن العبء الملقي على الرسول هو إبلاغ الناس بلاغًا واضحًا يقطع المعذرة، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١﴾ [الحج: 49-51].

كل المرسلين يبذلون قصارى جهدهم لنصرة الحق حتى يكاد أن تنشرح صدور الكافرين، لكن سرعان ما تعتزلهم وساوس الشياطين فينكسوا رؤوسهم، ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٢﴾ [الفرقان: 42].

إنهم كادوا أن يسلموا لولا أن أدركتهم شياطين الإنس والجن: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢﴾ [الأنعام: 112].

هذا الزخرف من القول الذي جاء ذكره في سورة الأنعام سماه الحق عز وجل هنا بإلقاء الشيطان: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [الحج: 52].

وهذا الإلقاء أو زخرف القول قد يكون في صور عديدة: وسائل إعلام مضللة يتولي فيها المدافعون عن الباطل محاولة طمس الحقيقة، إضفاء البدع والأهواء والانحرافات إلى



رسالات الله، ونشر ذلك على العامة لتضليلهم فتجعل الناس ينصرفون عن كلام الله ويسيئون الظن به، تركيز أشباه العلماء على قضايا فرعية في الدين، أو إشكاليات فقهية معقدة، بدلًا من التركيز على قضايا تمس حياتهم اليومية، والعمل على حلها بما يقربهم من الله، وأيًا كان الأمر فهي كالفقاعات توشك أن تتلاشى ويبقى الحق وضيء الوجه، ولا نذكر هنا خرافة الغرانيق في شرح إلقاء الشيطان فهي أكذوبة ينخدع بها الأغبياء.

مضت آيات السورة الكريمة تتحدث عن عظمة الله بما يعين الرسول على حسن الدعوة وصدق الجهاد، فمن الطبيعي أن الساعي إلى مآرب الدنيا غير الساعي لإعلاء كلمة الله، فلابد من تأييده بمعرفة قدر من يدعو إليه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج: 63].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج: 71].

عندما نزل الأمر بالحج قال الرسول : «**خذوا عني مناسككم**» فشرح لهم مناسك الحج، فالحج إعلان رائع عن دولة الإيمان وإسقاط مخزٍ لدولة الشرك، ولذلك يقول عز وجل: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: 67].

ويبلغ أمر التوحيد أعلاه وأمر الشرك أسفله في أواخر السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: 73].



■ لطائف من سورة الحج:

(1) ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ..﴾ [الحج: 22].

والغم هو النار التي قطعت لهم ثياب منها ولهم فيها مقامع من حديد، أما في سورة السجدة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ ..﴾ [السجدة: 20] فلم يذكر فيها ﴿.. مِنۡ غَمٍّ ..﴾ حيث لم يسبقها إلا ﴿.. فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ ..﴾ [السجدة: 20]

(2) ﴿.. وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ ..﴾ [الحج: 40]

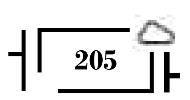
أي لولا ما شرعه الله من الجهاد لأعداء الله، لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان، وتعطلت الشعائر الدينية، وهدمت مواضع عبادة الملل المختلفة من معابد الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي شرفها الله بأنها يذكر فيها اسم الله كثيرًا، وفي هذا منّة من الله على المؤمنين.

(3) ﴿.. وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ ..﴾ [الحج: 44].

كان المفترض والجملة معطوفة على قوم نوح أن يقال قوم موسى؛ وذلك لأن قوم موسى من بني إسرائيل لم يقاوموه، بل قاومه وكذبه القبط من أهل مصر.

(4) ﴿.. فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ٤٦﴾ [الحج: 46].

الفائدة هي التأكيد، فالطبيعي والمعروف أن القلوب لا تكون إلا في الصدور، والتأكيد هنا كما في قوله سبحانه: ﴿.. يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ..﴾ [آل عمران: 167].



(5) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: 62].

بينما في سورة لقمان:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [لقمان: 30] بدون هو التي تستعمل للتأكيد، وذلك لأن في سورة الحج وقعت الآية بين عشر آيات كل آية منها مؤكدة مرة أو مرتين فناسبها التأكيد «هُوَ الْبَاطِلُ».

(6) ﴿.. هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ..﴾ [الحج: 78]

قد يعترض البعض أن في الدين رجمًا للزاني وقطع اليد للسارق وكثيرًا من الحدود أليس ذلك حرجًا في الدين؟

المراد بالآية الكريمة نفي المشقة عن شرائع الإسلام، أي ما جعل عليكم في الدين من ضيق ولا مشقة، ولا كلفكم ما لا تطيقون، وكذلك أن كل ما يقع فيه المسلم من معاصٍ، يجد له مخرجًا في الشرع بتوبة، أو كفارة، أو رخصة فكما قال الرسول ﷺ: «**إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**».

(7) ﴿.. وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج: 25]

المسجد الحرام هو الموضع الوحيد الذي يؤاخذ الله تعالى أحدًا من خلقه على الهم بالمعصية فيه؛ لأنه المكان المقدس الذي يجب أن يكون فيه الإنسان طاهر النفس خالصًا لله، فمن ينتهك حرمة الملك في حماه جدير بالعذاب الأليم.



سورة المؤمنون

مكية - 118 آية

نزلت سورة المؤمنون لتطمئن المسلمين، وتؤكد لهم أن الخير مستقبله منير، حتى وإن كانوا وقت نزول السورة لا حول لهم ولا قوة، فتتعلق أبصارهم بالآخرة. ففي السورة تأكيد على الارتباط الوثيق بين الأفعال ونتائجها الأخيرة.

روي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله عندما أتاه الوحي بأول سورة المؤمنون مكث ساعة ثم سرِّي عنه فتلى أول السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] إلى عشر آيات، ثم قال : من أقام هذه الآيات دخل الجنة، ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: «**اللهم زدنا ولا تنقصنا.. وأكرمنا ولا تهنا.. وأعطنا ولا تحرمنا.. وآثرنا ولا تؤثر علينا.. اللهم أرضنا وارضَ عنا**»، وهذه الآيات المذكورة أول السورة هي مزيج من العبادات والمعاملات، أي هي عقائد وأخلاق، وقد تكرر ذكرها في وسط السورة في ثوب آخر. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: 57-61].

أما الكفار فإن سيرتهم شرحت باستفاضة في أواخر السورة، كما ذكرت السورة مصائرهم في الأمم السابقة، وهذا **تأكيد للارتباط الوثيق بين الأفعال ونتائجها الأخيرة،** فالشر مستقبله مظلم حتى ولو كان حاضرة خادعًا، فالجزاء الموعود يأتي بعد فترة يقضيها البشر على ظهر أرض يتم فيها اختبارهم، وقد وصفت هذه الفترة وصفًا يبعث على الإيمان



بالله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾ [المؤمنون: 12-16].

ثم استعرضت السورة جحود الأوائل لفضل الله وتكذيبهم للرسل، نوح عليه السلام وقومه (23- 30)، ثم هود عليه السلام وقومه (31-41)، مرورًا على موسى وعيسى عليهما السلام ثم نداء للرسل جميعًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾ [المؤمنون: 51-52]، فالرسل لم يكلفوا الناس ما لا يطيقون أبدًا، فما أسهل أن تترك الخبيث وتفعل الخير، وبذلك أشار سبحانه بعدها: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢﴾ [المؤمنون: 62].

ثم جاءت رسالة محمد الخاتمة، ولكن العرب لم يؤمنوا به أول الأمر وكذبوه، فاستنكرت السورة موقفهم في وصف رائع: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠﴾ [المؤمنون: 68-70]، إن تطاول قريش على الحق يرجع إلى أن بطر العيش ورغده أعماها عن الحق، حتى إن الرسول دعا عليهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي قال: «**اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف**» (رواه البخاري) حتى يرجعوا للحق، وكلما تأخر إصلاحهم ازداد البلاء عليهم لأنهم كما قال فيهم عز وجل: ﴿۞وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥﴾ [المؤمنون: 75]، ومع ذلك ظلت قريش منتصرة نحو عشرين سنة يحاربون الرسول

وصحبه حتى خارت قواهم وسقطت دولة الكفر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧﴾ [المؤمنون: 77]، وهذه تعتبر نبوءة لما سيحدث لزيادة طمأنة المسلمين، حيث إن السورة مكية، أو أنه تهديد لحمل الكافرين على الرشد، ولذلك يعود سياق السورة إلى مناشدة العقل في عدة أسئلة موجهة للمشركين:

﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥﴾ [المؤمنون: 84-85].

﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧﴾ [المؤمنون: 86-87].

﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: 88-89].

فعقيدة التوحيد وليدة فكر ثاقب، وقد يبقى المرء على ضلاله تمسكًا بميراث الآباء أو صريعًا لشهواته، لذلك أشعره الله أنه ليس بخالد في الدنيا، فلا يخشى الموت فإنه سيندم ويتمنى أن يرجع: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ [المؤمنون: 99]، وطلب الرجوع إلى الدنيا لاستئناف حياة أشرف، تكرر في القرآن عشر مرات أو أكثر، وقد تكرر في سورة المؤمنون مرتين، مرة عند مجيء الموت ومرة عند مجيء الحساب: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: 105-107].

ولعل هذا الطلب المتكرر يكون ردًا على من يقول بعقيدة الجبر، وأن الإنسان مجبر أو مُسيّر وليس مُخيرًا، ويزعم أن الجزاء مكتوب لا سبب للإنسان فيه، وهؤلاء يظلمون



الإسلام بتهاونهم وتكاسلهم، وقد جاء ختام السورة تكذيبًا لهؤلاء الكسالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون: 115-116].

فالله سبحانه أجل من أن يظلم أحدًا، منحنا الحياة وعقل كاشف، ووحي هادي للحق، كي يتعرف المرء على ربه، في حالة اليسر والعسر، ويستعد للقائه بعمل صالح، فإن أبى فالعقاب عدلٌ، لايسمح فيه بأعذار.

■ لطائف من سورة المؤمنون:

(1) ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧﴾ [المؤمنون: 67].

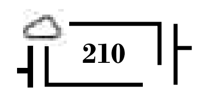
الهاء في به تعود إلى البيت الحرام، فقد اشتهر أهل مكة بالاستكبار به وافتخارهم بولايته، وكانوا يجتمعون حول البيت يتسامرون بالليل (سامر اسم جمع مثل حاج)، والهجر - بالفتح - هو الهذيان، أي كانوا يهذون ويسخرون في جلسات سمرهم حول البيت في شأن القرآن الكريم.

(2) ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧﴾ [المؤمنون: 97].

همزات الشياطين هي وساوسهم وسورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه.

(3) ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾ [المؤمنون: 104].

(الكالح) هو من تشنجت شفتاه، وبدت أسنانه من التعب والألم.



(4) ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ ..﴾ [المؤمنون: 50]

ابن مريم هي كنية المسيح عليه السلام والمسيح ليس اسمًا؛ ولكنه لقب ومعناه «المبارك» أما عيسى فهو الاسم واللقب في العربية، يأتي للمدح أو الذم.

إذن فلفظ «عيسى» يستعمل عندما يأتي ذكر التكليف والفداء، ولا نجد آتيناه البينات إلا مع لفظ عيسى.

أما لفظ «المسيح» سواء وحده أو المسيح عيسى بن مريم أو المسيح بن مريم، لم تكن في سياق ذكر الرسالة أو التكليف؛ وإنما تأتي في مقام الثناء والمدح وتصحيح العقيدة.



سورة النور

مدنية - 64 آية

بداية فريدة للسورة، لم تتكرر في القرآن الكريم: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: 1].

تكرر هذا اللقب (آيات بينات أو مبينات) في وصف الأحكام التي احتوتها السورة مرتين أخريين: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: 34].

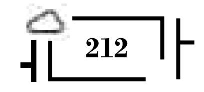
﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: 46].

ولا عجب في ذلك..

فالسورة تحدثت عن تنظيمات لبناء المجتمع الإسلامي على العفة والطهارة في مجالات عديدة:

* العلاقة بين الرجل والمرأة.
* عقوبات بعض الجرائم الجنسية.
* آداب نظر كل جنس للآخر.
* الزينات المباحة والمحظورة.
* الاستئذان قبل الدخول في البيوت.
* البيوت التي يجوز الأكل فيها ومع مَنْ.

هذه التعليمات كان لها أكبر الأثر في صون الأمة من الآثام.



وإذا نظرنا إلى حضارة الغرب في الوقت الحالي، نجد أنها تجرأت على المنكر، وتم دحرجة الأديان عن مكانتها في التربية، وتم إفساح الطريق أمام مذاهب لا إيمان لها، ويتربص الكثيرون إلى أن ينتهي الإسلام لهذا المصير، هؤلاء المتربصون يكرهون هذه السورة، فقد حرمت الزنا والتبرج والانحلال، وقد كشفت السورة موقفهم: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور: 47-48]، ولحماية المجتمع الإسلامي من هؤلاء يقول الحق سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: 52].

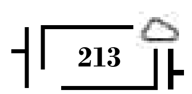
وحيث إن الحرب بين الفريق الضائق بالدين ويحتال لإسقاطه، والفريق الذي يربط الناس بربهم، هي حرب قديمة وأبدية، فإن الله يبشر الساعين في طريقه بالنصر في هذه المعركة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55].

على أن هذا التمكين يحتاج إلى مجهود وعمل، انظر كيف تحول رجل واحد إلى أمة رائعة تأخذ لربها قبل نفسها ما تريد، كيف تم ذلك، هذا ما توضحه الآيات:

﴿.. يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55]

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: 56].

هي وسائل لا يفهمها إلا رجال خرجوا من سلطان الدنيا، وارتفعوا إلى سيرة محمد وصحبه.



➤ حديث الإفك:

بدأت السورة بتقرير عقوبة الزنا وتحريم الزواج من البغايا، كما غلظت عقوبة قذف المحصنات، وشرحت شريعة الملاعنة، مبينة أن ذلك كله من فضل الله وحكمته وتوبته على عباده، وناسب في هذا المقام ذكر حديث الإفك، هذا الحديث كشف عما في صدور أعداء الإسلام من أحقاد وضغائن، وهو ما نبه إليه القرآن في سورة آل عمران: ﴿۞لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ [آل عمران: 186].

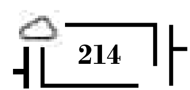
وفي هذه الواقعة افترى بعض المنافقين الكذب على السيدة عائشة أم المؤمنين، وطعنوها في أغلى ما تملك حتى قالت ظننت أن الحزن فالق كبدي، أما الرسول فقد أخذته الدهشة والحيرة، لولا أن أنزل الله براءة زوجته في وحي يتلى حتى آخر الدهر، وقد تضمنت هذه الواقعة عدة دروس مستفادة:

﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ [النور: 12].

﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾ [النور: 15].

وهذا يلفت النظر إلى خطورة ما نلقيه بألسنتنا، ونقوله بأفواهنا وننشره على وسائل الاتصال بدون أن نكون متيقنين منه، وهكذا أطفأ الله عز وجل نار الفتنة، بعد أن تركت في النفوس جراحًا، وهو مبدأ مهم في التعامل مع الشائعات.

تحدثت السورة عن آداب دخول البيوت ومراعاة حرمة أصحابها فلابد من استئناس وتسليم وإذن، واتسعت الدائرة لتشمل أيضًا الذين يطرقون من الخارج والمتنقلين بين الحجرات، لا يعرف أحد أي حضارة سابقة شرعت مثل هذه الآداب، بل إننا نشاهد في



الحضارة الحديثة أنه لا يبالي أحد أن ينظر من ثقب الباب أو يتجسس على جاره بدون أن يعرف.

ومضت السورة مع إشاعة العفاف وتأديب الغرائز إلى تأكيد ضرورة غض البصر وحفظ الفروج، هذا التشريع تقرر في الأديان السابقة ولكن الإسلام فصّله وأصّله، وتحدث عن المباح من الزينة وغير المباح منها، وهذا يتناقض أيضًا مع الحضارات الحديثة التي تصدر تقاليد العري وانتهاك الحرمات، فالإسلام اعتبر الزواج عبادة، وألزم الطبيعة البشرية أن تلتزم بالحلال وأن تبتعد عن الحرام.

إحصاء الآيات الخاصة بالآداب والسلوك يستغرق ثلثي السورة ولكن السورة سميت بالآية التي تتوسطها تتحدث عن البهاء الإلهي والمجد الذي لا يبلى، آية النور: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور: 35].

مثل نوره في أرجاء الكون أم مثل نوره في قلب المؤمن؟

بالأولى قال الإمام الغزالي: أي النور المادي الذي به كل ظهور، أي النور الذي تنكشف به الأشياء وتنكشف منه وله، فالله جعل اسمه النور الذي يخرج كل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود.

المعنى الثاني هو مثل نوره سبحانه في قلب المؤمن، في القلب العارف بالله، يرزق بصيرة يميز بها الصواب من الخطأ فيمشي ثابت الخطى، عند التأمل نجد أن كلا المعنيين متلازمان، فالذي يلمح في الآفاق نور ربه، تستقر هداياته ونوره في قلبه، ويتعلق قلبه بطاعة الله والسعي إلى إرضائه، أما الكافر فلا يعرف عن ربه شيئًا، ربما كان ذكيا في فهم

الدنيا، ولكنه محجوب عن رب الدنيا والآخرة: ﴿.. وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور: 40].

ولذلك استحثت السورة أولي الألباب أن ينظروا في الكون، فهذا ينمي الإيمان ويضاعف النور في قلوبهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٢﴾ [النور: 41-42].

ألا يغرينا ذلك أن تكون بعض الكون المسبح بحمد ربه.. !!

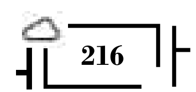
■ لطائف من سورة النور:

(1) ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ ..﴾ [النور: 2]

بينما في سورة المائدة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ..﴾ [المائدة: 38]، لماذا بدأ سبحانه في الزنى بالمرأة، وفي السرقة بالرجل؟

الزني من المرأة أقبح وجرمه أشنع، فبدأ بها ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ..﴾ [النور: 2] وأما في السرقة فالرجل عليها أجرأ، وهو عليها أقدر، ولذلك بدأ به ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ..﴾ [المائدة: 38] إذن فلماذا قدم الرجل في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ..﴾ [النور: 3] هذه الآية في حكم النكاح أي الزواج، والرجل فيه هو الأصل لأنه الراغب والمبادر في الطلب، بخلاف الزنى في آية إقامة الحد، فإن المرأة فيه هي الأصل، والله أعلم.

والمقصود أن الزاني لا ينكح إلا زانية هو زجر المؤمنين عن الزواج من الزواني بعد أن زجرتهم الآية السابقة عن ممارسة الزنا، وهذا أرجح الأقوال، وحرم ذلك على المؤمنين لما



فيه من احتمال أن تُدخل الزانية على الرجل ولدًا ليس منه، فلا يحل للمسلم العفيف أن يتزوج من امرأة غير عفيفة وهو يعلم، وكذلك لا يحل للمرأة العفيفة أن تتزوج رجلًا فاجرًا وهي تعلم.

(2) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ..﴾ [النور: 10].

تكررت أربع مرات مع اختلاف الأجوبة:

أ- الأولى في الآية العاشرة .. وجوابها محذوف تقديره لفضحكم: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [النور: 10].

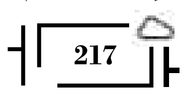
ب- في الثانية في الآية الرابعة عشرة .. جوابها في نفس الآية: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾ [النور: 14].

ج- في الثالثة في الآية العشرين... وجوابها لعجل لكم العذاب: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٢٠﴾ [النور: 20].

د- في الرابعة في الآية الحادية والعشرين.. جوابها في نفس الآية: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١﴾ [النور: 21].

(3) ﴿.. وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ..﴾ [النور: 33].

بالتأكيد إن إكراههن حرام وإن لم يردن تحصنًا، والغالب أن كلمة «إن» هنا بمعنى «**إذ**»، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم



مُّؤۡمِنِينَ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: 278]، وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: 139].

(4) ﴿.. يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ ..﴾ [النور: 35]

لصفاته وجودته يكاد الزيت يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءًا على ضوئه، كذلك يكون قلب المؤمن، يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورًا على نور.

(5) ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴿٦١﴾﴾ [النور: 61].

كان المسلمون إذا خرجوا للحرب تركوا وراءهم أصحاب الأمراض المزمنة أو ذوي العاهات، وكانوا يسمحون لهم بالدخول إلى منازلهم والأكل فيها، فكانوا يتحرجون من ذلك، وقالوا لن ندخلها وهم غائبون عنها، فنزلت الآية رخصة لهم.

﴿.. بُيُوتِكُمۡ ..﴾ [النور: 61] هنا المقصود بها بيوت أبنائكم، وكذلك كان بعض العرب يتحرج أن يأكل وحده حتى يجد له أكيلًا يؤاكله فيأكل معه.. (أشتاتًا بمعنى وحدكم).



(6) ﴿.. وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ ..﴾ [النور: 58]

الأمر لأوليائهم - حيث إنهم غير مكلفين بعد - ليؤدبوهم على ذلك.

(7) ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا ..﴾ [النور: 60]

القواعد من النساء هن اللاتي قعدن عن طلب الزواج لكبر السن، فيجوز لهن التجرد من الثياب التي تزيد عن سترهن في حضرة الرجال.

(8) ﴿.. فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ ..﴾ [النور: 61]

أي قولوا السلام - من الله - علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن الملائكة ترد عليكم، هذا إن لم يكن بها أحد، وإلا فقولوا: السلام عليكم.

(9) ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ..﴾ [النور: 40]

دوران الأرض حول نفسها يؤدي إلى وجود تيارات مائية في أعماق المحيطات، وهذه التيارات تتحرك كأمواج داخلية نتيجة اختلاف درجات الحرارة بين مياه المحيطات الحارة والباردة. أما الرياح فإنها تسبب الأمواج العليا التي نراها على السطح.

(10) ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ..﴾ [النور: 15]

الطبيعي أن نتلقى الكلام بالأذن، ثم يستوعبه القلب ثم نقول باللسان.

أما أن نتلقاه باللسان فهذا يعني أننا أخذناه من فم القائل ثم نردده دون إمراره على العقل والقلب، «من المنتج للمستهلك مباشرة!».



سورة الفرقان

مكية - 77 آية

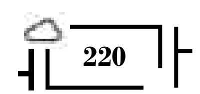
من حق الله علينا أن نعرفه من آثاره التي تدل عليه، ومن خطواتنا التي تهدينا إليه، ومع ذلك فقد شاء رحمة منه وفضلًا أن يبعث لنا رسلًا من أنفسنا، نأتنس بهم ونتعلم منهم.

وحين أرسل خاتمًا لهم جامعًا زبدة تعاليمهم، يصحب الحياة في مسيرتها الباقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، حين أرسل الله محمدًا، وصف نفسه عز وجل بما هو أهله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ٢﴾ [الفرقان: 1-2].

هذه الصفات كذبها الجاهلون بالله والجاحدون له، وأنزل الله في سورة الفرقان إحصاء لهذه الشبهات:

1- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ٤﴾ [الفرقان: 4]، لماذا لم يدّعي من أعانه الرسالة لأنفسهم؟ هل أعانه اليهود على فضح أكاذيبهم أو أعانه النصارى على نفي التثليث؟

2- ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧﴾ [الفرقان: 7]، لا يعيب الرسول ذلك، فهذه طبيعة الناس، وماذا يفعل ملك مرسل معه، أينوب عنه في البلاغ، فإذن لايوجد سبب أن يختاره الله مادام عاجزًا هو نفسه عن الإبلاغ.



3- ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴿٨﴾﴾ [الفرقان: 8].

4- ﴿۞وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: 21-22]، أي تقول الملائكة للمجرمين يومئذ لا بشرى لكم، فالجنة محجورة عنكم، ولا قيمة لما قدمتم من أعمال فقد جعلها الله هباء.

5- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: 32].

6- ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴿٤١﴾﴾ [الفرقان: 41]، وفي هذا اعتراف بأن القرآن زلزل معتقداتهم، فتراجعوا بالرغم من استبانة الحق، وألح عليهم العناد فبقوا على باطلهم.

➤ السورة تعاملت مع هؤلاء الكفار بأسلوبين:

الأول: تخويفهم مما أصاب الأمم الأولى أن يصيبهم، فحكت السورة لهم بإيجاز مصير الفراعنة وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس - وهم قوم كانوا يفلحون الأرض حول بئر لهم - ثم تذكيرهم بهلاك قوم لوط (35-40).

والثاني: إثارة العقل حتى يستيقظ، وهو أسلوب أوقع وأخلد، وقد استخدمه القرآن كثيرًا:

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: 46] كل شيء له ظل يتبعه، هل يتفكرون في لطافة القدرة الإلهية التي تصنع ظلًا دون جهد ولا تكلف.



﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: 47].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان: 48-49].

وشرعت السورة تصف اثنتي عشرة وصية هي من خصائص عباد الرحمن، تصور السلوك الإسلامي المطلوب، وذلك في الآيات من 63 حتى آخر السورة، نلحظ منها:

(1) المشي الهون لا يعني البطء أو التهاون، إنما يعني الاعتدال وعدم التكلف: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا ..﴾ [الفرقان: 63].

(2) ملاقاة خصام الجاهلين بالسلام والتجاوز، فمخاطبة الجاهلين تنطوي على الشراسة: ﴿.. وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: 63].

(3) لابد من نوم يعين على العمل، المهم المحافظة على صلاة العشاء ونوافلها ونستيقظ قبل الفجر لنستفتح النهار بخير، قال النبي : «**إذا صلى المرء العشاء والفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله**»، ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: 64].

(4) كل مسلم عليه أن يعمل جاهدًا ليزحزح نفسه عن عذاب جهنم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: 65-66].

(5) البخل والشح خسة والإسراف سفه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: 67].

(6)، (7)، (8) ثلاث جرائم تنتشر بين الناس على تفاوت، قد يكون أولها الزنا، ثم عبادة النفس والهوى، ثم قتل النفس، ومن أساء يستطيع الإحسان، والتوبة مفتوحة للجميع:



﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ٦٨﴾ [الفرقان: 68].

(9)، (10) المشغول بالجد لا يشهد زورًا، والمربوط بالحق لا يقول لغوًا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ٧٢﴾ [الفرقان: 72].

(11) تلاوة القرآن تتطلب يقظة القلب، وحضور الوعي، وتذوق المعاني، فمن قرأ وهو غائب الفؤاد لم يستفد شيئًا من حركة اللسان: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣﴾ [الفرقان: 73].

(12) استقرار العين على الزوجة هو أساس العفة والطهر، واستقرارها على الذرية هو أساس الرضا، وحصانة من الحسد: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: 74].

■ لطائف من سورة الفرقان:

(1) ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان: 1].

تبارك هذه كلمة لا تستعمل إلا لله بلفظ الماضي، وذكرت في هذه السورة في ثلاثة مواضع تعظيمًا لله تعالى:

الأول عند ذكر القرآن: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان: 1].

والثاني عند ذكر النبي ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ١٠﴾ [الفرقان: 10].



والثالث عند ذكر البروج: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: 61].

(2) ﴿.. وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: 3].

قدم الضر على النفع لمناسبة مابعده من تقديم الموت على الحياة، أما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ..﴾ [الفرقان: 55] فقد قدم النفع على الضر موافقة لقوله قبلها: ﴿.. هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ..﴾ [الفرقان: 53]، والله أعلم.

(3) ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: 14].

الثبور هو الهلاك، يدعوا المكذبون بالساعة على أنفسهم بالموت ويتمنونه من شدة ما يلاقون من العذاب في السعير، التي يلقون فيها مصفدين بالحديد، وزيادة في إحباطهم من حصول ما يتمنونه من الهلاك المنجي لهم مما هم فيه، يقال لهم ادعوا أدعية كثيرة، فإن ما أنتم فيه من العذاب أشد من ذلك لطول مدته وعدم انتهائه.

(4) ﴿.. وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: 20].

كان الشريف إذا أراد أن يسلم ورأى من هو أقل منه مرتبة قد أسلم قبله، أقام على كفره عنادًا واستكبارًا.



(5) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤﴾ [الفرقان: 54].

النسب: هو الولادة وما نشأ عنها من علاقة.

والصهر: هو العلاقة الناشئة من الزواج.

وقرابة الزوجة : هم الأختان.

وقرابة الزوج: هم الأحماء.

وعلاقة الأصهار تعمهما.

(6) ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧﴾ [الفرقان: 57].

أي ما أسألكم على إبلاغ ما أنزل إلي من أجر إلا من أراد منكم أن يتخذ طريقًا إلى الله، فأنا أدله على ذلك، وتذكرنا الآية بآيات مشابهة: ﴿.. قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣﴾ [الشورى: 23] أي احفظوا قرابتي فيكم ولا يكن غيركم من العرب أولى بنصرتي منكم: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧﴾ [سبأ: 47].

(7) ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ [الفرقان: 72].

أي لا يشهدون شهادة كاذبة، أو لا يحضرون أو يشهدون الكذب والباطل، ولا كذب فوق الشرك بالله فهو أعظم الزور، ويتسع المجال لحضور حفلات فيها مجون ولغو، واللغو هو كل ساقط من قول أو فعل، فإذا مروا عليه أعرضوا عنه.



(8) ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا۝٣٠﴾ [الفرقان: 30].

التفسير الشائع مهجورًا أي متروكًا، اسم مفعول من هجر أي ترك.

التفسير الأقرب للصواب أنه اسم مفعول من الهجر، وهو الهذيان بفاحش القول أي إن قومي قالوا عن القرآن أقوالا فاحشة باطلة مثل أنه سحر وشعر وأساطير؛ ولهذا كانت الآية التالية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا۝٣١﴾ [الفرقان: 31].

والدليل أن لفظة الهجر تكررت في سورة المؤمنون بنفس هذا المعنى عند الحديث عن آيات القرآن ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ۝٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ۝٦٧﴾ [المؤمنون: 66-67]. فكان أهل مكة يفتخرون بولايتهم للبيت الحرام ويستكبرون به وهم مجتمعون حول البيت يتسامرون بالليل (سامر اسم جمع مثل حاج)، وفي تسامرهم يهجرون أي يفحشون بالقول في شأن القرآن الكريم، ولذلك فالآية التي تليها وترتبط بها: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ۝٦٨﴾ [المؤمنون: 68] لا علاقة لها بترك القرآن من قوم النبي ﷺ.



سورة الشعراء

مكية - 227 آية

➤ أعرض جمهور المشركين عن الإيمان بالرسالة الخاتمة..

وكلما شعروا بمزيد حرص الرسول على إيمانهم، ازداد تكذيبهم ومكابرتهم، كأنما أرادوا إحزانه وإدخال الكآبة على نفسه..

فجاءت سورة الشعراء: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ٣﴾ [الشعراء: 3].

ثم جاء الوعيد مواساة له: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ٤﴾ [الشعراء: 4].

ولكن كلمة الله قضت أن تكون آية محمد وحيًا يُتلى تستمع إليه أجيال المستقدمين والمستأخرين، وهو مخاطب العقول ويهدم الخرافات، وما أكثر الآيات من حولهم لو كانت لهم بصيرة، ولكن هيهات.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ٩﴾ [الشعراء: 8-9].

الآيتان الأخيرتان تكررتا ثمان مرات في السورة، مرة واحدة بعد آية مكانية في الأرض التي نعيش فوقها ومنها بدأنا وإليها نعود، وسبع مرات بعد آيات زمانية تحكي عن أحوال الأمم السابقة التي كذبت الرسل، حيث تضمنت السورة جملة الأمم القديمة موسى عليه السلام وفرعون، إبراهيم عليه السلام مع قومه، وكذلك قصص عاد وثمود وأصحاب الأيكة، ظهرت فيها جميعًا وحدة العرض الحسن المنزه عن كل غرض ووحدة الرد السيئ المشوب بالعناد والغرور، وفي كل قصة منظور جديد للحكاية:



ننظر أولًا في قصة موسى ﷺ، في السورة حوار رائع مثير للانتباه، بين فرعون الذي يتساءل فيه عن الله من هو، إنه يسأل عن كنه الله وذاك مستحيل، فنحن لا نعرف كنه أنفسنا فكيف نعرف خالقنا؟، ولذلك جاء الرد بالإجابة الممكنة: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ۝٢٧﴾ [الشعراء: 23-27].

الإجابة بما يدل على عظيم القدرة الإلهية، وبالرغم من استهزاء فرعون بالرد فقد مضى موسى ﷺ في رده المفحم، فأوضح أن فرعون مربوب وليس برب كما يدعي، فهو مخلوق كخلقكم، فلم يجد فرعون ردًا سوى أن يتهم موسى بالجنون، قاصدًا مغالطة للناس وإيقاعهم في الحيرة، كأنه يقول أنا أسأله عن شيء وهو يجيب شيء آخر، فلم يشغل موسى ﷺ نفسه بالرد على تهمة الجنون ومضى في تعظيم الله عز وجل وإظهار صفاته العليا، فلجأ فرعون إلى استعمال القوة لإكراه موسى ﷺ على ترك رسالته، ثم توالت الأحداث المعروفة، ويلفت نظرنا في قصة موسى ﷺ والسحرة ثقة فرعون بالانتصار وطلبه أن يجتمع الناس ليشهدوا هزيمة موسى ﷺ فلا يؤمنوا له، فكان ذلك من عناية الله لتظهر دعوة موسى ﷺ ويعلم بها الناس، **وموقف السحرة يثير العجب**، فقد انتقلوا في لحظة قصيرة من الارتزاق بالضلال إلى قمة التضحية بكل شيء في ذات الله، فسبقوا سبقًا بعيدًا، فهم في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء بررة، أما فرعون فقد بقي على عناده وحاول إيهام الناس أن ما شاهدوه ليس سوى سحر من كبير السحرة، فلا يظنوا أنه من فعل الرب الذي يدعو إليه، فعاقبه الله بالغرق، فانتهت قصة ألوهية كاذبة عربدت حينًا ثم لفظت أنفاسها بين الماء والطين، وفي هذا مواساة وتعزية وتقوية للرسول إزاء تكذيب قومه له.



في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، نرى إيمانه السائغ السهل عندما يتحدث عن ربه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشعراء: 78-82].

أي إيمان سهل وسائغ بالمقارنة بتعقيدات الفلاسفة، ونلحظ أن المشركين الذين جعلوا الآلهة الأخرى وسطاء شفعاء عند الإله الأعظم، سرعان ما سووهم به بل وذكروهم دونه، وهو ما سيندمون عليه عندما يتحادثون في النار: ﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ۝٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ۝١٠١﴾ [الشعراء: 96-101]، وذلك نراه في الحضارة الحديثة أيضًا التي يغلبها النسيان فهي في ولعها بالحياة وملذاتها تكاد لا تذكر الله إلا قليلًا.

وفي قصة نوح عليه السلام نلحظ كأنما بذور نظام الطبقات وجدت من فجر الإنسانية: ﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ۝١١١﴾ [الشعراء: 111]، وهذا شبيه بما طلبه مشركو مكة: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢﴾ [الأنعام: 52]، مع أن قصة الإيمان والكفر ليس قصة أغنياء وفقراء، فقد آمن لمحمد أغنياء وفقراء، وجمعتهم الصلاة في صفوف مسوّاة، ورضي كلٌّ منهم بالاختبار الإلهي الذي تعرض له.

في قصة عاد وثمود نجد أنها أقرب القصص إلى طبيعة العصر الحاضر، فقد استمتعوا بالحياة على نحو مفرط، يتطاولون في البنيان، وإذا وقع بأيديهم ضعيف بطشوا به، فلا يخافون قصاصًا، فمن يقدر عليهم، وهذا ما أغضب الله عليهم، ونحن نشهد في

العصر الحاضر من يفعل فعلهم ويتمادى في شهواته وينسى وصايا ربه ويذهل عن لقائه، فما ظننا برب العالمين؟

أما قوم لوط، فالحضارة الحديثة أباحت وشرعت الشذوذ الجنسي، ولما بدت نذر الموت من مرض الإيدز، ما صاح أحد بضرورة العفاف والتقوى، بل تضافرت الجهود لاستكشاف وسيلة تجمع بين اللذة الحرام والنجاة من العواقب المهلكة.. !!

ختمت القصص بشعيب وأصحاب الأيكة الذين أكلوا الحقوق واستحلوا المظالم فبادوا.

والأمة الإسلامية مكلفة بكل خير كلفت به الأمم الأولى..
وعلينا أن نتذكر دائمًا أن محمدًا صاحب رسالة عامة لسائر الخلق، وخالدة مدى الدهر، وقد جمعت ما تناثر من عظات وعبر من مواريث الأمم السابقة، واستبقته وحيًا يتلى إلى آخر الدهر.

- **لطائف من سورة الشعراء:**

(1) ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ۝٢٠﴾ [الشعراء: 20].

أي من الناسين كقوله تعالى: ﴿.. أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ..﴾ [البقرة: 282] أو من المخطئين لأنني لم أتعمد قتله، ولم يقصد موسى الضلال عن الهدى لأنه نبي، والأنبياء معصومون من أن يكونوا ضالين.

(2) ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ۝٢٩﴾ [الشعراء: 29].

لفظ فيه دوام واستمرار أكثر من قوله لأسجننك، كما أن فيه إرهابًا كأنه يقول لأجعلنك ممن عرفت حالهم وما هم فيه من عذاب من الذين أسجنهم.



(3) ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ٧٠﴾ [الشعراء: 70].

لمجرد الاستفهام فردّوا عليه قائلين نعبد أصنامًا، أما في سورة الصافات: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ٨٥﴾ [الصافات: 85] وماذا فيه مبالغة في الاستفهام، لتضمنها معنى التوبيخ، فلما وبخهم ولم يجيبوه، زاد على التوبيخ فقال: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ٨٧﴾ [الصافات: 86-87]، فذكر سبحانه في كل سورة ما يناسبها، والله أعلم.

(4) ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ٨٠﴾ [الشعراء: 80].

في معرض الثناء على الله، نسب المرض إلى نفسه تأدبًا مع الله كما في قول الخضر: ﴿.. فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ..﴾ [الكهف: 79]

(5) ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ١٥٧﴾ [الشعراء: 157].

إذا قلت كيف يعذبهم الله وقد ندموا، والرسول يقول الندم توبة، الإجابة أن ندمهم ندم خوف لا ندم توبة، كما أنهم ندموا عند معاينة العذاب، وهو ليس وقت للتوبة .

(6) ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ٦٢﴾ [الشعراء: 62].

يُجري القاضي البيضاوي في تفسيره مقارنة بين موسى عليه السلام عندما خاطب أصحابه في هذه الآية وبين ما قاله رسولنا لأبي بكر رضي الله عنه يطمئنه عندما كانا في الغار واقترب المشركون منهما: ﴿.. لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ..﴾ [التوبة: 40].

الفرق كبير بين المخاطب في الحالتين، فقوم موسى كانوا يناقشون رسولهم ويجادلونه في كل أمر وفي كل شأن، ومن هذا الجدال شكّهم في نصرة الله وأنهم مدركون، فكأن موسى



وقف والتفت إليهم وصاح فيهم نافيًا خذلان الله لهم بأن الله معه، وعبّر بصيغة المستقبل أن الله سينصره، أما المخاطب في الحالة الثانية الذي وصل إلى درجة الصدّيقين فكان يقبل ويسلم بكل كلمة تصدر من فم الرسول بدون أي تردد، فلم يتكلم بأي اعتراض، فقط شعر بالهمّ، فأظهر الرسول الكريم ثقته التي لا تعرف الحدود بالله تعالى.



سورة النمل

مكية - 93 آية

➤ السورة تؤكد على معنى عظيم:

إن فراغ الأرض من الظلمة ورسو قواعد الحق هو نعمة كبرى تستحق الشكر عليها، كما يستحق التحية أيضًا الأنبياء الكرام الذين صبروا وصابروا حتى انتهوا إلى هذه النتيجة المرضية.

وفي صدر السورة وصف لما فيها:

فهي آيات قرآنية وكتاب مبين، أي بان معناها واتضح إعجازها، هادية ومبشرة للمؤمنين.

وفيها خلاصة سريعة عن مصاير المؤمنين الذين لهم البشرى، والكافرين الذين لهم الضياع والخسارة..

وجاء تفسير ذلك في الجزء الأخير من السورة ولكن بعد إيراد أربع قصص:

عن موسى عليه السلام وفرعون، وعن سليمان عليه السلام وسبأ، وعن ثمود، وعن قوم لوط عليه السلام.

في قصة موسى طمأنة له أن الله غفر له قتل خصمه في مصر، وهو ما سيرد بالتفصيل في سورة القصص التالية، ثم يذكّر الفراعنة أن كفرهم بالله هو مع الإصرار والترصد فلا عذر لهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل: 14].

قصة سليمان عليه السلام حوت عجائب من عالم الحيوان، وقبل أن نشير إليها نذكّر بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي



ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: 38]، وهذه العجائب أشارت إليها السورة في آخرها: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: 93].

إذن فما العجب أن يحيط سليمان عليه السلام - بعلم الله - بلغات هذه الأمم فيسمع النملة، ويتحدث مع الهدهد، ويسخر العفاريت والجن بأمره: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴿١٦﴾﴾ [النمل: 16].

وبعد أن قص الله على نبيه مصائر بعض الأمم التي كذبت رسلها، أقبل عليه بهذا الخطاب: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ..﴾ [النمل: 59]، الحمد لله على هلاك المعتدين والظلمة وتطهير الأرض منهم، كما قال في سورة الأنعام: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: 45]، وهو محور السورة الأساسي، وجاء بعدها هذا الاستفهام لتقرير حقيقة عظيمة: ﴿.. ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴿٥٩﴾﴾ [النمل: 59].

ووجه القرآن للمشركين خمسة أسئلة تُرسي قواعد الوحدانية وتشرح الحقيقة لكل ذي لب:

هل يستطيع أحد القول بأنه خالق السماء ومنزل الماء: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴿٦٠﴾﴾ [النمل: 60].

أفلا يسوقنا إلى الله استقرار الأرض بمن عليها بلا اهتزاز وهي كروية، أربع أخماسها ماء، تنطلق انطلاقًا هائلًا في الفضاء حول نفسها وحول الشمس، ولا يهتز في أيدينا كوب



ماء: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النمل: 61].

هل يوجد أحد غير الله يسوق الخير ويكشف السوء ويجيب المضطر إذا دعاه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62].

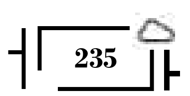
مَنْ مِنَ الآلهة المزعومة يهدي الناس في أسفارهم برًا وجوًا وبحرًا، ويرسل الرياح من الجهات الأربع: ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: 63].

هل هناك دليل أو برهان على أن أحدًا يستطيع أن يبدأ الخلق ثم يعيده ويرزق الناس من السماء والأرض: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: 64].

إن الإلحاد مرض وليس فكرًا، إنه غرور يرتكز على الأوهام، والفلسفة المادية السائدة الآن تدور حول فكرة، إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، والتي تولدت من الوثنيات القديمة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ۝ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [النمل: 67-69].

وقد كُلف النبي محمد أن يعترض هذا الضلال وأن يصور للناس الآخرة رأي العين، وأن يكوّن حضارة ربانية تؤمن بالله، وترتبط بالوحي، وتستعد للجزاء.

وفي السورة آية تذكر أنه بين يدي الفصل الأخير من رواية هذه الحياة سوف تخرج دابة من عالم الحيوان العجيب الذي حوت السورة الكثير من أعاجيبه، هذه الدابة سيلهمها الله النطق فتقول للبشر كيف نسيتم ربكم وأنكرتم خالقكم، ما هذا الكفر..؟:



﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾ [النمل: 82].

وانتهت السورة بحديث عن الآخرة والحساب العادل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾ [النمل: 89].

ولواء الدعوة إلى الله معقود على صاحب الرسالة الخاتمة: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾ [النمل: 91].

وسيكشف المستقبل الكثير من مستقبل الإسلام ومستقبل الكفر في هذه الدنيا المحدودة وفيما بعدها: ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢﴾ [النمل: 92].

■ لطائف من سورة النمل:

(1) ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾ [النمل: 1].

في سورة الحجر العكس: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١﴾ [الحجر: 1] وذلك جريًا على عادة العرب في التفنن في الكلام، فتذكر أساليب متعددة لروعة البيان والجمال.

(2) ﴿.. وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ ..﴾ [النمل: 16]

من كل شيء هنا معطوفة على المعجزة السابقة، وهي علمنا منطق الطير، **فمن كل شيء هنا هي من أسباب الدين والدنيا**، أما ملكة سبأ فقد وصفها الهدهد بأنها أوتيت من



كل شيء، فهي هنا معطوفة على ما قبلها «تَمْلِكُهُمْ»، **فمن كل شيء هنا هي من أسباب الدنيا فقط**، والله أعلم.

(3) ﴿.. أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ ..﴾ [النمل: 60] ذكرت في خمسة مواضع متتابعة:

ختم الأولى بقوله: ﴿.. بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾ [النمل: 60]، أي عدلوا عن الحق.

الثانية بقوله: ﴿.. بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾ [النمل: 61].

الثالثة بقوله: ﴿.. قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل: 62].

الرابعة بقوله: ﴿.. تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣﴾ [النمل: 63].

الخامسة بقوله: ﴿.. قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ [النمل: 64].

(4) ﴿.. وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧﴾ [النمل: 87].

أي صاغرين، أي صغار العبودية وذلها، لا ذل المعاصي والذنوب، وذلك يعم جميع الخلق بما فيهم الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، كما في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: 93]، والله أعلم.



سورة القصص

مكية - 88 آية

السورة مكية وبدأت - من خلال ما ساقته من أحداث وقعت لموسى عليه السلام وقومه - **بطمأنة المؤمنين على مستقبلهم، مؤكدة أن عاقبة الظلم مظلمة، وأن عاقبة الصبر جميلة، فالتاريخ يعيد نفسه:**

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥﴾ [القصص: 5].

فالكلام وإن كان حكاية من الماضى، إلا أنه يلقي سكينة في نفوس المسلمين الذين يعانون من أذي المشركين، وقد جاء في آخر السورة أن المطاردة التي أكرهت المسلمين على التفكير في ترك مكة سوف تتلاشى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥﴾ [القصص: 85]، وهذه الآية في الغالب نزلت في طريق الهجرة إلى المدينة، وقد تحققت وعاد المهاجرون فاتحين بعد أن خرجوا مقهورين.

سورة القصص التي افتتحت بأحوال موسى عليه السلام وقومه، تضمنت أمورًا لم تذكر في قصة موسى عليه السلام في السورتين السابقتين الشعراء والنمل:

فقد تضمنت ميلاد موسى عليه السلام والمحنة التي مر بها أول حياته: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾ [القصص: 7]، والمتأمل في الآية يجد فيها أمرين ونهيين وبشارتين، في أسهل نظم، وأوجزعبارة، فالآية من معجزات الإيجاز.



وقد كسا الله ملامح الطفل جاذبية تجعل من يراه يحبه، فكان ذلك سببًا أن يعود موسى عليه السلام إلى حضن أمه لترضعه.

وكبر موسى عليه السلام في قصر فرعون حتى لا يشب ذليلًا مثل قومه، وتعهدته الأقدار بما يرشحه لمستقبله الخطير، ولما عرضت له الحادثة التي قتل فيها بغير قصد رجلًا من غير بني جنسه، فر هاربًا إلى مدين، وتزوج من ابنة الرجل الصالح الذي آواه بعد أن عرف قصته، واليهود ينقمون من موسى عليه السلام أنه تزوج من امرأة ليست عبرانية، وهكذا انتقل من أمير في قصر ملكي إلى راعي غنم لسنوات عدة، والرجال العظام لا تنقصهم أو تزيدهم هذه المناصب، وإنما تزينهم خِلال المروءة والشهامة التي تبدو في رجولتهم، ويعرفها الناس من مسيرتهم.

كانت تلك فترة تأمل في حياة موسى عليه السلام، جعلها القدر استعدادً للأعباء التي ستلقي على كاهله في المستقبل القريب: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٢٩﴾ [القصص: 29].

وتحول راعي الغنم إلى رسول كريم مكلف بتحرير شعب وتبليغ رسالة، وكان لقاء موسى عليه السلام بالسحرة يومًا مشهودًا، شرح في سورة الأعراف وسورة طه وسورة الشعراء، ولكنه طوي بسرعة في سورة القصص، ولكن شيئًا آخر ذكر مكانه، فقد طلب فرعون من وزيره هامان أن يبحث في السماء عن إله موسى !!: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ [القصص: 38]، وقد تكررت هذه الحماقة في عصرنا، فقد زعم أحد رواد الفضاء الروس أنه بحث عن الله في جو السماء فلم يجده، إن الكفر ضلال بعيد، كيف يبحث عن الله في الجو وآياته في الأرض أقرب إلينا من آياته في السماء، ولكنه العمي الذي طمس الأفئدة.

انتقل السياق من الكلام في السورة عن موسى عليه السلام، إلى الكلام عن محمد، نبي العقل والنور، صاحب الكتاب الذي بني الإيمان على الفكر والنظر والاستدلال والاستقراء، كيف جاءت محمد هذه الأنباء، وهو أمي نشأ في مكة: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص: 44]، وبالرغم من تأييد الله نبيه بكتاب صحح الرسالات الأولى، فقد طلب كفار مكة خوارق كالتي صاحبت رسالة موسى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص: 48]، أما أهل الكتاب فقد طالبهم الوحي بالإنصاف: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: 52-54].

وفي الحفاوة بالمؤمنين من أهل الكتاب قال الرسول: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مولاه، ورجل كانت عنده جارية فأحسن تأديبها وأعتقها وتزوجها**» (البخاري 4699).

أما وثنيو الجزيرة العربية فقد أعلنوا على الدين الجديد حربًا ضارية تألم لها الرسول، فقال الله له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]، وقيل أن هذه الآية نزلت في عم الرسول، الذي كان يعلم صدق ابن أخيه، ولكن انسياقه مع العرف السائد جعله يأبى الدخول في الإسلام، ومثل ذلك ما روي عن واحد من رجالات قريش الذي قال نخاف أن نتبعك فتخرجنا العرب من أرض مكة: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا

ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص: 57].

وبعد مشاهد عن يوم القيامة تمثل ما يلاقيه المشركون من ذل وهوان، جاء كلام عن الله الحق أنه خالق البشر ومنشئ الخصائص التي يتفاوتون بها، والتي يصطفي على أساسها من يشاء ويؤخر من يشاء.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: 68].

ثم تحدث عن النظام الذي خطه الله لهذا الكون الذي يحيا فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [القصص: 71]، فالله جعل الظلمات والنور لكدح طويل، يسأل كل أمرؤ بعده عما قدم وأخر، ويستوي فيه الجميع.

وجاء بعد ذلك حديث عن الطغيان الرأسمالي متمثلًا في قصة قارون الذي بلغ من الغني حدًا هائلًا، فأستكبر وكفر، المال في حد ذاته ليس شرًا محضًا ولا خيرًا محضًا، إنه أداه قد تحمد أو تذم وفقًا لطريقة استعمالها، إنه اختبار من الله يؤدي حقه فيه، وفتنة المال قاسية، فمن أوتي مالًا يجب عليه شكر الله على ما أعطى، ولا يرى فيه استعلاء أو تطاول على الآخرين، والعلاج الصحيح في تعاليم الإسلام: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: 83]، جاءت الآية بعد أن تحدثت السورة عن طغيان فرعون السياسي الاستبدادي، وطغيان قارون الرأسمالي الكانز للمال، ثم شرحت النهج السوي: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص: 84]

إذن فالحياة لا تصلح بغير دين، والرسالة موجهة للمسلمين في تصديهم وصبرهم على الأذى، والمتأهبين لليوم الآخر بالعمل الصالح، وما دام المرء بالله مؤمنًا فهو ناجح بما فعل من عمل صالح، فالعلم النظري بوحدانية الله لا يكفى، وهذا ما ختمت به السورة بخطاب للرسول يزلزل النفوس ويبين ثقل الحمل على الرسول: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: 86-88].

■ من لطائف سورة القصص:

(1) قال ابن مسعود عن الفراسة: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين اختار عمر ليخلفه، وصاحب يوسف عليه السلام عندما قال أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا، وصاحبة موسى - زوجته فيما بعد - عندما قالت يا أبتِ استأجره.

(2) ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: 29-30].

في سورة طه: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه: 10-12].



في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل: 8-9].

القصة لم تقع إلا مرة واحدة، وحكى الله عنها بعبارات مختلفة، وهذا من باب التفنن في الكلام، تسلية للسامع لكيلا يمل من التكرار.

(3) قوله تعالى: ﴿.. فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ ..﴾ [القصص: 7].

الخوف غمٌ يصيب الإنسان لأمر يتوقعه في المستقبل، والحزن غم يصيبه لأمر وقع ومضى.

(4) ﴿.. وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٧٨﴾ [القصص: 78].

لعلمه تعالى بها فلا يسألون سؤال استفهام ولا سؤال استعتاب: ﴿.. وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ۝٨٤﴾ [النحل: 84]؛ ولكنهم يسألون سؤال توبيخ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر: 92-93].



سورة العنكبوت

مكية - 69 آية

➤ **يسميها العلماء سورة الابتلاء.**

السورة نزلت في أواخر العهد المكي، تلمس في آيات كثرة منها الترغيب في الهجرة التي هي ابتلاء، وحث المتخلفين من المسلمين على المضي قدمًا فيما دعاهم إليه الرسول من الهجرة إلى المدينة:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2].

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: 56].

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 57].

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [العنكبوت: 62].

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64].

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: 60].

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

والابتلاء طبيعة هذه الدنيا التي نمر بها عابرين، ويتفاوت هذا الاختبار حسب الطبائع والأقدار والمهمات كما قال الشاعر:

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ ... وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المكارِمُ



والتصدي لمن يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، ومقاومة التقاليد الراسخة من الشرك بالله، وإعادة الناس إلى ربهم الذي تاهوا عنه، كلها تكاليف شاقة ألقيت على عاتق الرسول ومن تبعه من المسلمين، فنهضوا بها ولم يتقهقروا حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا.

وتذكيرًا لمن يستعجل ثمرات هذا الجهاد، ذكرت السورة أن نوحًا ﵇ ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وذكرت أيضًا ما إتبعه إبراهيم ﵇ في منهجه للدعوة: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ [العنكبوت: 19-20]، وذلك ليتعلم الدعاة المنطق العقلي في التعريف بالله .

وأوضحت السورة كذلك مبدأ في غاية الأهمية في أسلوب الدعوة إلى الله: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ [العنكبوت: 46]، وفي السياق نفسه ردت السورة على شبهة طالما أثارها الوثنيون عندما طالبوا بخوارق العادات: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَ لَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [العنكبوت: 50-51]، فالقرآن الكريم معجزة باقية على مر العصور، لها أثر عميق لا مثيل له في إنشاء علاقة بين المرء وربه تقوم على التقوى واليقين.

ومضت السورة تحصي أممًا تمردت على الله وكرهت مناهجه، فماذا وقع لها، هل هذه القوي المرهوبة في زمانها وقفت أمام العقوبات الإلهية؟ ... كلا ... فكما تعصف الريح ببيت العنكبوت عصفت بكيانهم فصاروا هباءً: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: 43].

فليتحمل المسلمون المضطهدون المجاهدون هذه الأعباء لرفع راية التوحيد، ولا يتكاسلوا عن اتباع الرسول في الهجرة كما أمرهم، وليثقوا بالمستقبل إما في هذه الدنيا أو في يوم الجزاء، فإذا قيل للتاجر الصغير في مكة أغلق دكانك وهاجر لتقيم دولة الإسلام، عندئذ يتساءل التاجر الصغير كيف سأعيش هناك، يكون الجواب: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ۝٦٠﴾ [العنكبوت: 60]، وتتم الهجرة، ويتعاون المهاجرون والأنصار، ويتحقق النصر بعد ابتلاء صعب.

- **لطائف من سورة العنكبوت:**

(1) ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ۝٨﴾ [العنكبوت: 8].

مشابه لقوله في سورة الأحقاف: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ۝١٥﴾ [الأحقاف: 15].

وأيضا في في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ۝١٤﴾ [لقمان: 14] (حيث حذف لفظ الإحسان)، في الآيتين الأوليين جاءت التوصية إجمالًا، أما في سورة لقمان جاءت مفصلة بعد وصايا لقمان لأبنه ومن ضمنها ماجاء بعدها أن أشكر لي ولوالديك، فقام ذلك مقام لفظة الإحسان، فحسن حذفها، والله أعلم.



(2) ﴿.. إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [العنكبوت: 17].

ذكر الرزق أولًا بدون **(ال)** أي إن الذين تعبدون من دون الله لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئًا من الرزق.

ثم كرر الرزق ثانيًا بالتعريف بـ **(ال)** تنبيهًا إلى أن الرزق كله بيد الله، فإنه هو الرزاق لا غيره.

(3) ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾ [العنكبوت: 67].

* **الحرم الآمن مكة**، أقدس بقعة على الأرض وأطهرها ومهبط الوحي

مكة كلها حرم، والصلاة في كل أرجائها بمئة ألف صلاة

مساحة الحرم المكى: 556 كيلو مترًا مربعًا.

طول محيط الحرم المكى: 141 كيلو مترًا.

عدد العلامات (الأعلام) في هذا المحيط: 1104 علامات.

* **الكعبة المشرفة**: ارتفاعها 15 مترًا.

طول الضلع الشمالي والجنوبي عشرة أمتار، طول الضلع الشرقي والغربي اثنا عشر مترًا، الباب في الضلع الشرقي على ارتفاع مترين، الحجر الأسود في اتجاه جنوب شرقي بارتفاع 1.5 متر

* **الملتزم**: بين الباب والحجر في الضلع الشرقي بعرض مترين، وهو موضع إجابة الدعاء.

* **السعي بين الصفا والمروة**: 400 متر.

* **عرفة**: على بعد 22 كليومترًا شرقي المسجد الحرام خارج حدود الحرم، مساحته حوالي 10.5 كيلو متر مربع.

* **جبل الرحمة**: شرقي عرفة بارتفاع 65 مترًا، وأطول أضلاعه أقل من 200 متر .

* **مزدلفة**: بين عرفة شرقًا ومنى غربًا، وتحدها الجبال شمالًا وجنوبًا، طولها من الشرق للغرب 4 كيلو مترات، في وسطها مسجد المشعر الحرام الذي يبعد 7 كيلو مترات عن مسجد نمرة بعرفة، ويبعد 5 كيلو مترات من مسجد الخيف في منى.

* **منى**: 7 كيلومترًا شرق المسجد الحرام، طولها من الشرق للغرب 3.5 كيلومتر.

(4) ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ٦٩﴾ [العنكبوت: 69].

كيف يهدي الله من جاهد في سبيله وهو أصلًا ممن هداهم الله، المقصود أن الذين جاهدوا أعداء الله، والنفس، والهوى، ابتغاء مرضاة الله تعالى، لنهدينهم طريق معرفتنا، وعبادتنا وطريق السير إلينا.



سورة الروم

مكية - 60 آية

القاعدة في القرآن أن الحروف المقطعة التي تبدأ بها بعض السور، يذكر بعدها الكتاب ووصفه، إلا في ثلاث سور:

العنكبوت: ﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ②﴾ [العنكبوت: 1-2].

الروم: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ②﴾ [الروم: 1-2].

القلم: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ①﴾ [القلم: 1].

➤ الحروف المقطعة التي تبدأ بها بعض السور:

** هي سر من أسرار الله في القرآن وفيها أقوال كثيرة.

والأغلب أنها إشارة إلى حروف الهجاء التي يتألف منها كلام العرب، تحداهم الله أن يأتوا بمثله وهو الذي لم يخرج من كلامهم، فيكون عجزهم عن ذلك أبلغ في الحجة عليهم.

** كيف تنطق الحروف في قواعد التلاوة:

عدد حروف الفواتح 14 حرفًا منها ثمانية مجموعة في **(كم نقص عسل)**، تمثل المد الحرفي اللازم، فتمد ست حركات.

ومنها خمسة مجموعة في **(حي طهر)**، تمد مدًا طبيعيًا أي حركتان.

الحرف الأخير هو الألف ولا مد فيه.

تدرب الآن على نطق الفواتح التالية: كهيعص - المر - الر - طه - يس - ن - ق.



قبل هجرة النبي بأعوام، تلقي الروم هزيمة قاسية من الفرس، خسروا فيها مصر والشام واليمن، فرح بذلك كفار مكة وافتخروا على المسلمين؛ لأن الذين ليس لهم كتاب هزموا أهل الكتاب، وكان المسلمون يتمنون أن ينتصر الرومان المسيحيون أهل الكتاب الذين أيدوا المسلمين حين هاجروا إليهم في الحبشة، حين ذلك كان أهل الأرض جميعًا على ثقة من غروب شمس الروم، الصوت الوحيد الذي وقف ضد هذه الثقة هو القرآن الكريم، الذي تنبأ بانتصار الروم بعد ذلك ببضع سنين، وقد تحققت النبوءة كما قال القرآن، وفرح المسلمون بنصر الله للروم، ثم انتصرت **الفطرة** بعد ذلك، ودخل الكثير من أهل الكتاب أفواجًا في دين الله بعد فتح الشام ومصر.

إن مواثيق **الفطرة** التي تهدي الناس للإنسياق للعقل وتشرح صدورهم للإسلام سبق ذكرها في سورة الأعراف، لكنها شرحت باستفاضة في سورة الروم، فعلم الناس أن الإسلام هو **الفطرة** السليمة والطبيعة الإنسانية السليمة.

وقد شاء الله عز وجل أن يختبر الأحياء في الدنيا، ثم يسألهم عن أعمالهم في الآخرة، وحتي لا يضلوا أرسل لهم الآيات الشاهدة عليه، فذكر ست آيات متعاقبة وسابعة مفردة في سورة الروم، وكلها من مواثيق **الفطرة**: (25 - 20) متتابعة ثم الآية (46) منفردة، كل آية منهم تبدأ بـ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ ..﴾ [الروم: 20].

هذا الجو العلمي العقلاني الذي يخلقه القرآن، يبعث على الإيمان، ولكن هناك قومًا وصفهم الحق بأنهم: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ٧﴾ [الروم: 7]، وهؤلاء كثر وجودهم في عصرنا الحالي، وذلك دليل على عجز حملة الوحي عن العمل به وتبليغه، أما النفس السوية فهي تعرف ربها، ويشدها إليه إحسانه، وإذا حدث أن باعدها الشيطان عن ربها، لا يتركهم القرآن يهلكون، إنه يناشدهم العودة إلى سبيل **الفطرة**: ﴿۞مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ٣٢﴾ [الروم: 31-32].

عقب حديث الفطرة، جاء حديث آخر عن السراء والضراء: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ۝٣٣ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ۝٣٤﴾ [الروم: 33-34]، والواقع أن المرء مكلف بالشكر في السراء، والصبر في الضراء، ومعاملة الناس على أساس ما أوتي؛ ولذلك قال الحق: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ۝٣٨﴾ [الروم: 38].

وفتنة الفقر والغني طحنت العالم من قديم، ومسالك الرأسمالية والاشتراكية تدفعان الناس إلى مسالك الكراهية والغل، كأن كلا الفريقين يحسب أن الحياة لا تصفو له إلا على أنقاض الآخر: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝٤١﴾ [الروم: 41]. والمقصود بالبحر هو المدن والقرى التي تطل على البحر أو النهر، إن الأخوة والتراحم التي يصنعها الإيمان هي التي تمنع ضراوة الغنى وضراعة الفقر.

وبالنظر في حال الأمة الإسلامية حاليًا فلا نجد أن معالم الفطرة البشرية ظاهرة بين أفرادها، فلا يوجد شعور بأخوة الدين، لأن الدين نفسه غير قائم بالنفوس إلا من رحم ربى، وبالرغم من ذلك فتختتم السورة بآية تنبئ بأن كبوة الأمة الإسلامية إلى حين: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ۝٥٦﴾ [الروم: 56]، أي لبثتم في قبوركم في علم كتاب الله، الذين أوتوا العلم والإيمان قيل هم الملائكة، أو الأنبياء، أو علماء ومؤمنوا هذه الأمة، وحيث أننا نعلم أننا آخر الرسالات وآخر الأمم، وليس بعدنا إلا قيام الساعة، فالآية تشير

إلى أن أمتنا لن تزول، فلعلنا نلم شملنا ويكون ذلك نهاية المطاف، وهو ما أشارت إليه آخر آية في السورة: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: 60].

- **لطائف من سورة الروم:**

(1) ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٨﴾ [الروم: 28].

أي مثلًا مأخوذًا من حياتكم اليومية عن بطلان الشرك، فمع العلم بأن عبيدكم بشر مثلكم، هل ترضون أن يشاركونكم في أموالكم، الإجابة بالطبع لا نرضى، فإذا بطلت الشراكة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة، بطلت أيضًا الشراكة بين الله وبين أحد من خلقه، فالكل عبيده.

(2) ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم: 30].

أي كن مستقيمًا على الإسلام فهو فطرة الله، لولا عوارض تبقيهم على الكفر.

قال الرسول ﷺ عن أبي هريرة: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه أو يمجسانه**».

ولذلك جاء بعدها فلا تبدّلوا خلق الله بعبادة غير الله، بل ابقوا على فطرة الإسلام والتوحيد.



(3) ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ٣٩﴾ [الروم: 39].

الربا هنا كما قال المفسرون ما يفعله بعض الناس من الهدية، يهديها الرجل لأخيه يطلب المكافأة، فذلك لا يربوا عند الله فلا يؤجر صاحبه، قال عكرمة: الربا نوعان: ربا حرام وربا حلال، فأما الربا الحلال فهو الذي يهدى التماسًا لما هو أفضل منه كما في هذه الآية، والله أعلم.



سورة لقمان

مكية - 34 آية

إن الذين يعبدون الله حق عبادته قد عرفوا عظمة الخالق من عظمة الخلق، وفي سورة لقمان ذُكر الخالق الكبير بما هو أهل له من مجد وثناء، وفيها تساؤل عن الشركاء المزعومين: من هم وأين ما خلقوا، إن هذيان المشركين يشبه لغط من عنده حمّي فلا وزن له، ومن هذا اللغط ما كان يفعله أحد أشد المشركين عدواةً لله ورسوله واسمه النضر بن الحارث، فقد كان يقص من كتب الفرس على أهل مكة ما يضلهم به عن الإيمان بالرسول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ [لقمان: 6].

والظاهر من الآية أن لهو الحديث المذموم هو ما يضل عن طريق الهدى ومنهج الحق، من أحاديث أو غناء أو لهو، أي إن ما كان قبيحًا من الغناء واللهو فهو مذموم، فحسنه حسن وقبيحه مذموم، وكل حديث يشغل عن الحق فهو غير محمود.

أطالت السورة الحديث عن عظمة الله، فبينت أن كلماته في تصريف شئون العباد لا تنتهى، إنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض خلقًا ورزقًا وإحياءً وإماتةً ورفعًا وخفضًا لأكثر من خمسة مليارات من الخلق، وآلاف الأضعاف من الحيوان والنبات والملائكة والكواكب السابحة في الفضاء، وما يعجزه ذلك سبحانه ولا يعييه: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾ [لقمان: 27].



➤ السورة نسبت إلى لقمان الحكيم..

لم يكن نبيًا، ولكنه كان رجلًا حكيمًا أكرمه الله بذكره في القرآن إذ آتاه الحكمة، كان قبل بعثة داود ﵇ وأدركه وتعلم منه، وقد ورد أن قريشًا سألت النبي تريد أن تعرف خبره فقص عليهم وصيته، وهي وصية حافلة بالخير في منهج وجيز، أخذ بها إبنه وتركها لنا تراثًا نبيلًا، بدأت بضرورة شكر الله، ثم عقيدة التوحيد، وبعدها مباشرة الوصية بالوالدين لأنهما سر الوجود بعد الله.

ومن نصائح لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان: 17-19].

والوصية كلها باقة من العقائد الجليلة والأخلاق الكريمة.

وأعقبها ما يؤكد عاطفة الشكر: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان: 20].

والنعم الظاهرة هي مايدرك بالحس أو العقل، كالصحة وكمال الخلق والمال والجاه والجمال.

أما النعم الباطنة فهي ما يجده المرء في نفسه من العلم واليقين والمعرفة والعقل، وما يدفعه الله من آفات وأمراض.

ختمت السورة بتقرير المسئولية الإنسانية المستقلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: 33].



ثم نفت أن يكون للكهنة والراجمين بالغيب أي علم بمفاتيح الغيب الخمسة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: 34].

■ لطائف من سورة لقمان:

(1) ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: 15].

نزلت الآية في الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، وهو ابن خال الرسول، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان مجاب الدعوة، أضربت أمه عن الطعام ليترك دين محمد، فرفض أن يوافقها على ترك الإسلام، ونزل الوحي من السماء مؤيدا له، ومؤنسا له في أن ما فعله ليس عقوقا بأمه.

وفي بر الوالدين جاءت أحاديث كثيرة عن الرسول:

«**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» (البخاري 5986).

«**أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله**» (البخاري 537).

«**جاء رجل إلى النبي ، وقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك**».

«**أبر البر أن يصل الرجل ودّ أبيه**» (مسلم 2552).



سورة السجدة

مكية - 30 آية

➤ **كان الرسول يصلي بها في صبح يوم الجمعة.**

السورة فيها تذكير بعظمة الله سبحانه وتعالى، وتصور لطيف لأفضاله على أمة محمد، فهو صاحب الفضل والمنة عليها، وميزها بخصائص وفضائل ومنن تتحدث عنها السورة.

فالقرآن النازل من عند الله نزل على أمة لم تألف من قبل بوحي السماء، فصاغها في قالب جديد وحملها رسالة عالمية: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴿٣﴾﴾ [السجدة: 3]، وناسب هنا وصف الله الذي أسدي هذا الصنيع: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴿٣٠﴾﴾ [السجدة: 30]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴿٤﴾﴾ [السجدة: 4].

ولما كان خالق هذا الكون الرحب هو مدبر أمره في لمح البصر، فقد احتاج ذلك إلى شرح، فالأرض تلف حول نفسها في 24 ساعة وتلف حول الشمس في 365 يومًا، والشمس وأسرتها تجري في مدار حاشد بالنجوم، والمجرات السابحة في الفضاء لا ندري عنها سوى القليل، والضوء يقطع المسافة من الشمس إلى الأرض في بضع دقائق، **ما هذا الملكوت الضخم..؟**، إن إدارة شئونه تحتاج بمقاييسنا الزمنية إلى ألف عام أو أكثر، لكنها في زمن الخالق الكبير لا تستغرق زمانًا يذكر: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ۝٦﴾ [السجدة: 5-6]، فالآية توضح أن يومًا عند الله بألف سنة في حساب سرعة أيام البشر على الأرض، وهذا المعني ذكر أيضًا في سورة الحج: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ۝٤٧﴾ [الحج: 47].

ومن خصائص الأمة الإسلامية أنها توحد الله وتدعوه باسمائه الحسني وترفع عملها إليه وتستعد لليوم الآخر، بعكس من يقول: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ۝١٠﴾ [السجدة: 10]، وهؤلاء سيندمون غدًا على هذا الإلحاد: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ۝١٢﴾ [السجدة: 12].

ومن خصائص الأمة أيضًا أن فيهم من: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ۝١٦﴾ [السجدة: 16]، فهل يستوي الفريقان: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ۝١٨﴾ [السجدة: 18].

ثم ذكّر الله الرسول بأن المرسلين من قبله لقوا العنت وتحملوا الشدائد، فليصبر كما صبروا، فالمعني أن القيادة تحتاج إلى صبر ويقين، وقد قيل له إنه ملاق موسى عليه السلام حتمًا، فهل لقيه بعد الموت أم ليلة الإسراء، ليكن هذا أو ذاك فإن موعد اللقاء الجامع حق، وكأن الله يقول لنبيه كما كابد موسى عليه السلام كيد فرعون وعوج قومه، ستلقي ما لقي موسى عليه السلام من خصومك ومن قومك، ولكن العاقبة للتقوي والنصر للمؤمنين: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ۝٢٦﴾ [السجدة: 26].



والأمل في الله باق ليحكم بين عباده بالحق: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٢٩ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾ [السجدة: 28-30].

- **لطائف من سورة السجدة:**

(1) ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: 5].

المراد باليوم هنا، مدة عروج تدبير الله وأمره من الأرض إلى السماء، ليحكم فيه سبحانه، فليس شيء متروكًا سُدى ولا مخلوقًا عبثًا

في سورة المعارج: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: 4].

والأغلب أن في يوم القيامة مواقف ومواطن، فيها خمسون موطنًا، كل موطن بألف سنة، فيكون طوله بأجمعه خمسون ألف سنة، ولكن هذا اليوم الشديد العصيب يخففه الله عز وجل على المؤمنين، حتى يكون أخف عليهم من صلاة مكتوبة كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

(2) ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة: 11].

وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾ [الأنعام: 61] وفي سورة الزمر



قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ..﴾ [الزمر: 42]، هل هناك شبهة تعارض، لا يوجد تعارض، فالله سبحانه هو المتوفي حقيقة فهو سبحانه خالق الموت، ويأمر أعوان ملك الموت من الملائكة بنزع الروح، فينزعونها حتى تبلغ الحلقوم، حتى إذا بلغت الحلقوم ينزعها ملك الموت وهو عزرائيل عليه السلام من الحلقوم.

(3) ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧﴾ [السجدة: 27].

فضل الله أنه يرسل الماء من السماء على الجبال فتحمله الأنهار إلى الأرض الجرز التي لا نبات فيها،

كما يحدث في مصر ذات الأرض الرخوة، فيأتيها الماء عبر نهر النيل من جبال الحبشة، ولو أنزل الله عليها الماء مباشرة من السماء «كما في أوروبا ذات الأرض الصلبة» لتهدمت المباني وتصدعت الأرض الرخوة.

(4) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨﴾ [السجدة: 28].

السؤال من الكافرين ليس للاستفهام ولكنه للاستهزاء والتكذيب، فكان الرد عليهم بالتهديد المطابق لتكذيبهم، لا ببيان حقيقة الوقت.

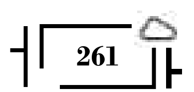


تتميز السورة بموقع متفرد في المصحف الشريف، فهي سورة مدنية تتوسط الكثير من السور المكية قبلها وبعدها، فآخر سورة مدنية قبلها وهي سورة النور وترتيبها الرابعة والعشرين، والسورة المدنية التي تليها هي سورة محمد وترتيبها السابعة والأربعين، **وعلى النسق العام للسور المدنية التي تنظم العبادات والمعاملات ومتطلبات بناء المجتمع الإسلامي**، نجد أن السورة **تضمنت خمسة نداءات للنبي** وبعد كل نداء ذكر المطلوب منه تنفيذه، ومع النداءات الموجهة للرسول، هناك **ستة نداءات للمؤمنين**، وفي السورة جملة خصائص خص الله بها رسوله دونًا عن باقي المسلمين منها: قيام الليل، ونكاح الواهبة التي وهبت نفسها له .

- **أول النداءات:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٣﴾ [الأحزاب: 1-3].

الأمر والنهي هنا للرسول هما زيادة تثبيت له، كأن تقول للمتفوق لا تتراخ، فالرسول ما فرط في تقوى ولا هادن الكفر والنفاق، على أن هناك شيئًا هامًا مطلوب منه أن يغيره، وهذا الشيء راسخ في المجتمع من قديم الأزل، وسيبدو مستغربًا أن يقوم النبي بتغييره،



وهو رفض التبني جملة وتفصيلًا: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ٤﴾ [الأحزاب: 4].

فماذا نفعل فيما تم من عقود التبني: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥﴾ [الأحزاب: 5].

فإذا لم نعرف الأب الحقيقي، قامت إخوة الإسلام مكان العلاقة المفقودة، وبعد تقرير هذا الحكم جاء تعظيم العلاقة الدينية، وتقديمها على روابط القربى الأخرى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ٦﴾ [الأحزاب: 6].

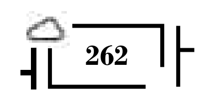
وقبل نزول هذه الآية كان الرسول يتحرج من الصلاة على المدين إذا مات ولم يترك وفاءًا لدينه، ثم أصبح بعد نزولها يتحمل ديون الموتي الفقراء ويكفل اليتامى الضائعين.

كما اعتبرت زوجاته أمهات للمؤمنين لهن مكانة الأم في البر والحرمة.

➤ النداء الثاني:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ٢٨﴾ [الأحزاب: 28].

فبيت النبوة يكتفي بأيسر الزاد ولا مكان فيه للترف، وقد اختارت أمهات المؤمنين عيش الكفاف على ترك بيت النبوة.



➤ النداء الثالث في السورة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب: 45-46].

قبل محمد كان كل نبي يرسل إلى قومه خاصةً، أما النبوة الخاتمة فهي شمس طلعت على الكون أجمع.

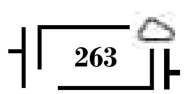
➤ النداء الرابع:

يتضمن الطبقات التي تختار منها أمهات المؤمنين، فليست كل امرأة تصلح أن تكون زوجة لعظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾ [الأحزاب: 50].

والمعروف أن المسلم لا يزيد عن أربع زوجات، وقد يقول قائل فلماذا لم يطبق الرسول ذلك على نفسه؟، الجواب أن أمهات المؤمنين بعد ما اخترنه على أهلهن، وآثرن العيش معه على شظف العيش، فلا يسوغ ترك إحداهن، خاصة وأن زواجها بغيره إن طلقها مستحيل، لحرمة أمهات المؤمنين على سائر الأمة، فالحل أن يبقين.

➤ أما النداء الأخير فهو قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: 59]، أمر للمؤمنات



بالاحتشام، فيحمين أنفسهن من السفلة الذين يتسكعون في الطرقات، طامعين في من تبتذل ثيابها، ثم قيل لهؤلاء الفاحشين: ﴿۞لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا٦٠﴾ [الأحزاب: 60].

➤ **ومع النداءات الموجهة للرسول وجهت ستة نداءات للمؤمنين:**

(1) النداء الأول آية (9) يتناول الموقف من هجوم الأحزاب على المدينة، حيث تجمع عشرة آلاف مقاتل من قريش وحلفائها، وتأهبوا لغزو المدينة في العام الخامس الهجرى، فأمر الرسول بحفر خندق حول المدينة لحمايتها بمشورة من سلمان الفارسى، واستمر حصار الأحزاب شهرًا بدون قتال حتى اشتد الأمر على المسلمين وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شديدًا، فقريش ومن معها بقيادة أبوسيفان من فوقهم، واليهود من بني قريظة أسفل منهم، والليل شديد الظلمة، ورياح الشتاء أشد، والمنافقون يستأذنون الرسول للرجوع إلى المدينة، والموقف يزداد سوءًا، وزاغت الأيصار، وبلغت القلوب الحناجر، وظنوا بالله الظنون، فجاء أمر الله وأرسل الرياح الشديدة تعصف بمعسكر أعداء الإسلام حتى فروا هاربين، ويومها أخبر جبريل الرسول ألا يضع سلاحه حتى يأتي اليهود من بني قريظة لخيانتهم للمسلمين وتعاونهم مع الكافرين في وقت الحصار، فتوجه إليهم وحاصرهم وانتصر عليهم.

فلولا تساند المسلمين وراء الخندق، ولولا صدق صلتهم بالله، لعجزوا عن الصمود حتى جاء نصر الله، إنهم لم يرتاعوا: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا٢٢﴾ [الأحزاب: 22].، فهم أصحاب عقائد لا طلاب منافع، فكان تعقيب الرسول : الحمد لله الذي صدق وعده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.



(2) ثاني نداء للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: 41-42]، فعندما يرفعون راية الله يكونون أهلًا لقوله عز وجل بعدها: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: 43]، فصلاة الله والملائكة لا تكون إلا لأمة تذكر الله وتذكر به وتجعل ذلك وظيفتها.

(3) النداء الثالث فقهي فرعي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾ [الأحزاب: 49].

(4) النداء الرابع لتنظيم دخول البيت النبوى، فالحب في قلوب سواد المؤمنين لرسول الله قد يحملهم على التكاثر عنده، وقد يكون هناك من يحبون التسلية أو مقاربة العظماء، فكان لابد من الإرشاد الإلهي الحكيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [الأحزاب: 53].

(5) (6) وجاء النداءان الأخيران لحماية سير الأنبياء من التطاول عليهم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب: 69].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: 70-71].



وخلال العرض لما يتعرض له الرسول من الأذى من المنافقين وضعاف النفوس، جاءت هذه البشري تسوق له العزاء والتأييد والرفعة والتسديد، فهو في حماية الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: 59].

➤ **ختام السورة مدهش، هو خلاصة وجيزة عن عمل البشر على الأرض:**

إنهم تميزوا على غيرهم من المخلوقات بحرية الإرادة، والتكليف الذي يستطيع أن يميز بين الخير والشر، إنهم ليسوا دواب محكومة بغرائز الدنيا، ولا أرواح محكومة بخصائصها العليا، إنهم جنس خاص يستطيع أن يتسامي أو يألف الإسفاف، يستطيع أن يتجه يمينًا إلى الجنة أو يسارًا إلى النار، **وهذه هي الأمانة التي ذكرت في السورة، أمانة التكليف التي حملها الإنسان، وهو يستطيع الوفاء بها وبحقوق الله وحقوق الناس، كما يستطيع خيانتها والعبث بها:** ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب: 72].

■ **لطائف من سورة الأحزاب:**

(1) ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ [الأحزاب: 6].

أمهاتنا أي في الحرمة والاحترام، ولم يجعل الله نبيه كالأب حتى قال ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ..﴾ [الأحزاب: 40]، فالله سبحانه أراد أن أمته يدعون ازواجه بأشرف



ما تنادي بهالنساء وهو الأم، وأشرف ما ينادي به النبي هو الرسول، لا الأب، لأنه سبحانه جعله أولي بنا من انفسنا، وذلك أعظم من الأب في القرب والحرمة، إذ ليس هناك من هو أقرب للإنسان من نفسه، فمن الآباء من يتبرأ من ابنه، ولكن لا يمكنه أن يتبرأ من نفسه، والله أعلم.

(2) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١﴾ [الأحزاب: 1].

لا نجد في كتاب الله تعالى آية واحدة تقول يا محمد، كما نادى الله الرسل بأسمائهم، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، وإنما جاء النداء بلفظ النبوة أو الرسالة، وفي هذا تفخيم لشأنه، وإشارة إلى أنه سيد الأولين والآخرين، وعدل عن وصفه إلى اسمه في الإخبار عنه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ..﴾ [الفتح: 29]، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ..﴾ [آل عمران: 144]، ليعلم الناس أنه رسول الله، ليلقبوه بذلك، ويدعونه به.

(3) ﴿.. إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ..﴾ [الأحزاب: 33]

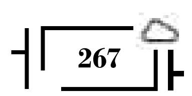
يستعمل القرآن لفظ "أهل" للأزواج

وهناك أمثلة أخرى: ﴿.. رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ ..﴾ [هود: 73]، عندما تحدث عن زوجة إبراهيم عليه السلام.

﴿.. قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ..﴾ [يوسف: 25]، عندما تحدث عن زوجة العزيز.

﴿.. وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ..﴾ [القصص: 29]، عندما تحدث عن زوجة موسى عليه السلام.

إذن "أهل" هي الأزواج كما وصفها القرآن وفي اللغة أيضًا.





سورة سبأ

مكية - 54 آية

إحدى خمس سور افتتحت بالحمد لله: الفاتحة - الأنعام - الكهف - سبأ - فاطر.

السورة تشبه سورة الفرقان في أنها استعرضت شبهات الكفار، وردت عليها واحدة واحدة، والتذكير الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء.

وأول هذه الشبهات وأكثرها تناولًا في السورة شبهة منكري البعث واستبعاد القيامة:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾ [سبأ: 3].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧﴾ [سبأ: 7].

فالبعث حق ليعرف المختلفون في الدنيا حقيقة ما دار بينهم من خلاف، ويلقي كل أمرئ جزاءه، ويعلم الذين كابروا محمدًا وكذبوا أتباعه أنهم خاصموا رسالة كان ينبغي عليهم أن يتعاونوا معها ويستريحوا إليها.

وقطع الاسترسال في هذا الحوار قصتان تتصلان به:

** القصة الأولى قصة النبي داود عليه السلام: ﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾ [سبأ: 10-11].



داود عليه السلام جمع في سيرته التغني بصوته الرخيم بآلاء الله حيث كانت الطيور والجبال تشاركه في مزاميره، وجمع أيضا المهارة في الصناعات العسكرية والمدنية التي تحول الحديد إلى سيوف ورماح ودروع وقدور وآوان وتماثيل، **كأن الله يلفت نظرنا إلى أن الدخول إلى الإيمان يكون من باب العلم الحاذق**، وعدم التخلف في الدنيا عن العلوم فلن يستطيع نصرة الإيمان جاهل ولا كسول، ولم تشغل السلطة لا داود ولا أبنه سليمان عليهما السلام عن واجبات العبودية بالرغم من كونهما ملوكًا.

** القصة الثانية قصة سبأ: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ [سبأ: 15].

القصة تؤكد على معنى أن الله يختبر عباده بالعطاء والحرمان، والنجاح في هذا الاختبار يجيء من موقف المرء نفسه بإزاء ما يلقي من أقدار الله، وقد سقطت سبأ في الاختبار عندما استهانت بنعمة الله وكفرت بها، ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ [سبأ: 17]، وتنبه السورة إلى أن الساقطين في امتحان النعماء كثيرون، وهناك أمم بطرت معيشتها فخاصموا الوحي وعادوا الرسل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾ [سبأ: 34-35].

➤ **ثم استأنفت السورة سرد شبهات الجاهلية:**

وهنا نرى لونًا من آداب الجدال لا نظير له، يتنزل فيه من يعرض الحق إلى مستوى خصمه الجاهل به ويناشده أن يقبل الصواب: ﴿۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ [سبأ: 24]، وبعد ارخاء العنان



للخصم على هذا النحو، زاد المشركين إحراجًا عندما قال: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ: 25-26].

وحسمًا لمزاعم البعض من المشركين أن شفاعة شركائهم قد تنفعهم يوم القيامة قال الحق: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ..﴾ [سبأ: 23]، وذلك قريبًا من قوله تعالى في سورة مريم: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾ [مريم: 87].

جاء في الأحاديث الصحيحة أن الله قد خيرّ الرسول بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمته الجنة، فاختار الشفاعة، لأنها أعم وأشمل، وهي تجوز للذين حاسبوا انفسهم واستغفروا الله وتابوا عن ذنوبهم في الدنيا، فبعد أن توزن أعمالهم قد يدخلون النار لعقابهم، فأولئك يشفع لهم الرسول إذا كانوا أهلا للشفاعة ومن يأذن له الله من الأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين يشهدون لهم أيضا، فيخرجون من النار.

وتحسم السورة أيضًا قضية زعم المشركين أنهم يرون الملائكة، وأن الملائكة بنات الله فيعبدونهم ويشركون بالله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: 40-41]، أي إن أكثر المشركين يؤمنون بالجن ويصدقون ما يلقون إليهم بالأكاذيب، ومنها أمرهم بعبادة الأصنام، والملائكة خلقهم الله من نور، وتتشكل بأشكال مختلفة، وهم مسيرون وليسوا مخيرين كالبشر، لا يستطيعون معصية، وبالتالي لا يحاسبون، وهم أكثر المخلوقات عددًا، ولهم أجنحة مثني وثلاث ورباع، أخرج البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي قال: (**إذا قضى الله أمرًا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها**

خضوعًا لقوله)، فإذا كان هذا هو حال الملائكة وفزعهم من أمر الله، فكيف يشفعون عنده لمن لا يرضاه.

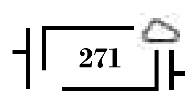
في ختام السورة يأمر الله نبيه أن يكشف عن طبيعة الرسالة الإسلامية وهو يجادل الكفار وينسف شبهاتهم: ﴿۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: 46]، إن التفكير الواعي العميق أساس هذه الرسالة، سواء فكر المرء وحده أو استعان بصديق، فالمهم أن يستيقظ العقل الآثم فيري آيات الله في آفاق العالم الذي يعيش فيه وهذا ما تفاني فيه الرسول ابتغاء مرضاة الله: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴿٤٧﴾﴾ [سبأ: 47].

إن الصادّين عن الحق سوف يؤمنون به عندما تبدو لهم نذره ويواجهون ما ينكرون: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴿٥١﴾﴾ [سبأ: 51]، أي لا يُبذل جهد في القبض عليهم.. !!، ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴿٥٢﴾﴾ [سبأ: 52]، لقد آمنوا بعد فوات الآوان، وانتهاء لإمتحان، وظهور النتائج، ولو عقلوا لعرفوا الله الحق واتبعوا المرسلين.

- **من لطائف سورة سبأ:**

(1) ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴿١﴾﴾ [سبأ: 1].

المقصود بالحمد في الآخرة جاء ذكره في القرآن على لسان المؤمنين حال دخولهم الجنة في ثلاث آيات:



1- ﴿.. وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف: 43]

2- ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر: 34].

3- ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر: 74].

(2) ثلاث آيات أقسم فيها الرسول برب العزة في أمر الميعاد واحدة منها في سبأ:

1- ﴿۞وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾ [يونس: 53].

2- ﴿.. قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾ [سبأ: 3]

3- ﴿.. قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: 7].

(3) ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ..﴾ [سبأ: 12]

في العادة تستعمل كلمة ريح في القرآن للشر، وكلمة الرياح للخير، مثل:

﴿.. رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ ..﴾ [آل عمران: 117]

﴿.. تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ ..﴾ [الحج: 31]

﴿.. قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ ..﴾ [الإسراء: 69]



﴿.. رِيحًا صَرْصَرًا ..﴾ [فصلت: 16]، [القمر: 19]

﴿.. وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ..﴾ [البقرة: 164]، [الجاثية: 5]

﴿.. ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا ..﴾ [الأعراف: 57]، [النمل: 63]

﴿.. ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ..﴾ [الحجر: 22]

استعملت كلمة ريح مع سليمان؛ ولكنها لم تخصص لشيء، فجاءت عامة قد تكون للخير أو الشر؛ لأن الله سخرها له يتصرف بها كيف يشاء.



سورة فاطر

مكية - 45 آية

سورة فاطر تشبه سورة النمل في أنها إحصاء للنعم، وبيان فضل الله على خلقه.

بدأت السورة بإقرار قانون قاطع: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: 2]، فالبشر أحوج ما يكونون إلى معرفة هذا القانون، فهم يحسبون منابع الخير تسيل بعيدًا عن مشيئة الله وقدرته، **ولذلك أعقب هذا القانون الإلهي ثلاث نداءات بديهية:**

(1) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣﴾ [فاطر: 3].

(2) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: 5-6].

ومع ذلك فقد كذب المشركون الوحي النازل، فقال الله للرسول: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ [فاطر: 25]؛ ولكن هذا الأخذ يمهل الله به العباد حتى يصحي النائم: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ۝٤٥﴾ [فاطر: 45]، وقد كشفت الآيات بعد ذلك أن هناك من يحسب الإمهال إهمالًا: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ

وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴿٨﴾﴾ [فاطر: 8]، لقد كان النبي شديد الأسى في السورة لكفر من كفر، ومن هنا جاء النداء الثالث والأخير في السورة:

(3) ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: 15-17]، والناس لهم الخيار بين الوفاء لله والغدر بعهده: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: 10].

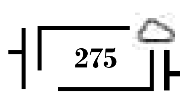
وحيث إن التفكر في ذات الله مستحيل، فلم يبق سبيل إلى معرفة عظمته سبحانه إلا من متابعة آياته في مخلوقاته، وكل الأمثلة التالية ما هي إلا أثر لرب كبير:

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴿٩﴾﴾ [فاطر: 9].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴿١١﴾﴾ [فاطر: 11].

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ ..﴾ [فاطر: 12].

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ..﴾ [فاطر: 13].



﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: 27-28].

وعلى هذا المحور تدور آيات القرآن ومعانيه، فالإيمان وليد عقل ذكي باحث، والدين ليس إلا عقلًا مؤمنًاوقلبًا استقرت إلى الله وجهته، وقد حملت الآمة الإسلامية حقائق الدين في إطار هذا المعنى وطُلب منها أن تمثله بين الناس: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: 32]، والظالم لنفسه يظلمها بالعصيان والتقصير عن أداء الواجبات، والمقتصد يكتفي بما تيسر له من الصالحات وقد يخلطه ببعض السيئات، والسابق بالخيرات: أسلم وجهه لله وأسرع في مرضاته.

الملفت للنظر أن قيمة أي أمة والحكم عليها يتبعان الجو السائد فيها، ويرجعان إلى غلبة إحدى هذه الفرق الثلاث على صاحبتيها، فإذا كان كثرة الأمة من الظالمين لأنفسهم فالعاقبة سيئة والعكس صحيح، وقد شاع بين المسلمين أنهم ضامنين رحمة الله وجنته، واستشرى بينهم التواكل والتراضى، اعتمادًا على أقوال غير صحيحة أن لك الحق في أن تفعل الخطأ، وتقول كما يقول العامة «صلي على اللي ها يشفع فيك»، وهو بريئ من هؤلاء الذين يظلمون أنفسهم، فجعلوا المسلمين آخر الأمم حضاريًا، ونحن نستصحب هذا الشعور المرير عندما نقرأ قول الحق بعد ذلك: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: 42-43]، المراد بهذا

المعنى الذي تكرر في سورتي الأنعام والصافات، التنديد بعرب الجاهلية الذين ذهبوا بأنفسهم، وازدروا أهل الأديان الأولين، وقالوا لو أن لنا كتابًا أهدي منهم، فها قد جاءكم الكتاب، فماذا فعلتم به؟

ونحن نشهد بأن السابقين بالخيرات من السلف الصالح كانوا بسيرتهم وأخلاقهم نماذج تغري بالإيمان بالكتاب، ولكن العرب سرعان ما غلبتهم طبائعهم، فانحرفوا عن صراط الله واستهانوا بوصايا الكتاب، وانسلخوا عما اصطفاهم الله به، فماذا ينتظرون: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: 44].

■ لطائف من سورة فاطر:

(1) ﴿.. فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..﴾ [فاطر: 1].

أي ابتدأ خلقهما من العدم بغير مثال، عن أبن عباس قال كنت لا أدري ما قوله سبحانه فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه، هذه بئري وأنا فطرتها، والمقصود أن من قدر على ابتداء هذا الخلق العظيم من العدم قادر سبحانه على الإعادة.

(2) ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [فاطر: 11].

قال الرسول إن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة، يرزقها الله للعبد الصالح فتدعو له من بعده، فيلحقه دعاؤها في قبره، وكذلك عمله من



صدقة جارية أو علم ينتفع به، وقيل إن تطويل العمر وتقصيره هما بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي التطويل، مثل صلة الرحم، أو تقتضي التقصير مثل الإكثار من المعاصي.

(3) ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ١٨﴾ [فاطر: 18].

أي كل نفس تحمل وزرها وهذا من عدل الله.

تكررت في القرآن خمس مرات:

1- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٦٤﴾ [الأنعام: 164].

2- ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥﴾ [الإسراء: 15].

3- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ١٨﴾ [فاطر: 18].

4- ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ [الزمر: 7].



5- ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨﴾ [النجم: 36-38].

(4) ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾ [فاطر: 35].

النصب هو التعب، واللغوب هو الإعياء من التعب.

(5) ﴿.. فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ [فاطر: 43].

المراد أن العذاب لا يبدل بغيره، ولا يتحول عن مستحقه إلى غيره.



➤ **مفتاح الدعاء وقضاء الحوائج.**

ما من ميت تقرأ عليه إلا هون الله عليه.

هي سر القرآن وهي قلب القرآن، ود الرسول لو أنها في قلب كل مؤمن.

يمكن أن نقول أنها مكونة من مقدمة وثلاث فصول:

ومنهم تتكون سورة يس ومادعت إليه من توحيد الله والتأمل في ملكوته والاستعداد للقائه:

أما المقدمة فهي حديث عن القرآن ومستمعيه، فهذا القرآن معجزة شاهدة بأن محمد حق، وأنه مرسل من لدن الله بكتاب مستقيم الهداية ومنزه عن الإنحراف: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ۝٦﴾ [يس: 5-6]، والمشركين الذين ورثوا عبادة الأصنام لا تفطمهم عن عبادة الأصنام معجزة مادية كعصا موسى أو طب عيسى عليهما السلام، إنهم محتاجون إلى تحريك عقولهم بكتاب يزيح عنهم الأوهام، إنهم سجناء وراء قيود الشرك: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ۝٨﴾ [يس: 8]، والمقمح هو من استقر القيد تحت ذقنه فاعوج رأسه إلى فوق، فما يحسن الرؤية.

أما الفصول الثلاثة فهي أدلة منوعة على صدق ما جاء به القرآن:

(1) أولها دليل تاريخي تضمن قصة موجزة عن قرية تشبه مكة ناوأت المرسلين وضاقت بالوحي: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ۝١٣﴾ [يس: 13]، ومن



قديم الأزل وأعداء الأنبياء يحسبونهم جاءوا لاستلاب سلطانهم، وأخذ ما بأيديهم، فيهددونهم ويتشاءمون منهم، ظانين دعوتهم لمآرب خاصة بمنافع لهم، وفي هذه القرية أقبل رجل من بعيد ينصح الناس مؤكدًا أن الرسل لا ينشدون مالًا ولا جاهًا، وأن الله الذي يدعون إليه لا حق سواه، فكذبوه، ولم تذكر القصة هل قتل أم مات، ولكنه بعدما انتقل إلى ربه ورأي ما أعد له من كرامة نظير نصرته للحق، قال حزينًا على حال قومه: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ۝٢٧﴾ [يس: 26-27].

(2) أما الفصل الثاني فهو دليل عقلي على عظمة الله واستحقاقه كل كمال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ۝٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ۝٣٤﴾ [يس: 33-34]، كيزان الذرة وسنابل القمح وصنوفٌ لا حصر لها من الفواكه والثمار، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ۝٣٧﴾ [يس: 37]، سبحان الله.. ما الذي يمسك الشمس والقمر والنجوم والكواكب في فضائها؟ بأي طاقة تسير في أفلاكها؟ ما الذي يضبط مكانها وشروقها وغروبها، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ۝٤١﴾ [يس: 41]، سبحان الله.... عندما يركب الناس البحر ويتعرضون لأخطاره وهو الذي أكبر من البر أربع مرات، فلا مغيث لهم إلا الله، فهل يذكرون ذلك عندما يأمنون؟

(3) والفصل الثالث تربوي، يأخذ من حقيقة البعث والجزاء ما يكبح الغرائز ويزيح الغفلة التي تخيل الناس أن مصيرهم لا يعدو مصير الدواب التي تموت، لا حساب ولا ثواب ولا عقاب: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ۝٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ۝٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ۝٥٠﴾ [يس: 48-50]، وفي الحديث: «**لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبًا بينهما فلا يتبايعانه ولا**



يطويانه»، أي إنها تقع بغتة، فلا تعطي فرصة لعمل شيء ولا التوصية بشيء، وفي الآيات وصف رائع يشرح ما ينعم به أهل الجنة وما يعانيه أهل النار.

عادت السورة في أواخرها إلى أدلة البعث في حوار لطيف: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: 78-79]، وهنا لفت القرآن نظرنًا إلى حقيقة علمية في عناصر الكون، فنحن نأخذ الأكسجين من الهواء الذي نتنفسه ونرده كربونًا، ويأخذ النبات هذا الكربون في جذوع وأغصان النبات، ولا يلبث أن يكون حطبًا محترقًا: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ [يس: 80]، هذه الوظائف من آيات الله الذي يخرج الحي من الميت، والميت من الحي، ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: 83].

■ **لطائف من سورة يس:**

(1) ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: 40].

ولم يذكر الحق سبحانه وتعالى أن القمر لن يدرك الشمس، وهذا يرجع إلى أن الشمس تسير أبطأ من القمر، فهي تقطع فلكها في سنة، بينما سير القمر أسرع، فهو يقطع فلكه في شهر، فكانت جديرة بنفي إدراكها للقمر لبطء سيرها، والقمر خليقًا بأن يوصف بالسبق لأنه أسرع.

(2) ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يس: 56].

وذلك بالرغم أنه لا شمس في الجنة: ﴿.. لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ۝١٣﴾ [الإنسان: 13].



إذن فمن أين تأتي الظلال؟، المقصود هو ظل أشجار الجنة من نور قناديل العرش أو من نور العرش، لكيلا تبهر أبصارهم، فإنه أعظم من نور الشمس، والله أعلم.

(3) ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ۝٥٨﴾ [يس: 58].

هذه الآية بعض الناس يظنون خطأ أنها تقال عند الفزع أو المصيبة، وهذا للأسف في غير موضعها، ولكن موضعها الصحيح عندما يسطع نور الحق فوق رؤوس المؤمنين في الجنة، فإذا بالرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ۝٥٨﴾ [يس: 58]، فينظر إليهم عز وجل وينظرون إليه غير ملتفتين لأي نعيم حولهم حتى يحتجب عنهم، ويبقي نوره وبركته في ديارهم، وقيل إن هذا القول من الملائكة الذين يدخلون على المؤمنين من كل باب، يبشرونهم بالسلام من الله، فهي تحية المؤمنين في الجنة دار المقام.

﴿.. وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ۝٢٤﴾ [الرعد: 23-24]

﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ ..﴾ [يونس: 10]

﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا۝٤٤﴾ [الأحزاب: 44]

(4) ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم ..﴾ [يس: 65].

اليد: في الغالب هي الفاعلة للفعل فسمي نطقها كلامًا.

أما الرِجْل: فهي حاضرة للفعل فسمي نطقها شهادة.

فقول الفاعل على نفسه إقرار، وقول الحاضر للفعل شهادة.



➤ بداية السورة مثيرة للانتباه:

وصف لموكب الوحي وهو نازل على قلب خاتم الرسل، يقوده جبريل الأمين، وتحفه الملائكة الكرام، تشريفًا للرسالة وطردًا للشياطين المتطفلة على أخبار الوحي، **فأقسم الله بالملائكة الكرام لتوكيد الحقيقة الكبرى في هذا الوحي النازل وهي وحدانية الله سبحانه:** ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤﴾ [الصافات: 4].

والحقيقة الثانية التي تؤكد عليها السورة هي البعث، وذلك في صورتين من مشاهد يوم القيامة، ويعجل الله بعرضهما في الدنيا لعل المنكرين يعتبرون:

الصورة الأولى: ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩﴾ [الصافات: 26-29]، يتخاصم السادة والأتباع في الآخرة ويرمي كل منهم التبعة على الآخر.

الصورة الثانية: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ٥٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ٥٣ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ٥٦﴾ [الصافات: 50-56]، وهو منظر مألوف في دنيا الناس، يحاول كل صديق أن يجر صاحبه إلى مذهبه، ولولا صدق المؤمن في إيمانه لانزلق وضاع: ﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٥٧﴾ [الصافات: 57]، مشهد جليل نرى فيه الفرحة تغمر الرجل المؤمن بعد أن

أنقذه إيمانه عن عاقبة السوء، فيعود لمخاطبة جلسائه من أهل الجنة على سبيل السرور: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ۝٥٩﴾ [الصافات: 58-59]، ثم يمتن الله على عباده: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ۝٦٢﴾ [الصافات: 62]، وقد ذكرت شجرة الزقوم في ثلاثة مواضع أخرى:

** في سورة الإسراء: ﴿.. وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا۝٦٠﴾ [الإسراء: 60].

** في سورة الدخان: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ۝٤٣﴾ [الدخان: 43].

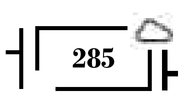
** في سورة الواقعة: ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ۝٥٢﴾ [الواقعة: 52].

جعلها الله فتنة للظالمين الذين كذبوا بوجودها، وقالوا كيف يكون في النار شجرة، وهي شجرة كريهة ومع ذلك يملأ منها الظالمون بطونهم، وبعد الأكل منها يخلط طعامهم منها بالماء الحار، فيكون العذاب أفظع بشربهم هذا الماء، وبعد شرب الحميم وأكل الزقوم يردون إلى الحجيم، لم هذا العذاب الأليم؟: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ۝٦٩ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ۝٧٠ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ۝٧١﴾ [الصافات: 69-71]، **إنه التقليد الأعمى وعدم إعمال العقل، والسير بدون تفكير وراء ما تركه الآباء من أعراف ومواريث، على ما بها من ضلال، ومهاجمة ما يخالفها من دعوات.**

- **وتثبيتًا لفؤاد النبي، جاء في وسط السورة ذكر لست رسالات:**

ثلاثة أصول عن أولي العزم من الرسل:

نوح عليه السلام الذي تحمل في ذات الله بلاءً طويلًا، وإبراهيم عليه السلام وهو الذي سمانا المسلمين من قبل، ووضع أصول الفطرة، وموسى عليه السلام الذي قدم الدين عقيدة وشريعة، وفيه شبه من رسالة محمد .



وتفرع من الأصول ثلاثة آخرين:

لوط عليه السلام على ملة إبراهيم عليه السلام وهو ابن أخيه.

وإلياس ويونس عليهما السلام وكتابهما التوارة التي نزلت على موسى.

وقد تكررت جملة ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78)﴾ [الصافات: 78] أربع مرات بعد ذكر قصص نوح وإبراهيم ولوط وإلياس عليهم السلام، **فما هذا المتروك في قول الحق سبحانه**، إنه السلام، أي تركنا في الذين يأتون من بعده سلامًا، بعدها مباشرة سلام على إبراهيم أو موسى، أي إن الآخرين يدعون الله ويثنون عليه، وإذا ذكروه قالوا نوح أو إبراهيم أو لوط أو إلياس عليه السلام.

- **في السورة استفتاءان:**

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ..﴾ [الصافات: 11].

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149)﴾ [الصافات: 149].

الأول بعد حديث استعرض آفاق الكون ومشارقه ومغاربه، فما قدروا الله حق قدره، بل جعلوه في ضعف أبو البنات، فجاءالإستفتاء الثاني، فالواحد منهم كان يقتل ابنته كراهية لها، ثم يجعل مع ذلك الملائكة إناثًا، وينسبهن إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150)﴾ [الصافات: 150].

خاتمة السورة تحمل البشري للمسلمين المضطهين: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)﴾ [الصافات: 172-173]؛ ولكن هذا النصر سيكون بعد زمان يتم فيه التمحيص: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (174)﴾ [الصافات: 174]، ثم تكررت مرة أخرى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (178)﴾ [الصافات: 178].

أي إنه لابد من الصبر..!!!



■ لطائف من سورة الصافات:

(1) ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصافات: 22-23].

أمر للملائكة بأن يحشروا المشركين وأزواجهم، وهم أشباهم في الشرك والتابعون لهم في الكفر وتكذيب الرسل، وقيل قرناؤهم من الشياطين فيحشر كل كافر مع شيطانه.

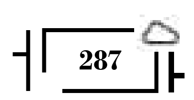
(2) ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾ [الصافات: 101-102].

﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢﴾ [الصافات: 112].

الآيات فيها تكذيب لادعاء اليهود أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل، فالبشارة كانت بغلام حليم، حين بلغ السعي أبلغه أبوه أن يرى في المنام أنه يذبحه، ثم قال بعد ذلك وبشرناه بإسحاق نبيًا، وفي التوارة (**اذبح بكرك وحيدك**)، وإسحاق لم يكن الابن البكر، ولكنهم حرفوا التوارة وزادوا فيها (**اذبح ابنك وحيدك إسحاق**)، فهم كاذبون ويفضحهم كذبهم.

(3) ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥﴾ [الصافات: 105].

بالرغم أن ذبح إسماعيل لم يحدث، فكأن تصديق الرؤيا أنه فعل ما في غاية وسعه، فألقى ولده وأمرر المدية على حلقه، ولكن الله منعها أن تقطع.



(4) ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾ [الصافات: 88].

استعمل الحق لفظ (فِي)، ولم يقل (إِلَى)، كما في قوله: ﴿.. وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ..﴾ [الأعراف: 143]، في الغالب أن النظر هنا بمعنى الفكر مثل قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ..﴾ [الأعراف: 185]، أي إنه فكر في خلق النجوم.

(5) ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: 49].

تقول العرب إذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كأنه بيض النعام المغطى، فالنعامة تكنّ بيضها، أي تصونه وتغطيه بالريش من الغبار والتراب، فلونه أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء، فالعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها.

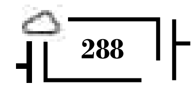
(6) ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: 101]

﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر: 53]

بشارة إسماعيل عليه السلام كانت من الله ووصفه بالحليم، وتلك كان صفته البارزة عندما أطاع أباه في بناء البيت وفي طلبه أن يذبحه وفي صدقه للوعد في تبليغ الرسالة للآخرين كما ذكرت سورة مريم.

أما إسحاق عليه السلام فلم يذكر القرآن علاقته بالآخرين، وجاءت البشارة به على لسان الملائكة الكرام ولم تأتِ مباشرة من الله

﴿.. قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: 28].





سورة ص

مكية - 88 آية

أول سورة طويلة نسبيًا في النزول: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: 1].

أقسم الله عز وجل بالقرآن ذي الشرف والمكانة، قرآن فيه ذكر يذهب الغفلة ويورث الانتباه واليقظة، ولكن هناك متكبرين على الحق أخذتهم العزة بالإثم، فعجبوا من طلب النبي لهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله بعد أن جمعهم على جبل الصفا، بعد ما صدر إليه الأمر الإلهي أن ينذر عشيرته الأقربين، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون، أجعل الآلهة إلهًا واحدًا، وانطلقوا موصين بعضهم أن يبقوا على ما هم عليه من عبادة آلهتهم، فالذي جاء به محمد ما هو إلا شيء يريده ليعلو عليهم ويتحكم فيهم، فهم لم يسمعوا بهذا من قبل في النصرانية التي وصفوها بالملة الآخرة.

وتصبيرًا للنبي قصت السورة الفتن التي تعرض لها المرسلون من قبله، فالكل سواء في المحنة حتى ولو كان المرسلون ملوكًا مثل داود وسليمان، والملاحظ أن قصص هؤلاء الأنبياء بدأت بمخاطبة الرسول بكلمة **(اذكر):**

﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41]

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص: 45]

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: 48]

فالآيات تفيد أن الذكر الحسن نعمة من الله على الصالحين من عباده، يرفع بها قدرهم ويزيد من أجرهم، وقد قيل إن الذكر للإنسان عمر ثان، وليس ذلك فقط، بل



هناك الجزاء الأوفى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: 49-50].

ويرتبط آخر السورة بأولها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ [ص: 65].

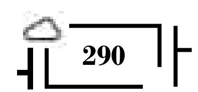
وهذا راجع إلى قول الكافرين في أول السورة: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: 4-5]، ودعوته للتوحيد هي نبأ عظيم أوحى إليه الله به ولم يكن له علم به حين أقره الله في الملأ الأعلى.

وتكرر وصف القرآن بالذكر في ختام السورة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [ص: 87].

ولا عجب فهو القرآن ذي الذكر.

➤ ملاحظات في قصص المرسلين في سورة ص:

فتنة داود أنه قال للشاكي **(لقد ظلمك)** قبل أن يتثبت ويسمع الطرف الآخر، فربما كان صاحب النعجة الواحدة هو الظالم، فلما اختفى الملكان اللذين جاءاه في صورة الخصمين، عرف داود أنها كانت اختبارًا من الله، فاستغفر ربه، وهذه القصة في التوراة التي حرفها اليهود، اتهم اليهود نبيهم بالزنا والقتل العمد لواحد من قواد جيشه ليتزوج امرأته، ولكن محمد هو الذي أنصفه ونفي عنه هذه الموبقات، إن داود كان من الأنبياء الشاكرين، وكان ملكًا نحسب أنه توسع فيما أباح الله له توسعًا اتسعت فيه رغباته، حتى إنه تقدم للزواج من فتاة يبدو أن آخر كان يريدها لنفسه فرجحت كفته، وذلك بالرغم من أن عنده زوجات أخريات، فكان تنبيهه إلى خطئه عن طريق إرسال الملكين يلفتان نظره



إلى ذنبه، فكانت عثرة في طريق الدعوة كادت تودي به، ولكن الآلام ردته إلى الله تائبًا مقبولًا، **إن التكذيب والإنكار اللذين عاناهما محمد أسهل من هذا البلاء، وهذا هو المغزى المطلوب**.

فتنة سليمان ﴿عليه السلام﴾ أنه كان يعد جيشه لمحاربة اليمن وملكتها بلقيس حتى تدع عبادة الشمس وتدخل في عبادة الله: ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ۝٣١﴾ [النمل: 31]، وأعد سليمان ﴿عليه السلام﴾ جيشًا من الفرسان، وكان يستعرض الخيل ليطمئن إلى أهبتها - **فتربيتها للجهاد قربى لله** -، فكان حبه لأدوات الحرب سببًا أنه فاتته صلاة العصر، فطلب أن ترد إليه الخيل: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ۝٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ۝٣٣﴾ [ص: 31-33]. **وهنا رأيان:** أنه مسح عطف وإعزاز تعظيمًا لأدوات الحرب، أو ذبحها وقطع أرجلها استنادًا إلى أن ذلك كان مشروعًا عندهم، والعقل يرجح الرأي الأول.

والفتنة الثانية لسليمان ﴿عليه السلام﴾: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ۝٣٤﴾ [ص: 34]، قيل أنه عزم على الطواف بمائة من نسائه، فينجبن مائة فارس يجاهدون في سبيل الله، ولكنه لم يقدّم المشيئة الإلهية، فكانت الحصيلة سقط جنين رمي به على كرسيه، والقصة على هذا النحو لا تستوي مع العقل السليم، فلا الطاقة تسع، ولا الوقت يكفى، ولا كل نكاح يثمر، ولا كل ثمرة تكون فارسًا مقاتلًا، **ما حدث أن هناك شيئًا ما لا نستطيع تحديده قد حدث جعل سليمان ﴿عليه السلام﴾ يرجع إلى ربه تائبًا مستغفرًا**، وهو الذي وصفه الله سبحانه بـ ﴿.. نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ۝٣٠﴾ [ص: 30]، فهو من منطلق حسن عبادته انفتحت بصيرته على اسم «**الْوَهَّابُ**» فدعا ربه قائلًا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ۝٣٥﴾ [ص: 35]، واستجاب الله له بملك

لن يتكرر لأحد من بعده، حتى جاءه الموت فوقع من على كرسيه وهو يسخر الجن لأمره، في آية من الله تنفي عن الجن علمهم بالغيب: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ١٤﴾ [سبأ: 14].

فتنة أيوب أنه صبر على كيد الشيطان الذي أراد أن يلقي في نفسه سوء الظن بالله، والسخط على ما أصابه، فصبر على ابتلاء الله حتى ساق الله إليه الشفاء: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٤٣﴾ [ص: 43]، **وأولي الألباب يعني أصحاب العقول الذين يستفيدون من العبر ويتوقف بها ارتباطهم بالله، وهو المغزى المقصود.**

- **لطائف من سورة ص:**

** ذكر استكبار إبليس عن السجود لآدم، وهو أمر بسجود تحية وليس سجود عبادة، في سبعة مواضع:

(1) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: 34]

(2) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾ [الأعراف: 11].

(3) ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١﴾ [الحجر: 31].

(4) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ٦١﴾ [الإسراء: 61]



(5) ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا٥٠﴾ [الكهف: 50]

(6) ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ١١٦﴾ [طه: 116]

(7) ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ٧٤﴾ [ص: 74]



سورة الزمر

مكية - 75 آية

تكاد السورة أن تكون مقصورة على التوحيد وخصائصه وآثاره، من خلال سرد أحوال متباينة لأفواج من الخلق، قوبل كل فوج - أو زُمرة - منها بفوج آخر، والزُمر - جمع زُمرة - هي الجماعات من الناس المتبوعة بأفواج أخرى، حتى تكونت من هذا السرد بضع عشرة مقابلة شملت السورة كلها، جاءت بصيغة الاستفهام لأغراض بلاغية.

قبل التعرض للمقابلات العديدة في السورة، نلحظ تنويه متكرر في السورة لعقيدة التوحيد وتأصيلها في كتاب الله العزيز:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: 1-2].

﴿.. ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر: 23].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٤١﴾ [الزمر: 41].

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾ [الزمر: 55].

المقابلة الأولى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ ..﴾ [الزمر: 7]، إن شكران النعمة دليل على بصر سليم وطبيعة مستقيمة، ذكرها الله من قبل، فقال عن نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ [الإسراء: 3]، ووصف إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾ [النحل: 121]، وقال الرسول عن نفسه **(أفلا أكون عبدًا شكورًا)**، فالمطلوب عدم استخدام أنعم الله في معصيته.

المقابلة الثانية: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر: 9]، الطرف الآخر من المقابلة محذوف وتقديره هل يستوي قائم الليل ونائمه..؟، وفي صدق النية على قيام الليل عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، يَبْلُغُ عن النَّبِيَّ صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَتَي فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ**».

المقابلة الثالثة: بين صنفين متباعدين؛ أتقياء أخلصوا دينهم، وأشقياء عبدوا الحياة الدنيا، يكدحون ليرتفعوا في الحياة الدنيا، وعند الحشر لا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾ [الزمر: 17].

المقابلة الرابعة: أفمن أساء فاستحق العقاب، كمن اتقى فاستحق التكريم: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ [الزمر: 19].



المقابلة الخامسة: أفمن انشرح صدره بالحق، كمن ضاق به صدره فيستثقل الصلاة ويستكثر الزكاة ويفر من الجهاد: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: 22].

المقابلة السادسة: أفمن صان وجهه عن عذاب القيامة بإيمانه وإحسانه، كمن نصب وجهه لتلقي هذا العذاب بكفره وظلمه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الزمر: 24].

المقابلة السابعة: مقارنة بين من يعمل ابتغاء وجه الله، وبين من يطلب بعمله مآرب أخرى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: 29].

المقابلة الثامنة: تؤكد على معنى أن أجدر الناس بالتكريم هو من عرف الحق وعرفه لغيره، وقال الصدق وأيد الصادقين: ﴿۞فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: 32-33]، وجاءت الآية التالية بأعذب وألطف بشرى لمن جاء بالصدق وصدق به: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الزمر: 34-35]

المقابلة التاسعة: توضيح أن الله هو الرافع الخافض، هو المعز المذل الذي لا معقب لحكمة، فبمن يحتمي الناس دونه، هل يحتمون بمن لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وبالتالي



لا يقدر أن يحمي الآخرين: ﴿.. قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: 38].

المقابلة العاشرة: بين الإنسان ونفسه في حالتي البأساء والنعماء: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ ..﴾ [الزمر: 49]، ففيها تصوير عن واقع الإنسان، إذا أُحرج أحس بعجزه وسأل الله العون وكان عبدًا منيبًا، فإذا تغيرت الأيام وتكاثرت عليه النعم قال إنما أوتيته على علم عندى، هذا الفعل كفر بأنعم الله، وعلاجه الإسراع بالتوبة فهو من عزائم الإيمان، ولا يستسلم للشيطان فيستبعد النجاة من أخطائه، ولذلك جاءت البشري في الآية التالية: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: 53].

عقدت **المقابلة الحادية عشرة** مقارنة بين من يحدوهم الأمل في نعم الله فيسارعون في مرضاته، وبين من يتقاعسون فيندمون حين لا ينفع الندم: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: 56].

المقابلة التالية بين الصدق والكذب في العقائد والأخلاق: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: 61].

تختم السورة بالمقابلة الحاسمة بعد الحساب والمساءلة الدقيقة يرسل كل فريق في جماعات متتابعة -زُمرًا- إلى مستقره العتيد: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ ..﴾ [الزمر: 71]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ ..﴾ [الزمر: 73].



■ لطائف من سورة الزمر:

(1) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ..﴾ [الزمر: 2]

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ ..﴾ [الزمر: 41]

لغويًّا «إلى» تفيد الانتهاء، بينما «على» تفيد الاستعلاء، فتستخدم في الأمور الثقيلة:

﴿.. كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ..﴾ [البقرة: 183]

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ..﴾ [البقرة: 216]

﴿.. إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا١٠٣﴾ [النساء: 103]

في الآية الأولى الأمر بالعبادة ولم يتطرق فيها بالتبليغ.

في الآية الثانية الأمر بالتبليغ وهو الأشق فاستعمل «على» التي تفيد أن الأمر فيه مشقة.

(2) ﴿.. وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ ..﴾ [الزمر: 6]

قال ذلك سبحانه بالرغم أن الأنعام مخلوقة في الأرض، وليست منزلة من السماء، والمعني أي قضي لكم، لأن قضاءه منزل من السماء، والإنزال بمعني الإحداث والإنشاء، لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ..﴾ [الأعراف: 26].

(3) ﴿.. فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ..﴾ [الزمر: 71] في صفة أهل النار.

وزاد الواو في ﴿.. وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ..﴾ [الزمر: 73] في صفة أهل الجنة.

الحكمة في زيادة الواو عند الحديث عن أهل الجنة، أن أبواب الجنة تكون معدّة مهيأة لاستقبال المؤمنين تكريمًا لهم كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ٥٠﴾ [ص: 50].



فأهل الجنة يتنقلون فيها في يسر، وهم في طريقهم إليها يرونها من بعيد، فيسعدون، فكان حذف جواب الشرط ﴿.. إِذَا جَآءُوهَا ..﴾ [الزمر: 73] لأنه قد يضيق من ذكر النعم التي سيجدونها في الجنة.

أما أهل النار، فتفتح أبوابها بغتة في وجوههم ثم تغلق عليهم، كما في أبواب السجون في الدنيا، تكون مغلقة إلى أن يأتي المسجونون، فتفتح لهم، ثم تغلق عليهم.

وفي هذا الوصف مفاجأة للكفار الذين يساقون ثم فجأة تفتح الأبواب فيصابوا بالهلع.

وقيل إن هذه الواو الزائدة هي واو الثمانية التي سبق الإشارة إليها في لطائف سورة الكهف، حيث إن أبواب الجنة ثمانية.

(4) ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ٣٠﴾ [الزمر: 30]

ميِّت بتشديد الياء تقال لمن مآله إلى الموت.

أما ميْت بالسكون فتقال لمن مات فعلًا: ﴿.. أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ..﴾ [الحجرات: 12]

.



سورة غافر

مكية - 85 آية

➤ **وتسمى أيضًا سورة المؤمن.**

أول سورة من سبع سور تبدأ بـ«حم» فسميت بالحواميم، نزلت متتابعة بعد الزمر، قال فيهن ابن مسعود «**حم ديباج القرآن**»، وقال ابن عباس «**إن لكل شيء لبابًا، ولباب القرآن آل حم**»، والواقع أن المرء يشعر بالدهشة لوفرة ما في الحواميم من دلائل التوحيد، وسرعتها في امتلاك زمام القلوب.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ۝٣﴾ [غافر: 3].

في ذكر المغفرة وقبول التوبة قبل ذكر العقوبة، رحمة من الله تعالى، وفيه إشارة إلى أسلوب راقي في الدعوة إلى الله، خاصة عندما نرى أحد العصاة ونريد تقويمه، فلا نكون عونًا للشيطان على نفسه، ولا نقنطه من رحمة الله ومغفرته.

سورة غافر تعلن حربًا على الجدال السيئ والمكابرة بالباطل والتعامي عن الحق، وقد تكررت كلمة الجدال خمس مرات في هذه السورة، لتكشف الغطاء عن أسلوب المبطلين في معاملة الحق، فهم أصحاب عناد وليسوا أتباع دليل، وفي ذات الوقت السورة فيها دعوة للنبي لمجادلة مشركي مكة كما فعل مؤمن آل فرعون مع فرعون وملأه:

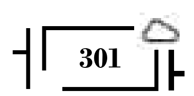
﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ۝٥﴾ [غافر: 4-5]



وجاءت الآية الثالثة عن المجادلين بالباطل على لسان **مؤمن آل فرعون**، الغيور على قومه وهو ينصحهم: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر: 34]، فيوسف عليه السلام كان من دعاة التوحيد، وحكم مصر بالعدل، وامتاز عهده بالرخاء، وبالرغم من ذلك بقي الناس على شكوكهم، ثم امتد حبل الكفر على نحو أغلظ لما أرسل الله لهم نبي الله موسى عليه السلام: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: 35]

ومؤمن آل فرعون شخصية رئيسية في السورة، وهو مثال لكل من ينصر الحق بدافع الضمير، على غرار إبراهيم عندما خاطب قومه وهو فتي غير مكلف من الله، ومؤمن سورة يس الذي تبرع بدعوة قومه لاتباع المرسلين، وفي ذلك تسرية عن النبي صلوات الله وسلامه عليه وهو يعايش ظلم قومه وعنادهم، وفيه أيضا تحفيز لضعاف الإيمان لنصرة الحق بشجاعة غير مقيدين بوهم الخوف على الرزق والحياة.

والسورة توضح أن الاغترار بالعلم القليل هو سر الجدال والمكابرة: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر: 83]، فالكثير من المخطئين لا يدري أنه يخطئ وقد يحسب نفسه راسخًا في الصواب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: 56]، وهذا هو الموضع الرابع الذي تكرر فيه ذكر الجدال في هذه السورة ومواجهته تحتاج إلى **صبر طويل** تكرر ذكره مرتين: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ..﴾ [غافر: 55]، [غافر: 77]



وقد قوبل الإسلام من أول تاريخه بمجادلين طوال الأنفاس، يرفضون الله الواحد فيأنفون من السجود له ويذل الواحد منهم نفسه أمام حجر أصم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴿٦٩﴾﴾ [غافر: 69]، ولفظ آيات الله يدل على أن تكذيبهم للقرآن هو تكذيب لكل وحي نزل من الله، إنه تكذيب لموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فالمكابرة رذيلة بغيضة.

في أوائل السورة أمر بدعاء الله وحده وإخلاص الدين له: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴿١٦﴾﴾ [غافر: 14-16]، والآية تصيح بأمجاد الله وتنبه الغافلين إلى البعث والجزاء.

ويتكرر هذا المعنى ثانية في السورة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: 60]، **فعبادة الله ليست هدفًا ثانويًّا، ولذلك وردت ثلاث آيات مفتتحة كلها باسم الجلالة، تعريفًا به وتذكيرًا بحقه:**

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴿٦١﴾﴾ [غافر: 61]: في كل صباح جديد يطل على الإنسان نعمة يستقبلها الرسول بالحمد والثناء، حيث كان يقول حين يصبح: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ».

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: 64]:



إشارة لقدرة الله الفائقة التي تضبط حركة الأفلاك، وتصور الإنسان في أحسن تقويم، فسبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ۝٧٩ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ۝٨٠﴾ [غافر: 79-80].

وتستمر الآيات حتى نهاية السورة بذكر حال المجادلين بغير علم، وهي من السور القليلة التي تنتهي بالحديث عن عذاب الرافضين لدعوة الله، ورفض توبتهم يوم الحساب، ويبدو من هذه اللهجة العالية المتشددة أن السورة نزلت في أواخر العهد المكي وبين يدي الهجرة، حيث لم يبق بين النبي والمشركين إلا هذه الحرب المفتوحة.

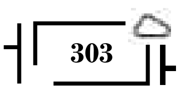
- **لطائف من سورة غافر:**

(1) ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ۝٤٦﴾ [غافر: 46] ذهب الجمهور أن هذا العرض هوفي البرزخ، أي بعد موتهم وقبل مجيء القيامة، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ: (**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّار**) رواه البخاري ومسلم.

(2) **في السورة استعراض وافٍ لأحداث يوم القيامة**، أو يوم الآزفة، وسميت بذلك لقربها:

* الذي يبدأ بالبعث فيخرج كل فرد فيجد ما عمل من خير محضرًا، وما عمل من سوء يود لو أن بينه وبين ما عمل أمدًا بعيدًا.

* ثم يحشر الناس في أرض المحشر، وهي في الشام كما جاء في الحديث الشريف، ويظل الناس وقد اقتربت الشمس من رؤوسهم زمنًا طويلًا، **وجاء في الحديث أن هناك سبعة**



أنماط من البشر هم فقط هم من يظلهم الله بظله في المحشر: إمام عادل - رجل معلق قلبه بحب المساجد - شاب نشأ في طاعة الله - واثنان تحابا في الله - رجل دعته امرأة ذات مال وجمال فأبى خشية الله - ورجل تصدق فلا تعلم شماله ما أنفقت يمينه- ورجل ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشيته سبحانه.

* ثم يبدأ الوقوف بين يدي الله، ويقرأ الكتاب، ويبدأ الحساب، وتوزن الأعمال، وتنال الدرجات، ويكون الرسول عند الميزان فيشفع لمن تجوز له الشفاعة.

* ثم الصراط وهو نهاية المطاف، وفيه يقتص الناس من بعضهم، ولا يمر عليه إلى الجنة إلا المؤمنون والصالحون.

(3) ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ٦٠﴾ [غافر: 60].

إذن فالدعاء في حد ذاته عبادة، بل هو مخ العبادة كما جاء في الحديث الشريف، وعلى هذا فمن طلب من الموتي قضاء الحوائج أو دفع الضرر، يكون قد عبدهم بدعائه بذلك، ثم إن دعاء غير الله لا يفيد الداعي شيئًا، فالله هو القادر على إجابة الدعاء، وقد وعد بالإجابة، ووعده الحق.

(4) ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ٨٥﴾ [غافر: 85].

وقت معاينتهم العذاب لا يكون للتكليف مجال، فالإيمان في هذه اللحظة هو إيمان إجباري وليس إيمانًا اختياريًّا، فالإيمان عند قيام الساعة لا ينفع إذا لم يكن آمن من قبل في الدنيا، وهي سُنّة الله في كل الأمم: لاينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب.



(5) ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ ..﴾ [غافر: 24]

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ ..﴾ [العنكبوت: 39]

ما الحكمة وراء تغيير ترتيب الأسماء في السورتين؟

تقديم فرعون في غافر يتماشى مع سياق الآيات الذي يدور حول فرعون.

أما تقديم قارون في العنكبوت فقد يكون بسبب أن آخر كلمة في الآية التي تسبقها ﴿.. وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ٣٨﴾ [العنكبوت: 38] ولا شك أن قارون كان أيضًا مستبصرًا بحقيقة رسالة موسى؛ لأنه كان من قوم موسى، وهذا التقديم لقارون يتماشى أيضًا مع ترتيب العقوبات في الآية التالية؛ فكان عقاب قارون أولًا: ﴿.. خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ ..﴾ [العنكبوت: 40] ثم فرعون ﴿.. وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ ..﴾ [العنكبوت: 40].

أما تأخير اسم هامان في العنكبوت لأنه لم يذكر فيها إلا في هذا الموضع.

وكذلك تأخير قارون في غافر فلم يذكر إلا مرة واحدة.

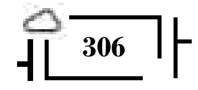


سورة فصلت

مكية - 54 آية

- **تسمى أيضًا حم السجدة.**

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ۝٢﴾ [فصلت: 2]، بداية ودية للسورة، فمن ينابيع الرحمة تنزلت آيات الكتاب، فهي هداية تقي الناس شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم، أهل الوعي يدركون ذلك ولكن ما أقل الواعين،﴿.. فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ۝٤﴾ [فصلت: 4]، فالمهم ألا تكون القلوب في غفلة، **فأي عاقل سيستطيع أن يتبع محمد وهو يناشد البشر أجمعين:** ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ۝٦﴾ [فصلت: 6]، **أما المتكبر فإنه يتصور أن توحيد الله مهمة صعبة**، ولذلك توعد الله المكذبين بالويل كما صار لأبائهم الأولين: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ۝١٣﴾ [فصلت: 13]، إن بطر الحق عند عاد، وإيثار الباطل عند ثمود هو ما أودى بهما، ثم إن عذاب الدنيا لا يغني عن عذاب الآخرة: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ۝٢٠﴾ [فصلت: 19-20]، فالسمع والبصر أنعم الله بهما على الإنسان لكي يعرف من عظمة الخلق ماهية عظمة الخالق، فإذا عزلهما المرء، ولم يتخذ بهما سبيلًا إلى الله، فستكون هذه المشاعر المهدرة أول ما يشهد عليه ويعين على عذابه.



والسورة في أثناء عرض الدعوة وجزاء مكذبيها تتحدث أيضًا عن نشأة الخليقة ونظام الملكوت الضخم: ﴿۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ [فصلت: 9-10]، وذكر هذه الحقائق عقب عرض الدعوة مفهوم، فتدبرها هو أساس الإيمان، والغفلة عنها سبب الخسران.

في وسط السورة حديث عن عوالم أخرى تتصل بالإنسان وهو يهم بالخير أو بالشر، حديث عن الجن ووساوسها والملائكة وإلهاماتها: فمن الجن أخيار، ومنهم شياطين تغري المرء بمعصية الله، كما انتهز كبيرهم غفلة آدم من قبل وحلف له كذبًا أنه ناصح أمين، فأكل آدم من الشجرة فطرد من الجنة.

وكذلك فعل الشيطان مع خصوم الإسلام في صدر الدعوة: ﴿۞وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت: 25-26]، فالشيطان أغرى الكافرين الذين كرهوا سماع القرآن أن يحدثوا ضجيجًا في مجلس الرسول حتى لا يخلص القرآن إلى القلوب، وسوف يندمون على هذا الهوس: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ [فصلت: 29]، أما أولو الألباب الذين شرح الله صدورهم بالحق، فإن الملائكة تعينهم على تخطي العقبات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي

كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: 30]، وسواء أن المقصود هو تنزّل الملائكة على المحتضرين لتشرح صدورهم بما سيلقون من رضوان الله، أو أن المقصود أن الملائكة تلهم المؤمنين الرشد وتعينهم على الحق في جهادهم في الدنيا، **فإن الملائكة تعين على الحق كما تعين الشياطين على الباطل، والأساس في الثواب والعقاب هو إتجاه الإنسان وإرادته وكسبه وإكتسابه**، وقد صح عن الرسول أنه قال لرجل أحسن الثناء على الله: «**أعانك عليها ملك كريم**».

والرسل أول ما يتجهون إليه هو تحبيب الناس في ربهم وتعريفهم به، وقد جاءت آيات في السورة وهي تستعرض الدعوة إلى الله، جاءت آيات لتحقيق هذا المعني:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ ..﴾ [فصلت: 37].

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ ..﴾ [فصلت: 39].

﴿۞إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ ..﴾ [فصلت: 47].

وللأسف فإن آليات الدعوة إلى دين الله معطوبة في أكثر الأحيان، ولا يجوز الدفاع عن المقصرين - وهم أغلب المسلمين - بإنشغالهم، ويمكن أن تساق فهم الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: 41-42]، فالمسئولية ليست هينة، فالمسلمين يحملون رسالات كل الأنبياء، وهم يمثلون في الدنيا الوحي من الأزل حتى النهاية: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ ..﴾ [فصلت: 43]

■ لطائف من سورة فصلت:

(1) عن جابر بن عبدالله أن قريشًا أرسلت عتبة بن ربيعة فأتي رسول الله وقال كلامًا كثيرًا، وكان أعلم قومه بالسحر والكهانة والشعر، فكان رد النبي أن قرأ عليه من أول سورة فصلت حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ۝١٣﴾ [فصلت: 13]، فسكت عتبة ثم انسحب واعتزل، وقال لقريش لقد علمتم أن محمدًا لا يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب.

(2)﴿.. فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ۝١٠﴾ [فصلت: 10]

أي في تتمة أربعة أيام باليومين المتقدمين، فتكون الجملة بعد خلق السماوات في يومين، ستة أيام، فالعوالم الأرضية في أربعة: الأرض - الجبال - الشجر- الماء، ثم استوى سبحانه إلى السماء - أي قصد إليها قصدًا سويًا - وهي دخان أي لا تماسك لها، وخلق من أجزائها السموات السبع وما فيهن من أقمار وأفلاك ونجوم، وذلك في يومين، فالأرض متقدمة خلقًا وإن كانت متأخرة عن خلق السموات دحوًا - أي تكويرًا - كما جاء في سورة النازعات: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ۝٣٠﴾ [النازعات: 30]، والله أعلم.

(3) ﴿.. وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظٗاۚ ..﴾ [فصلت: 12]

لفظ الزينة تكرر في الآيات التالية (وكلها سور مكية):

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ۝١٦﴾ [الحجر: 16]

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ۝٦﴾ [الصافات: 6]

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ۝٦﴾ [ق: 6]



﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ..﴾ [الملك: 5]

فالزينة والجمال عناصر مقصودة في بناء الكون، وتناثر النجوم والكواكب في السماء من أجمل المشاهد، نجوم وكواكب تبربش بنورها وضوئها، فإذا حدَّقت فيها توارت واختفت، وإذا التفت عنها أبرقت ولمعت، ولا تمل النفس متابعة النظر إليها.



سورة الشورى

مكية - 53 آية

في السورة ذكر للوحي وحَمَلته في أول السورة وآخرها، وخلال السورة ذكر لما كلفت به الأمة العربية التي تلقت هذا الوحي من واجبات، بعد ما اصطفاها الله لختام الوحى، كما شرحت علاقتها بأهل الكتاب الأولين.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ..﴾ [الشورى: 7].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ ..﴾ [الشورى: 52].

إذن فما خبر حَمَلة الوحي الأول؟

اليهود: انقطعت صلتهم بالدعوة إلى الله، وجعلوا الدين ميراثًا لهم يتأكلون منه، ويفتخرون به.

والنصارى: غلبتهم على حقائق الوحي فلسفات التعدد والفداء، والحديث الطويل عن ابن الله.

وجاء الإسلام: فأعلن صلته الوثيقة بموسى وعيسى عليهما السلام، وقرر أنه يؤكد ويجدد الوحي الذي أرسلا به: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: 13].

وكما قال المفسرون لم يبعث الله نبيًا إلا وأوصاه بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم، فلا تتفرقوا في الدين ولا تختلفوا في



التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه، وليس من هذا الشعائر الفرعية وتفاصيل العبادات، فإنها تختلف من شريعة لأخرى، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿.. لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ..﴾ [المائدة: 48]

فما العمل إذن مع أهل الكتاب الجائرين؟ لا تنشغل بهم وامضي في طريقك: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ..﴾ [الشورى: 15]، وقد اشتملت هذه الآية المباركة على عشر كلمات مستقلات كل منهم منفصل عما قبلها في إيجاز بلاغي مدهش، وقال العلماء إنه لا نظير لها في القرآن الكريم إلا آية الكرسي (البقرة - آية255)، التي بها أيضا عشرة فصول منفصلة.

وتوضيحًا لهذا النصح أكدت السورة أن الذين يحاربون التوحيد ويضيقون بمحمد، ويتوهمون أن الجاهلية ممكن أن تعود، فجادلوا الموحدين لعلهم يردونهم إليها، كل هؤلاء لن يضروا الله شيئًا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشورى: 16].

ولزيادة طمأنة النبي والمسلمين عاد الوحي مرة أخرى يحكي أقاويل خصوم الإسلام: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ..﴾ [الشورى: 24]، أي لو كان محمدًا كاذبًا ما تركه الله ينسب إليه هذا الدين الخطير، ولكن الإسلام شق طريقه، ولايزال الآذان في كل مكان يرفع ويشهد لله بالوحدانية ولمحمد بالصدق، فالإسلام خالد إلى آخر الدهر، في القارات الخمسة، ولكن لابد له من نقطة إرتكاز يبدأ منها انطلاقة، ولذلك قال عز وجل في أول السورة، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: 7]، ومنها بدأ محمد وأصحابه، وأدوا واجبهم على أكمل وجه، فلم يمضي نصف قرن على البعثة حتى كان الإسلام قد بلغ المشارق والمغارب.

في السورة تذكير للمؤمنين بقدرة الله فتربط قلوبهم بعظمته:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: 28]

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴿٣٢﴾﴾ [الشورى: 32]

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴿٢٩﴾﴾ [الشورى: 29]

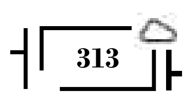
وتحذيرًا من عدم الاستجابة لهذه النصائح، جاء التهديد الإلهي، ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴿٤٧﴾﴾ [الشورى: 47].

■ لطائف من سورة الشورى:

(1) ﴿.. قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى: 23]، لم يسأل النبي على التبليغ أجرًا على الإطلاق، والآية تشير إلى قوله لقومه عندما كذبوه، إذا آليتم أن تتبعوني فاحفظوا قرابتي فيكم، ولايكون غيركم من العرب أولي بنصرتي منكم، فقد كان له قرابة في كل بطون قريش.

(2) ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: 30].

أي ما أصابكم من المصائب فإنكم تصابون بها عقوبة لكم بسبب ما كسبت أيديكم من المعاصي، وهو سبحانه بالرغم من ذلك يعفو عن كثير من المصائب فلا يعاقب عليها،



وهذه المصائب تكفير للعبد عن ذنوبه فيعفو الله عنها، وقد تصيب المؤمن مصيبة بغير ذنب فيؤجر على صبره عليها.

(3) ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: 43].

الصبر على البلاء في هذه الآية يبدو وكأنه قد تسبب فيه شخص ما، والمطلوب ليس فقط الصبر ولكن أيضًا أن تغفر للمسيء، وهذا يحتاج إلى عزيمة قوية؛ ولذلك استخدم الحق سبحانه وتعالى لام التوكيد «لمن»، أما في سورة لقمان: ﴿.. وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: 17]

فالآية لا تذكر أن البلاء قد تسبب فيه إنسان، إنه من عند الله - كالمرض مثلا - فالصبر هنا أسهل ولم يحْتَجْ إلى لام التوكيد، والله أعلم.



سورة الزخرف

مكية - 89 آية

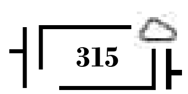
في السورة تحذير من فتنة الدنيا وزينتها، فمحورها إرساء القيم الحقيقية مكان القيم الزائفة. فالقرشيون الذين كانوا يقدرون قيمة الإنسان بما يملكه من متاع الدنيا، استكثروا على النبي أن ينزل عليه الوحي الإلهي وفيهم من هو أكثر أموالا وجاها، فسورة الزخرف ترد على تزوير المشركين للحقائق، وبالمقابل تثبت القول الحق والوعد الحق للمؤمنين، فما متاع الكافرين إلا زخرفا، وما قولهم إلا غرورا.

➤ **ففي السورة كشف لتناقضات المشركين العقلية، وتعرية لأكاذيبهم في عدة مواضع:**

(1) ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: 9]، هم يعترفون أن الله هو الخالق، وتكرر نفس المعنى في أواخر السورة، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧﴾ [الزخرف: 87]، إذن فما وظيفة الأوثان وما قيمتها إن كانت لا تضر ولاتنفع.

(2) ادعوا كذبًا أن الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾ [الزخرف: 19]

(3) ادعوا افتراءً أن لله أولادًا هم جزء منه: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝٨١ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٨٢﴾ [الزخرف: 81-82].



(4) ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزخرف: 31]، وفي هذا المطلب الأخير الذي يتجاهل ضرورة توافر صفات معينة فيمن يبلغ عن الله، وينقل الأجيال من القاع إلى القمة، في هذا المطلب رد الله عليهم: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: 32]، أي ليستخدم بعضهم بعضًا، فيكون بعضهم سببًا لمعاش البعض الآخر.!

إذن فإن تفاوت مكانة الناس في وظائف الدنيا هو من رحمة الله بعباده لتستقيم شئون الحياة، **وفضلًا عن ذلك فإن ما يظفر به البعض من متاع الدنيا ليس بدلالة على خير أو تفضيل لهم**، وقد بين الله في السورة أنه لولا أن ينخدع الناس جميعًا بتنعيم الكفار لجعل الحظوظ تنهمر على أعداء الله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾ [الزخرف: 33-35]

وقد يجد أعداء الله أعوانًا لهم، يتجاوبون معهم، وينصرون باطلهم، وفي هذا يقول الحق عزل وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢﴾ [الأنعام: 112]، ويقول في هذه السورة: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ [الزخرف: 36]، وهؤلاء القرناء يؤلفون جماعات وأحزاب تقاوم الحق، وتزرع الأشواك في طريقه، وقد أمر الله رسوله ومن معه بالتصدي لهم والتشبث بالوحي الذي شرفهم الله به: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ [الزخرف: 43-44]، وهذا هو السبيل للصلاح.

وساقت السورة قصة فرعون مع موسى، وفصلت كيف انتهى مصيره، لتطفئ بهذه القصة فتنة الغني والملك والجبروت المتمثلين في فرعون، فلم يغنِ شيء منهم عنه مصيره المحتوم، ثم ساقت السورة شيئًا من سيرة عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿۞وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: 57-58]، المثل الذي ضربوه أنهم استشهدوا بآية في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩﴾ [الأنبياء: 98-99]، إذن فهم استنتجوا أن سيدنا عيسى عليه السلام الذي تعبده النصارى من دون الله هو من المقصودين بأنهم حصب جهنم، ولكنهم نسوا أن كلمة «ما» في الآية هي تستخدم لغير العاقل، فالمقصود في الآية الأصنام المعبودة، وزيادة في التأكيد أنزل الله بعدها هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١﴾ [الأنبياء: 101].

وسيدنا عيسى عليه السلام لا ريب أنه من سادات الجنة، وعلى ما يبدو فإن فتنة مولده بغير أب رشحت لاعتباره ابنًا لله، وشاع ذلك في أقطار كثيرة، فشاء الله له أن يعبده في الأرض مرة أخرى عند قيام الساعة، ليكذّب بنفسه أنه إله، ويؤكد أنه عبد مرسل، وهذا هو معنى الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [الزخرف: 61]، وعندها يقال للمؤمنين: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠﴾ [الزخرف: 70]، أما غيرهم فمصيرهم سيئ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ۝٧٥﴾ [الزخرف: 74-75]، فعلى الدعاة أن يثابروا في إرشاد الجماهير التي توارثت الضلال دون يأس، وعلى ذلك جاء ختام السورة: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٌۚ

فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴿٨٩﴾ [الزخرف: 88-89]، **أي عند الله علم الساعة وعنده أيضًا علم قول النبي أن هؤلاء قوم لا يؤمنون.**

- **لطائف من سورة الزخرف:**

(1) ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ﴿٥﴾﴾ [الزخرف: 5].

أي إن الله تعالى من لطفه ورحمته بهذه الأمة لم يترك دعوتهم إلى الذكر الحكيم وهو القرآن، وإن كانوا مسرفين في إعراضهم عنه، بل كرره عليهم لأكثر من عشرين عامًا، وأمر به ليهتدي من قدّر لله له الهداية، وتقوم الحجة على من قدّر له الشقاوة.

(2) دعاء الركوب: ﴿.. سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: 13].

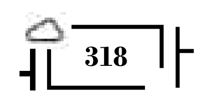
كان الرسول إذا ركب راحلته كبر ثلاثًا ثم تلا هذه الآية، أي لولا تسخير الله لنا هذا الذي نركبه، ماكنا مطيقين لتسخيره.

(3) ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 31].

القريتين أي مكة والطائف، وكان فيهما رجال ذوي جاه ومال وأسياد على قومهما، مثل الوليد بن المغيرة في مكة، وعروة بن مسعود في الطائف، كما قال معظم المفسرين، فكان رد الله عليهم أنه أنزله على خير الخلق وأشرفهم وأطهرهم وأعظمهم نسبًا.

(4) ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: 44].

أي إن القرآن شرف لك ولقومك، وسوف تسألون عما عملتم تجاه هذا الشرف، وهل عملتم بما فيه أم تركتموه وراءكم ظهريًا..





سورة الدخان

مكية - 59 آية

➤ نلمس في السورة تحذير من الانخداع بالسلطة والقوة.

لما قاوم أهل مكة الدعوة وآذوا المسلمين وعذبوهم، دعا النبي ربه «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»، فأجدبت الأرض وانقطع المطر وأظلمت الدنيا في عيونهم، فكأن الجو غطاه الدخان وملأته الغبرة، فذهب الناس إلى رسول الله يسألونه أن يعفو عن قومه، ولكنهم بعد العفو نكثوا أيمانهم، ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ۝١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ۝١٦﴾ [الدخان: 15-16]، وقد انتقم الله منهم يوم بدر فألحق بهم هزيمة منكرة.

السورة بينت أن حملة الوحي الأول مستهم البأساء والضراء، وحكت كيف اغتر فرعون وملأه بقوتهم، فكان عاقبتهم الهلاك: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ۝٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ۝٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ۝٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ۝٢٨﴾ [الدخان: 25-28]، **والعبرة المستفادة أن أصحاب الدعوات يجب أن تصدق أعمالهم أقوالهم، فيكونوا نماذج للعدل إذا آل إليهم الأمر**، والله يقول في اليهود: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ۝٣٢ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ۝٣٣﴾ [الدخان: 32-33]، فماذا فعلوا بعدما تحرروا من فرعون، إنهم أظهروا في الأرض الفساد، فمزقهم القدر كماء جاء في سورة الإسراء، ثم اختار القدر بعدهم العرب، فأورثهم الوحي والقرآن العظيم، فلما تخلوا عنه صاروا شراذم لا يلقي لهم أي اهتمام، **فالمقصود هو أن الذين يخلصون لله ولا يغترون بما أتاهم الله، فإنهم يرثون خير الدنيا والآخرة، ذلك وعد الله للمؤمنين**

الصالحين، فالله سيحكم بين الناس يوم يجمعهم جميعًا ويحاسب كل واحد بما قدمت يداه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١﴾ [الدخان: 40-41]، فماذا ينتظر الأشرار: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦﴾ [الدخان: 43-46]، وماذا ينتظر الأخيار: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ۝٥٣﴾ [الدخان: 51-53].

في ختام السورة يخاطب الله رسوله الغالي صلوات الله وسلامه عليه بأن يرتقب فإن قومه مرتقبون، مرتقبون لأنهم ليسوا على يقين مما يزعمون، خائفون من وعد الله بعذابهم الذي يعدهم به، فهم ما زالوا يعانون من حالة الشك الرهيب، بينما ينعم المؤمنون باليقين .

- **لطائف من سورة الدخان:**

(1) ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ۝٢٩﴾ [الدخان: 29].

في تفسيرها قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء، ينزل منه رزقه ويصعد عمله، فإذا مات انغلق بابه من السماء فبكت السماء عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها بكت الأرض عليه، رواه البيهقي في شعب الإيمان، أو ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة والناس، أو أنه مع ذهاب جبروت فرعون وقوته لم يتغير شيء وبقيت الدنيا على حالها.



سورة الجاثية

مكية - 37 آية

السورة تحرص على تثبيت إيمان المؤمنين، ولا تعبأ بالمشركين، وتكتفي بإعلامهم بمصيرهم يوم الحساب، **وفي السورة تأكيد على أن النظر في عجائب السموات والأرض يقود إلى الإيمان بالله سبحانه، وآيات السورة الكريمة تدعم البناء العقلي للإيمان،** وذلك واضح في أول خمس آيات من السورة، ثم تلفت الآيات التالية لها إلى ضرورة استغلال هذا الكون لمصلحة الإنسان: ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [الجاثية: 12-13]، والهيمنة على قوانين الكون تنفع الإنسان في الدنيا، وتعينه على إعزاز عقيدته والدفاع عنها، فالقرآن يقود النفوس بهداياته، والكون يدل على الله بآياته، **فلماذا يزيغ الناس عن الحق بعد ذلك،** ومع هذا فإن الله رحمة منه بعباده وسع لهم الفرصة كي يهتدوا، فنصح المسلمين أن يتريثوا وتخف وطأتهم على الكافرين في توجيه مدهش: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥﴾ [الجاثية: 14-15].

وإذا كانت السورة فيها حث على فهم الدنيا، فإنها تستنكر على من استغرق في الدنيا حتى شغلته عن فهم الآخرة، فانصرف عن الاستعداد لها: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [الجاثية: 23]، بل صار منكرًا للآخرة، واتخذ دينه ما يهواه دون

مراعاة لمرضاة الله: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ۝٢٤﴾ [الجاثية: 24]، ولذلك جاء ختام السورة تهديدًا بالبعث والحساب، ووصفًا لمواقف الناس أمام ربهم وهو يسائلهم عما قدموا: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ۝٢٧ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ۝٢٨ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ۝٢٩﴾ [الجاثية: 27-29].

■ لطائف من سورة الجاثية:

(1) ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ۝٥﴾ [الجاثية: 3-5]

إذن فالإنسان إذا تأمل في السموات والأرض، وأنه لابد لهما من خالق.....**آمن.**

وإذا نظر في خلق نفسه وباقي الدواب في الأرض، ازداد إيمانًا.....**فأيقن.**

وإذا نظر في سائر الأحداث، ازداد علمه واهتدى.....**فعقل.**

في كل آية ما يناسب المقام.

(2) ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ۝٣٧﴾ [الجاثية: 37]

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول: العزة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني منها شيئًا عذبته**» (مسلم برقم 2620).





سورة الأحقاف

مكية - 35 آية

- آخر سور الـ «حم».

في السورة مناظرة بين الرسول والكفار تتناول عقائدهم ومسالكهم، وتفند انحرافهم عن العقيدة المستقيمة، ليعودوا إلى الفطرة السليمة:

(1) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: 4]، في ذلك إثبات عجز آلهتهم التام عن خلق أي شيء.

(2) ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: 8]، إن القول بأن القرآن من وضع محمد يستحيل أن يصدر عن فكر سليم، وهناك الكثير من الملحدين الذين ينكرون أن لله وحيًا وأن له رسلًا، فبماذا أجيبوا: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9]. وليس لأهل مكة عذر في إنكار نبوة محمد، فهم يرون بأعينهم اليهود في المدينة يتبعون موسى، فلا مبرر لإنكار الوحي بالكلية، أو إنكاره على محمد بالخصوص: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 10]



(3) ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: 20]، **فإذن لا مبرر لأن يعتمد الكافرون على أعمال يعتبرونها صالحة وتقربهم إلى الله**، فقد أذهبوا ثواب هذه الأعمال بكفرهم، وكان عمر رضي الله عنه يزهد في ملذات الدنيا لهذه الآية، والحق أن الله لم يحرم على عباده الطيبات، ولكن الإسراف في الاستمتاع بملذات الحياة قد ينسى الحقوق والواجبات.

ثم ذكرت السورة في مناظرة المشركين كيف أن نفرًا من الجن استمع إلى القرآن واهتدى به، أفلا يدفعهم ذلك إلى التأمل والتروي، ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: 29]، ونذكر هنا على سبيل المقارنة، ما قاله غيرهم من بني آدم عندما ألقي عليهم القرآن: ﴿.. لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: 26]، والحادث كما أخرج احمد ومسلم عن علقمة، أن الصحابة قد افتقدوا الرسول ذات ليلة، فإذا هو يجيء من ناحية حراء في الصباح، وقال أنه أتاه داعي الجن، فأتاهم، وقرأ عليهم من القرآن، وانطلق فأراهم آثار الجن وآثار نارهم في شعب الحجون.

وهنا نلاحظ أن الجن قالوا: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف: 30]، وذلك لعلمهم أن الإنجيل ملحق بالتوراة ومؤيد لأحكامها ومخفف لبعض شدتها، أما القرآن فهو كتاب مستقل مهيمن على ما سبقه من وحي.

ومضت السورة في سياقها تستخرج قريشًا من ظلماتها: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ

قَدِيرٌ﴿٣٣﴾ [الأحقاف: 33]، إن عادًا التي حكت السورة قصتها مع هود ﷺ أقوى من قريش، والجن الذين تحدثت عنهم السورة أقوي من الإثنين، فهل يخفف ذلك من كبرياء مشركي مكة؟

وتنتهي السورة بآية تطلب من محمد أن يتأسى بأولي العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فإنهم عانوا من أقوامهم مثل ما عاناه من قومه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴿٣٥﴾ [الأحقاف: 35].

■ **لطائف من سورة الأحقاف:**

(1) ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴿٩﴾ [الأحقاف: 9].

جاء في صحيح البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت: عندما توفي عثمان بن مظعون رضي الله عنه وهو أحد السابقين والمهاجرين، وليس ابنا لها، قالت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال لها النبي : وما يدريك أن الله أكرمه؟ أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي؟ قالت: فوالله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا».

(2) ﴿.. حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴿١٥﴾ [الأحقاف: 15].



خص الله الوالدين بالدعاء في سن الأربعين لأنه السن الذي يصبح فيه الرجل منشغلا بزوجته وأولاده وحياته، وفي هذه الحالة وكثرة انشغاله فهو في حاجة إلى عون الله لبر والديه وتذكيره بهما، خاصة وأنهما يكونان في أشد الاحتياج له وقد بلغا أرذل العمر حين يبلغ هو الأربعين.

(3) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24].

أخرج البخاري عن عائشة أنها استفهمت من رسول الله عن السبب في أنها ترى في وجهه الكريم الكراهية إذا رأي غيمًا أو ريحًا، فأجابها «**يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَي قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**».

(4) ﴿.. حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ ..﴾ [الأحقاف: 15]

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ..﴾ [التوبة: 53]

الكُره بضم الكاف هو ما ينبعث من الداخل مثل الحمل والولادة فالحمل ثقيل على نفس الأم، وكذلك القتال ثقيل على النفس البشرية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ ..﴾ [البقرة: 216]

أما الكَره بفتح الكاف فهو ما يأتي من الخارج ويقابله الطوع: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ..﴾ [التوبة: 53]

أي أجبركم أحد على الأنفاق.



(5) ﴿.. وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ..﴾ [الأحقاف: 26]

لماذا السمع بالإفراد والإبصار بالجمع؟

لأن مدركات الإبصار كثيرة، فأنت تدرك أشياء متعددة في آن واحد (ألوان مختلفة وأبعاد مختلفة وأطوال مختلفة.. إلخ) ولذلك جُمع.

أما السمع فمدركاته أقل ولذلك أفرد. والله أعلم.



سورة محمد

مدنية - 38 آية

بداية مثيرة للانتباه تضمنت قانونًا عامًا خالدًا: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ① وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ② ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ③﴾ [محمد: 1-3].

وبعد هذه المقدمة الحاسمة، تدخل السورة في موضوعها الرئيسي، إرشاد المؤمنين إلى ما يجب أن يعتمدوه في حروبهم مع المشركين، فقد نزلت السورة بعد معركة بدر، وتدور حول نتائج المعركة، وتبدو كعلاج لحالة المؤمنين النفسية، فقد صبت السورة الغضب على المشركين الذين جاءوا لحرب المسلمين، ليعلم المسلمون أن الله معهم، ولم تغفل السورة إلقاء اللوم على المنافقين من أهل المدينة الذين انسحبوا من أرض المعركة.

ولكي نعرف الجو العام لهذه السورة التي تسمى سورة القتال، دعنا نسأل أنفسنا أولًا عن شعور من أُخرج من دياره واستبيح دمه وعرضه تجاه من افترى عليهم، هل يكنون لهم إلا البغضاء والكره؟، إذن فماذا تنتظر أن يقوله القرآن الكريم للمغلوب المستباح إذا لقي خصمه في الميدان: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ

لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤﴾ [محمد: 4].

وقد كان المسلمون في ميادين القتال يتلون هذه السورة جماعات بصوت مرتفع، ولما كانت فواصل الآيات تنتهي بميم ساكنة، فإن الوقوف الجماعي عليها له دويٌ يخلع قلوب الأعداء.

ثم يؤكد سبحانه الوعد الإلهي نتيجة المعركة داعيًا إلى الإقدام والشجاعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨﴾ [محمد: 7-8]، ويذكر مصاير الشهداء وما ينتظرهم من جزاء: ﴿.. وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤﴾ [محمد: 4]، ثم يضرب المثل للنعيم المنتظر: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾ [محمد: 15].

ومع الحديث عن المؤمنين المجاهدين والكافرين المعتدين، تطرق الحديث عن المنافقين لحماية المجتمع من شرورهم كما هو الحال في القرآن المدني: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾ [محمد: 16]، فهم ليسوا أصحاب عقائد يدافعون عنها وتعلقهم بالدنيا يجعلهم جبناء: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ

سُورَةٌ مُّحۡكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴿٢٠﴾﴾ [محمد: 20]

وانتهت السورة بتوصية المسلمين ألا يستسلموا مهما اشتدت المعركة: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: 35]، ثم قال للباخلين بما لديهم من نصرة الحق: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴿٣٨﴾﴾ [محمد: 38]

فالمجتمعات الجبانة لا تستحق الحياة والبقاء.

■ لطائف من سورة محمد:

(1) ذكر اسم محمد في القرآن أربع مرات: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: 144].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴿٢﴾﴾ [محمد: 2].

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ..﴾ [الفتح: 29].



(2) ﴿.. حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ..﴾ [محمد: 4].

الآية محكمة، والمعنى أن عليكم بجهاد الكفار، وهم من لم يكن له عهد من المشركين وأهل الكتاب، فاضربوا أعناقهم بغير هواده، حتى إذا أفنيتم قوتهم الضاربة، فعادوا بلا قوة كالرجل المثخن بالجراح، فأسروهم وأحيطوهم بالوثاق حتى لا يهربوا، فإما أن تطلقوا سراحهم بغير عوض (وهو المنّ)، أو تفدوهم بالمال، وذلك حتى يضع الكفار سلاحهم بالهزيمة أو الموادعة.

فقبل الإثخان .... قتل فقط.

وبعد الإثخان .... قتل أو أسر.

وبعد الأسر .... منّ أو فداء (ويجوز القتل للمصلحة).

ولكن لا يكون فداء ولا أسر إلا بعد الإثخان كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: 67].

(3) ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: 27]

متى ترد كلمة الملائكة بالتذكير ومتى ترد بالتأنيث؟

كلمة الملائكة ليست جمع مذكر سالم، فيجوز فيها التذكير والتأنيث.

ولها أحوال متعددة:

1- كل البشارات التي جاءت بها الملائكة جاءت بصفة التأنيث:

﴿.. تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ ..﴾ [البقرة: 248]

﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ..﴾ [آل عمران: 39]



﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ ..﴾ [آل عمران: 42]

﴿.. تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ..﴾ [فصلت: 30]

2- العقوبات تأتي بصفة التذكير، ولو كانت عقوبة ما جاءت في موضعين فالأشد منهما تكون بالتذكير:

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠﴾ [الأنفال: 50]

﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ٢٧﴾ [محمد: 27]

فعندما ذكر عذاب الحريق كان التذكير.

3- كل وصفٍ اسمي للملائكة يكون بصفة التذكير:

﴿.. بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران: 125]

﴿.. وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ ..﴾ [الأنعام: 93]

﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ ..﴾ [الزمر: 75]

4- أي فعل أمر يصدر للملائكة يكون بالتذكير:

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ ..﴾ [البقرة: 34].. ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ..﴾ [الأنفال: 12].

5- أي فعل يصدر من الملائكة بعد ذكرهم يكون بالتذكير:

﴿.. وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ ..﴾ [النساء: 166] - ﴿.. وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ ..﴾ [الرعد: 23] - ﴿.. وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ ..﴾ [الشورى: 5].



6- كل فعل بالعبادة يكون بالتذكير:

﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ..﴾ [الحجر: 30] - ﴿.. لَّا يَعۡصُونَ ..﴾، ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۝٦﴾ [التحريم: 6].



سورة الفتح

مدنية - 29 آية

نزلت هذه السورة العظيمة في أثناء عودة النبي إلى المدينة، بعد أن عقد مع قريش صلح الحديبية، وكان ذلك سنة ست من الهجرة، وكان قد سار إلى مكة للعمرة مع 1500 من المسلمين مسالمين بدون سلاح، وعند وصوله إلى موقع يسمى الحديبية أرسل عثمان بن عفان ليخبر قريشًا أنهم ما قدموا إلا للعمرة، فصدته قريش عن أداء العمرة، وانتشر الخبر بأن قريشًا قتلت عثمان، فبايع الرسول أصحابه على القتال، وتسمى بيعة الشجرة، ولكن ثبت أن عثمان بخير، ولما عاد عثمان أرسلت قريش من يتفاوض مع الرسول، وتم الصلح بعد مفاوضات شاقة مع المشركين، وأملى المشركون شروطًا قَبِلَها المسلمون كارهين.

وعاد المسلمون وقلوبهم كسيرة، فلم يتحقق أملهم في زيارة البيت الحرام والطواف بالكعبة الشريفة والسعي بين الصفا والمروة، **وبينما هم يعودون أدراجهم إلى المدينة، نزلت سورة حافلة بالبشريات، قال عنها النبي : «أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس»** (البخاري برقم 3943)، أنعم الله فيها على رسوله بأربع عطايا:

(1) مغفرة ذنبه ما تقدم منه وما تأخر «أي ما قد يكون ترك الأفضل في شيء».

(2) بشرى بفتح مكة.

(3) الهداية.

(4) النصر.

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣﴾ [الفتح: 1-3].

نعم.. فما وقع كان نصرًا، وكان بداية الفتح العظيم، بالرغم مما روي أن بعض الصحابة كانوا يرون في وقتها غير ذلك، **فما وقع كان إيذانًا ببدء انطلاق الدعوة وزوال العوائق من أمامها**، فقد اتسعت دائرة البلاغ، واعتُرِف بالدولة الإسلامية على أنها كيان قائم، وزاد الداخلون في الإسلام، ولم يمضِ عامان حتى استسلمت مكة لصاحب الرسالة وهو يقود عشرة آلاف مقاتل، فتحطمت الأصنام التي عُبدت من دون الله قرونًا، وعلت راية التوحيد، وأذن بلال فوق الكعبة .

والسورة أيضًا كشفت حقيقة القوم الذين تخلفوا عن الخروج معهم للعمرة، فالمنافقين في المدينة قالوا في أنفسهم لن يعود المسلمون، ستؤدبهم قريش وتنزل بهم هزيمة منكرة، فهم أعرف بطبائع المشركين: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: 11-12]، وهذا سبب أن المنافقين فوجئوا بعودة المسلمين، وأن العمرة المنشودة أجلت للعام القادم، **ولكن من رحمة الله بهم أن أبقي باب التوبة مفتوحًا لمن شاء منهم العودة إلى الله**، ولكنه اشترط عليهم أن يتركوا عبادة الدنيا، ورغبتهم في اللعب على الحبلين، ولن تصح توبتهم إلا إذا ثبتوا في حربهم ضد الكفارالأشرار: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح: 16]، من هؤلاء أولو البأس الشديد ... هم هوازن وغطفان يوم حنين، وكان قتالهم بعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة، وقتالهم يحتاج إلى الفداء والصبر، وبذلك يختفي كل أثر للنفاق.

بعد أربعين يومًا من عودة المسلمين من الحديبية كان فتح خيبر، وذلك بعد عشرين عامًا من بدء الدعوة الإسلامية، وخيبر أقوي وأغني المستوطنات اليهودية في شمال الحجاز، وبفتحها انتهت الدويلات التي أقام فيها اليهود بعد ما هربوا من بطش الرومان بهم، وكانت آفتهم في أثناء إقامتهم بين العرب أنهم جعلوا الدين قومية لهم أو شارة تميزهم عن غيرهم، كأن الله رب إسرائيل فقط وليس رب الناس أجمعين، وكأن الدين تركة آلت إليهم ليستكبروا على باقي الشعوب، فلم يحاولوا إنقاذ العرب من وثنيتهم، بل على العكس ظاهروا الوثنية ضد نبي التوحيد.

ومع أنه حاسنهم أول ما هاجر إلى المدينة، فقد بيتوا له الشر وأضمروا الغدر، حتى أتي أمر الله لتجريدهم من القوة التي كانوا يعتمدون عليها في بغيهم، وجعلهم وأموالهم مغنمًا للمسلمين: ﴿.. وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨﴾ [الفتح: 18].

وقد حاول المتخلفون عن الخروج في العمرة أن يشاركوا المسلمين في قتال خيبر لينالوا من غنائمها، ولكن الله أبى ذلك:

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٥﴾ [الفتح: 15]، وجعل الله فتح خيبر وغنائمها مكافأة لمن حضر الحديبية.

بينت السورة الحكمة الإلهية في رفض الرسول مقاتلة المشركين في مكة قبل عقد الصلح في الحديبية مع العلم في أنه لو قاتلهم لهزمهم كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ٢٢﴾ [الفتح: 22]



فلم تركهم إذن؟

لتبقى أولًا للحرم مكانته المتوازنة، ولأمر آخر خطير، فقد انتشر الإسلام واعتنقه كثيرون في مكة نفسها، ولكن ضغط الكفر جعلهم لا يعلنون عن إسلامهم مخافة الفتك بهم: ﴿.. وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح: 25].

وعلى كل حال فالمسلمون الذين منعوا من العمرة في السنة السادسة تمكنوا عن أدائها في السنة السابعة (عمرة القضاء)، ثم دخلوا مكة فاتحين في الثامنة، ويلفت الشيخ محمد الغزالي النظر إلى أن عدد الذين سقطوا قتلى خلال هذه السنين منذ بدأ الإسلام دعوته إلى أن أقام دولته، عددهم قليل جدًا مقارنة مثلًا بعدد الذين سقطوا قتلى في ليلة واحدة في معركة اسمها «سان بارثيليموا» بين الكاثوليك والبروتوستانت، فالإسلام فعلًا حريص على تقليل الخسائر في الأرواح من الفريقين.

في ختام السورة تصرح الآيات أن النصر حليف الإسلام فيما مضى وفيما بقي من الزمان: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: 28]؛ ولكن هذا النصر له مؤهلات لابد من توافرها، وبينتها السورة في الآية الأخيرة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: 29].



■ لطائف من سورة الفتح:

(1) ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح: 18]، هي واحدة من آيات الرضا الإلهى، والتي ذكرت في القرآن الكريم أربع مرات منها هذه الآية، أما الثلاث آيات الأخرى فهي:

﴿.. رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة: 119].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: 100].

﴿.. رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة: 8].

(2) ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢٠ وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢١﴾ [الفتح: 20-21]

عدَّد الله النعم التي أنعم بها على المؤمنين إذ يبايعون الرسول تحت الشجرة:

- رضي الله عنهم.

- أنزل السكينة عليهم فلم تأخذهم حمية الجاهلية التي دخلت قلوب أهل مكة فأقسموا ألا يسمحوا للمؤمنين بدخول مكة فتتحدث عنهم العرب شامتين بهم، فألزم الله رسوله والمؤمنين كلمة التقوى بتعظيم الحرم وترك القتال فيه، وثبتهم على الرضا والتسليم.

- أثابهم فتحًا قريبًا والمقصود به فتح خيبر بعد الحديبية بـ 40 يومًا.



- مغانم كثيرة يأخذونها وهي غنائم خيبر.

- كف أيدي الناس عنهم بالصلح وعدم القتال.

- وأخرى لم يقدروا عليها هي في الأغلب فتح مكة (أو الفتوح الأخرى) فهي وإن لم يقدروا عليها في هذا العام، فهي محبوسة لهم بإحاطة الله بها، لا تفوتهم.

(3) ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧﴾ [الفتح: 27].

الله سبحانه أرى النبي في المدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلقوا وقصروا، أي يتحللون من العمرة، ففرح أصحابه بذلك، وحسبوا أنهم سيدخلون مكة في عامهم هذا، فلما رجعوا بدون أن يدخلوها، قال المنافقون استهزاءً: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا مكة، فأنزل الله هذه الآية، وفيها أنهم سيدخلون المسجد الحرام (وقد تحقق ذلك في العام التالى) مع تعليق الأمر بالمشيئة (إن شاء الله) لتعليم العباد لما يجب أن يقولون، وقيل إن الاستثناء لعلمه سبحانه أنه قد يموت بعض ممن كانوا معه في الحديبية فلا يدخلون، فوقع الاستثناء لهذا المعنى.

(4) ﴿.. يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ..﴾ [الفتح: 29].

المثل مضروب من الله سبحانه لأصحاب النبي، إنهم يكونون في الابتداء قليلين، ثم يزدادون، ويكثرون ويقوون كالزرع، فكذلك المسلم يكون إيمانه ضعيفًا أول دخول للإسلام، فيتقوي بصحبة أهل العلم والإيمان، حتى يستوي فيكون مثلهم، فيكون غيظًا للكافرين.



(5) ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: 29]

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ [آل عمران: 154]

هاتان الآيتان في كل منهما جميع حروف الهجاء.



في السورة جملة من الآداب في الأخلاق والمعاملات التي تصون كيان الأمة وتزينها، أولها أدب المسلمين مع رسولهم، ثم آداب المسلمين بعضهم مع بعض، ثم علاقة الأمة كلها بسائر الأمم، والسورة بهذا السياق مثال رائع على تفرد القرآن بقضايا أخلاقية كثيرة عن ما سبقه من كتب سماوية، فالقرآن عني في كثير من المواضع بالمحافظة على كنز العدل والمحبة في المعاملات من ما سبقه من ديانات سماوية، **ولكنه في الوقت ذاته أوجد فصلًا رائعًا من الحضارة الأخلاقية، فيها تقنين حقيقي للأدب والذوق الاجتماعي والتحشم في المظهروغيرها** مما جاء في هذه السورة وغيرها من السور، مثل:

* ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴿٨٦﴾﴾ [النساء: 86].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴿٢٧﴾﴾ [النور: 27].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴿٩﴾﴾ [المجادلة: 9]

* ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ..﴾ [النور: 30]

وتأكيدًا لهذا المعنى، نلفت النظر إلى ما روي عن الرسول، أنه ضرب مثلًا دقيقًا يشبه فيه الأنبياء من قبله مثل بيت جميل البنيان يعجب به الناس، ولكنهم يرونه ناقصًا لبنة

مهمة لكي يكتمل، ويصف نفسه بهذه اللبنة، وفي حديث آخر «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

في أدب المسلمين مع رسولهم يقول جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات: 1-2].

لا تقدموا أي لا تقطعوا أمرًا دون الله ورسوله، ولا تعّجلوا به بحضرته، فللرسول أسلوب خاص في ندائه، وفي محادثته، يتسم بالتواضع وخفض الصوت والتزام الأدب، وهو ما أشارت إليه أيضًا سورة النور التي سبقتها في النزول: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ..﴾ [النور: 63]

ومن صدق الإيمان التثبت عند سماع الأخبار قبل تداولها ونشرها بين الناس، **فرب شائعة أمر خبر كاذب لا أصل له قد تحدث فتنة بالغة:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: 6]، وقد سبق الإشارة لذلك في سورة النور أيضًا عند الكلام عن حديث الإفك حيث كان التعليق على تداولهم الشائعات: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾ [النور: 15]

➤ **والسورة تلفت أنظارنا إلى أخلاق رديئة يجب البعد عنها:**

** فمن الرعونة أن تسخر من الآخرين حاسبًا نفسك أفضل منهم، فإنه لا يعرف حقيقة فضل إنسان على آخر إلا الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ



عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: 11]

** كما رفض الإسلام اللمز والتجسس وسوء الظن والغيبة والنميمة، وهي صفات تغلب على مجالس الكثيرين بكل أسف.

** والمسلمون عليهم أن يعرفوا رسالتهم بين الناس، فلا يجب أن ننظر إلى غير المسلم من أعلى، فالمسلم صاحب رسالة يجب عليه أن يشرحها بحكمة وأدب وحب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: 13].

وختمت السورة بشرح حالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام دون أن يتقيدوا بآدابه أو يلتزموا بأحكامه، فكانت قلوبهم خالية من اليقين، وأعمالهم بعيدة عن الإصلاح: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: 14]

وفي عصرنا هذا نجد من المسلمين من يشبهون أعراب الأمس، فهم ينتمون إلى الإسلام ولا يلبون له نداءً أو يؤازرونه في محنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



سورة ق

مكية - 60 آية

يرى الكثير من المفسرين أنها سورة رهيبة، فهي تتعقب كل نفس في سرها وجهرها، تتعقبها برقابة الله التي لا تدعها لحظة واحدة من الميلاد حتى الممات، إلى البعث، إلى الحشر، إلى الحساب، وهي رقابة شديدة ودقيقة، فكل نفس معدود، وكل لفظ مكتوب، وكل حركة محسوبة، على وساوس القلب وحركة الجوارح، ولا يوجد دون هذه الرقابة النافذة حجاب ولا ساتر، فهي في كل وقت وكل حال.

في سورة «ق» حديث عن البعث والجزاء، سبقته الأدلة العقلية إلى عظمة القدرة، وبالتالي إمكان النشأة الآخرة، التي تعجب منها الكافرون قائلين: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ٣﴾ [ق: 3]، لماذا تكون إعادة الخلق عجيبة، أليس هو الله الخالق الأول؟، ألا نري التفاعل المستمر بين أجسادنا والأرض التي نعيش عليها؟، **إن في كل لحظة بعث ولكن الكافر عبد لعقله ولا يعمل فكره**. لقد بني القرآن الإيمان على حركة العقل الباحث اليقظ، ثم صاغه في قالب البيان المعجز، ولعل ذلك يفسر أن الرسول كان يتلو هذه السورة في الجمع والأعياد، وقال الرواة أن إحدى الصحابيات حفظت هذه السورة عن فم الرسول وهو يخطب بها في الجمعة، انتقشت الكلمات في ذهنها ثم تحولت في سلوكها إلى خلق وعبادة ومنهج حياة.

والسورة توضح أن البعث ليس فكرة نظرية، إنه شعور حي يستولي على الإنسان وهو يفعل أو يترك، إن المسلم يضبط دنياه لحساب الآخرة: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ

وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: 16-18]، فهناك فارق بعيد بين حياة الإيمان وحياة الحضارة المادية التي قلما تذكر الله أوتستعد للقائه، والموت عندهم سيكون مابعده مفاجأة لم يحسب لها حساب: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٍ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [ق: 22]

➤ في السورة مشهدان مفصلان:

* الأول للمَلَك الذي يحصي على الكافر ما صنع: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥﴾ [ق: 23-25]، والحوار بين هذا القرين وصاحبه المجرم يدل على أنه كان فاسدًا قبل أن يفسده القرين: ﴿۞قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ۝٢٧﴾ [ق: 27].

* في المشهد الثاني نرى مصير الأتقياء الأخيار: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾ [ق: 31]، ثم عادت السورة تتحدث عن الكون وخلقه، فذكرت أن الله أوجد الكون بقدرته بدون أن يشعر بإعياء في هذا الإيجاد، وكيف يشعر سبحانه بتعب وأمره بين الكاف والنون: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق: 38]، وفي هذا رد على اليهود الذين افتروا على الله سبحانه كذبًا أنه استراح يوم السبت بعد أن خلق السموات والأرض.

وحيث إن القرآن يعتمد في بنائه للإيمان على العقل الإنساني، فقد ختمت السورة بأن محمد ليس حاكمًا متسلطًا يغير العقائد بالقوة، إنه ناصح مخلص ومذكر صادق: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق: 45]، إذن فأمرهم إلى الله القادر عليهم، فهو محيط بهم بعلمه وقدرته وسننه الثابتة، وليس على النبي من أمرهم من شيء سوى تبليغ القرآن لمن يستفيد من سماعه.

■ لطائف من سورة ق:

(1) **سورة ق هي أول الحزب المفصل من القرآن**، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحزبون (أي يقسمون) القرآن الكريم إلى سبعة أحزاب أي أقسام، تسهيلًا لتلاوته وحفظه، والأحزاب السبعة هي لأرقام متتابعة سهلة التذكر: 3، 5، 7، 9، 11، 13، المفصل، وهي كالآتي:

3 = البقرة، وآل عمران، والنساء	(3 سور)
5 = المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، و براءة	(5 سور)
7 = يونس حتى النحل	(7 سور)
9 = الإسراء حتى الفرقان	(9 سور)
11 = الشعراء حتى يس	(11 سورة)
13 = الصافات حتى الحجرات	(13 سورة)
ثم المفصل من ق حتى الناس	(65 سورة)

(2) ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [ق: 21].

ملك يسوقه إلى الحشر، وملك يشهد عليه عمله، وقيل السائق الملك الذي يكتب الحسنات، والشهيد الملك الذي يكتب السيئات.

(3) ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢﴾ [ق: 32]

الأواب الرجاع إلى الله بالتوبة عن المعصية، والحفيظ هو الحافظ الذاكر لذنوبه حتى يتوب منها ولا يهمل ذلك.



(4) ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ [ق: 33]

يخاف الله ولم يكن رآه، أو في الخلوة حيث لا يراه أحد، وجاء بقلب منيب أي رجع إلى الله وأخلص في عبادته.



سورة الذاريات

مكية - 60 آية

تدور السورة حول سنن الله وقدرته في إحياء عباده بالرزق المتجدد، فحيث أن الإنشغال بالرزق وما يخبئه القدر من أشد العوائق للإيمان بالله، فكانت السورة دليلا على قدرة الله في تسيير حياة الخلق، ليطمئن أهل مكة ويؤمنوا.

فأقسم رب العزة في هذه السورة بالرياح التي تذرو التراب، وتحمل السحاب المثقل بالماء، وتجري في الفضاء، وتقسم الأمطار على من يشاء الله من عباده، **أقسم بها الله على أن الجزاء حق وأن البشر مسئولون بعد قليل عما قدّموا وأخروا.**

ثم أقسم رب العزة بعد ذلك بأقسام أخرى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ [الذاريات: 7-8]، أي **السماء المحبوكة** لا تسيب فيها ولا عوج، وكل ما فيها ومن فيها يسبح وفق نظام رتيب، **ثم بالأرض** التي فيها ما فيها من أحمال ومع ذلك تنطلق بما تحمل لا تتوه ولا تزيغ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ [الذاريات: 20]، **ثم أقسم سبحانه بجسم الإنسان** البالغ التعقيد، سبحان من خلقه وصوره، **يقسم رب العزة بكل ذلك أنه حق وشاهد على عظمة الخلق**

ثم يتساءل سبحانه، أفلا تبصرون، نجد الجواب عن هذا التساؤل في خواتيم السورة، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝٤٨ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات: 47-49]، إن الملحد لا يبصر لغبائه وغفلته، فيوشك أن تدهمه كارثة تودي به، ولذلك يقول الله له ولمثله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم

مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: 50-51]؛ ولكن الكافرين من تخلفهم وجمودهم لا يستجيبون لرسل الله، ويصفونهم بالسحر أو الجنون: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: 52-53]، وطغيانهم هذا هو الذي أودى بهم في الآخرة بعد مرحلة الابتلاء في الدنيا.

وقد وصفت السورة في وسطها مصائر عدد من هؤلاء الأقوام الذين كذبوا الرسل، **بدأت بحديث عن ضيوف إبراهيم من الملائكة** الذين جاءوا بالبشري بغلام عليم، وبالنذير بتدمير قرى قوم لوط التي عجز لوط عن إصلاحها، هذا الحديث يكشف عن سوء فهم اليهود للألوهية وتأثر عقولهم بالفكر الوثنى، فقد ساق العهد القديم - الذي حرّفوا فيه التوارة - القصة على نحو آخر، فذكر أن الله سبحانه هو الذي تناول الغذاء مع إبراهيم وأكل سبحانه حتى امتلأ، أما القرآن فقد تنزه عن هذا السياق جملة وتفصيلًا.

وتحدثت السورة عن فرعون وجيشه، وكيف استباحوا بني إسرائيل، فكان مصيره أن رمي في البحر، وما كلَّف القدر جهدًا، ولا بكت عليه السموات والأرض، **وذكرت أيضًا قوم عاد وثمود وقوم نوح**، عتوا عن أمر ربهم فأبيدوا، **إن الله لا يحتاج إلى خلقه، إنه غني عنهم، وما يكلفهم بعبادته إلا لشكر نعمته والشعور بعظمته والإفتقار إليه، فهل هذا تكليف معنت:** ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: 56-58]، فالآيات تؤكد للمشركين أن الرزق بيد الله، فكما أنه سبحانه بيده الرياح وما تحمل، فهو القادر على رزقهم في بيئتهم الجافة كما رزق إبراهيم الولد وهو عجوز وزوجه عقيم، فلا ييأسوا

من قلة الرزق، وهناك نقطة أخرى، فالله خلق عباده لعبادته وليس ليشغلهم بطلب الرزق، فهو قادر على أن يرزقهم كما يرزق الطير، لكنه يريدهم أن يسعوا لطلب الرزق ليزدادوا علما ومعرفة وخبرة، فيترقوا في كل جوانب حياتهم، فيعبدوا الله بطريقة أرقى وأرضى عند الله.

على أن جحود الكافرين لن يمر دون مؤاخذة، سيلقون ما لقي آباؤهم من قبل: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩﴾ [الذاريات: 59]، إنه عقاب واحد ومصير مشترك: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ [الذاريات: 60].

- **لطائف من سورة الذاريات:**

(1) ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذاريات: 47]

يخبرنا علماء الفلك أن جميع ما في السموات من نجوم وكواكب ومجرات يدور دورانات معقدة ومتشابكة بسرعة رهيبة، ينتج عن هذا الدوران قوة طرد مركزية هائلة نحو الخارج، فتتسع أفلاك ومسارات النجوم والكواكب والمجرات، مما يؤدي إلى اتساع حجم الكون باطراد.



سورة الطور

مكية - 49 آية

السورة نموذج لطيف لعمل القرآن الكريم في النفس عندما يطلع عليها الهدى، كما يطلع الصبح على الليل فيمحو ظلامه ويضيء أركانه، يروي عن أحد المشركين، وهو جبير بني مطعم، أنه قدم إلى المدينة ليفاوض في فكاك أسري المشركين بعد موقعة بدر، فسمع الرسول يتلو سورة الطور مع المسلمين في المسجد في صلاة المغرب، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ۝٨﴾ [الطور: 7-8]، شعر أن قلبه يطير خوفًا من نزول العذاب، فأسلم وترك أوثانه ونجا، **وما أكثر الذين أخرجهم القرآن من الظلمات إلى النور**، والقرابة قائمة بين الوحي القديم والوحي الجديد، فمن جانب الطور نودي موسى عليه السلام ليحمل عبء الحرب على الفراعنة، ومن جانب البيت المعمور نودي محمد ليحمل دعائم التوحيد، ويقيم الدين على الحقائق لا الأوهام، وتضمن القرآن الصيغة الأخيرة للعقيدة والشريعة في الوحي الباقي لآخر الدهر.

وأكدت السورة الوعيد لأعداء الوحي، أما المتقون فلهم نعيم مقيم صنعوه بزكاة النفس وطهارة اليد واستقامة المنهج: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ۝٢٨﴾ [الطور: 26-28]، وزيادة في إكرام المتقين، فإن الله سبحانه يرفع ذريتهم إليهم في الجنة، وإن كانوا دونهم في العمل، لتقر أعينهم وتطيب نفوسهم، وهذا لا يتم إلا أن يكونوا مؤمنين، وذاك لا ينقص من عمل المتقين في شيء.



وبعد ما سبق من وعيد للمجرمين ووعد للمؤمنين، جاء في منتصف السورة أمر للرسول بالمثابرة على الدعوة: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩﴾ [الطور: 29]، فلا مكان للكهانة أو الجنون في دين الفطرة، **ولهذا السبب جاء بعد ذلك خمسة عشر استفهامًا متعاقبات، كأنها خمس عشر صدمة كهربائية تنقل المرء من حال إلى حال، وترغمه على التفكير في الحال والمصير**: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٣٢ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٠ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤١ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ٤٢ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣﴾ [الطور: 30-43]، والاستفهام فيها للتوبيخ والإنكار، ففي كل مرة يسفه أحلامهم، فكأن هؤلاء المشركين النوابغ لا يعقلون.

وبعد هذه الاستفهامات قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤﴾ [الطور: 44]، إنهم أهل عناد ومكابرة، لا يلتفتون للحق أبدًا، ولذلك قيل للرسول أن يتربص بهم أيامًا يذلّون فيها للحق، وترفع عنهم أسباب القوة، واشتغل أنت بالعبادة فإنك بأعيينا: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ..﴾ [الطور: 48]، فلا تبال بهم.





سورة النجم

مكية - 62 آية

السورة تتحدث عن صدق الوحي النازل من السماء على رسوله وعظمته، وتصف كيف تلقي الوحي: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: 1-6]، أي ما ضل في قوله، ولا غوي في فعله، وفي قسم الله سبحانه بالنجم عندما يهوي ويميل للغروب، كأنه ينبه إلى أن سقوطها ينبغي أن يدل على بطلان عبادتها، وكان بعضهم يعبد النجوم، (أشارت السورة في أواخرها بأنه هو رب الشعرى الذي كانت تعبده قبيلة خزاعة).

وهذا الوحي صادق ولو كذبه أهل مكة الذين غابت عنهم الحقيقة: ﴿.. إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٢٣﴾ [النجم: 23]، كما أن هناك متدينين ظلموا الوحي بأهوائهم، ولهم مرويات تخالف العقل ولا سند لها وجعلوها دينًا وما هي بدين، ويحاولون عرضها على الآخرين: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ۝٢٨﴾ [النجم: 28].

ومن هذه المرويات ما نسبه أهل الإفك إلى رسولهم أنه مدح الأصنام، وسماها الغرانيق العلا، **وما روى ذلك محدّث ولا فقيه**، ومن زعم ذلك فالإسلام منه بريء، **إن النجم قد يهوي لكن محمدًا ما هوى قط**.

فالإسلام نزل ليرسم طريق الخير للبشر، فالله يحب لخلقه الرشد بالرغم أنه غني عنهم، فمن شاء أحسن ومن شاء أساء: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ

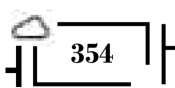


أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: 31-32]، وفي الآية نفحة ربانية لأن يتعلق من أخطأ بالمغفرة، ويكون تعويله على الفضل الإلهي، أما أصحاب العناد فهم ينكصون على أعقابهم: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ٣٣ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ٣٤ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥﴾ [النجم: 33-35]، قد تكون نزلت في شخص بعينه هذه المسالك، ولكنها تصوير لنموذج الكفر الشائع قديمًا وحديثًا، والواقع أن هذا الكفر بمحمد ووحيه هو تجاوز للوحي كله والأنبياء عامة: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١﴾ [النجم: 36-41].

➤ في خواتيم السورة آيات قصيرة، عالية الصدى عميقة الأثر:

﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ٥٢ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ٥٥﴾ [النجم: 47-55].

هكذا حصد الله المجتمعات الآثمة، ولن يعجزه حصاد ما أشبهها في الإلحاد والإجرام، فالرسول ليس إلا واحدًا من النذر الأولى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ٤٣﴾ [فصلت: 43]، فهل عيبه أنه رفض التعدد في الآلهة وأكد أن الله إله واحد، هل عيبه أنه رفض الكهنوت وكشف عجز المتسلطين من



رجال الدين عن نفع أنفسهم أو غيرهم، وأنهم أناس مثلنا أو دوننا؟: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ۝٦٠﴾ [النجم: 59-60].

■ لطائف من سورة النجم:

(1) سورة النجم أول سورة أنزلت فيها سجدة: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟۩۝٦٢﴾ [النجم: 62]، وسجد النبي عند تلاوة هذه الآية، وسجد معه المسلمون، وسجد أيضا الكفار، وكانوا حول الكعبة، لذكر اللات والعزي في السورة، وكانت السجدة سببًا في عودة المسلمين الأوائل من هجرتهم الأولى إلى الحبشة عندما بلغهم استنتاج البعض نتيجة هذه السجدة أن الكفار قد أسلموا.

(2) ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ۝١٤﴾ [النجم: 13-14].

روى ابن مسعود أن الرسول رأي جبريل عليه السلام في صورته مرتين، مرة في ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى، والثانية قبل ذلك على الأرض عند جبل أجياد في أول أيام البعث.

(3) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ۝٢٠﴾ [النجم: 19-20].

اللات: اسم صنم أنثى مأخوذة من اسم الله سبحانه وتعالى، وهو عبارة عن صخرة بيضاء منقوش عليها، وكانت موجودة في الطائف.

العزى: شجرة كانت في نخل، بين مكة والطائف، وكانوا يعبدونها، وبعث الله بخالد بن الوليد فقطعها.

مناة: صنم أنثى للأوس والخزرج، وكانت بين مكة والمدينة، وقال عنها عز وجل الثالثة الأخرى تحقيرًا لها .



وتقدير الجملة أفرأيتموها بنات الله وأنداده؟ والمعنى أخبروني ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما فتعبدونها دون الله القادر على كل شيء.

(4) ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: 32].

الكبائر: هي كل ذنب ختم بالنار في القرآن.

والفواحش: كل ذنب فيه إقامة لحد من الحدود .

واللمم: هو صغائر الذنوب.

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس أنه قال: قال ما رأيت شيئًا أشبه باللَمَم مما قال أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي قال: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**».

(5) ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ [النجم: 39].

قد يقول البعض بأن ثواب الصدقة وقراءة القرآن والحج والدعاء يصل إلى الميت بينما هذا الثواب ليس عن سعيه، الرد على هذا أن دعاء ولد الإنسان وأصدقاؤه وقراءتهما وصدقاتهما عنه يعتبر من سعيه أيضًا، بواسطة اكتسابه القرابة والصداقة ومحبة الناس بسبب تقواه وعمله الصالح، والله أعلم.

(6) ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [النجم: 2]

نفى الحق سبحانه وتعالى الضلالة (التي تكون عن قصد أو غير قصد) والغواية روحي الإمعان في الضلال ولا تكون إلا عن قصد).



وذكر كلمة «صاحبكم» ولم يقل اسمه، ففيها معنى الصحبة، فقد لبث صلى الله عليه وسلم فيهم عمرًا طويلًا وخالطهم وعاشرهم وعرفوا صدقه فكيف يمكن لهم أن يتهموه بالضلال؟!

وقد وردت كلمة صاحبكم في القرآن ثلاث مرات تنفي عنه صلوات الله عليه وسلم الجنون أو الغواية.

﴿.. مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ..﴾ [سبأ: 46]

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ۝٢٢﴾ [التكوير: 22]

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ۝٢﴾ [النجم: 2]



سـورة القمر

مكية - 55 آية

السورة تضع مشركي مكة أمام خيارين لا ثالث لهما: إتباع القرآن أو القضاء المبرم عليهم كما حدث مع أشباههم من الأمم البائدة، **ولعلها من أشد سور القرآن تهديدا لهم**، فليس فيها حوار بل تهديد بالعذاب، ومقابل هذا التهديد يذكرهم الله أنه قد يسر القرآن للذكر فهل منهم من يتذكر، وكرر سبحانه هذا التذكير أربع مرات في السورة، ففي القرآن من العظة ما يكفي.

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ١﴾ [القمر: 1]، ظاهر العبارة أن هذا الإنشقاق سيقع آخر الزمان يوم القيامة، ومن هذا القبيل قول الحق في سورة القيامة: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ١٠﴾ [القيامة: 7-10].

ولكن ورد حديث عن ابن مسعود يفيد أن انشقاق القمر وقع فعلًا على عهد الرسول، ولكن المشركين رفضوا الإذعان له، وكابروا في عنادهم زعمًا بأنه ساحر: ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ٣﴾ [القمر: 3]، أي بقيت أوضاع الجاهلية مستقرة كما هى، مع أن الوحي النازل يدك الباطل ويمحو الظلمات: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ٥﴾ [القمر: 4-5].

وقد هدد الله المشركين بيوم البعث والجزاء، وذكر لهم مصاير الأمم السابقة التي كذبت الرسل، فشرعت السورة تحكي بإيجاز عواقب الضلال والعناد من عهد نوح:



﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ [القمر: 9-10]، وبعد أن حكت الآيات عن مصيرهم بالغرق، جاء ذكر عاد قوم هود الذين أهلكوا بريح عاتية دمرتهم وبيوتهم، ثم جاءت ثمود بعد عاد، وأبرزت السورة قولهم لنبيهم صالح عليه السلام: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥﴾ [القمر: 24-25]، وهذا شبيه بقول أهل مكة لنبينا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨﴾ [ص: 8]، وقتلوا الناقة التي جعلها الله آية، فنزل بهم عذاب حولهم إلى غثاء، كالهشيم الذي يفرش في الحظائر وتطوءه الدواب: ﴿.. فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١﴾ [القمر: 31] ، ثم قوم لوط في المدينة الفاجرة، طغت شهواتهم واستمرأوا الشذوذ وحاولوا السطو على ضيوف لوط عليه السلام من الملائكة، فكانت عقوبتهم دمار مدينتهم.

- **فماذا ننتظر ممن نسي الله؟**

وكذلك أعداء الإسلام.. إنهم لن يفلتوا من العذاب والمصير الذي نال أسلافهم: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: 45]، وهي نبوءة تحققت يوم بدر.

وختمت السورة بحديث عن يوم الحساب، يوم يساق الجزاء العادل للفريقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: 47-48].

أما المسلمون فلهم شأن آخر: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: 54-55].



سورة الرحمن

مكية - 78 آية

سورة الرحمن عروس القرآن، وهي سورة الآلاء، أي النعم، قرأها الرسول يوم قابل الجن عندما ذهب إليهم في شعب الحجون بمكة، وقال لأصحابه بعد أن رجع إليهم أن الجن لما قرأها عليهم كانوا أحسن ردودًا منكم، فقد كانوا يقولون عندما أتلو عليهم: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13]، كانوا يقولون: (لا شيء من نعمك يارب نكذب، لك الحمد).

يمكن تقسيم السورة كالآتي:

(1) المقدمة من الآية الأولى حتى الثالثة عشرة.

(2) قسم تحدث عن الخلق والإبداع **(14-25)**

(3) قسم عن الفناء والبعث وجزاء المجرمين **(26-45)**

(4) قسم عن أهل السبق من الطائعين **(46-61)**

(5) والأخير عن الذين يلونهم من المحسنين **(62- 78)**

وتكررت آية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13] **إحدى وثلاثين مرة** خلال السورة، والخطاب فيها للجن والإنس تذكيرًا لهم بنعم الله عليهم ليحمدوه ويشكروه، فالجن والإنس هما المكلفين بعبادة الله في هذه الدنيا:

ثمانية منها: ذكرت بعد آيات تعدد نعم الله وعجائب خلقه.

ثم سبعة أخرى: عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها (بعدد أبواب جنهم)

ثم ثمانية: في وصف الجنتين وأهلهما (بعدد أبواب الجنة)

ثم ثمانية أخرى: في وصف الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين

فمن اعتقد في الثمانية الأولى وعمل بموجبها، وقاه الله السبعة السابقة، واستحق أيًا من الثمانية الأخرى حسب اجتهاده.

مقدمة السورة فيها إيجاز مدهش، يعرض في كلمات قصيرة متتابعة ما يوقظ العقل ويعمل الفكر في تدبر آلاء الله ونعمه:

الرحمن: اسم لا يطلق إلا على الله ويقترن باسم الذات،﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ..﴾ [الإسراء: 110]

علم القرآن: هي النعمة الأولى على صاحب الرسالة الخاتمة وما أعظمها.

خلق الإنسان: يمتن الله بنعمة خلق الإنسان.

علمه البيان: وهو عن خصائص الجنس البشري، فينقل المعنى إلى الآخرين بألسنة شتى .

ثم بين جل شأنه أن **الكون محكوم بسنن ضابطة له وعليها إشراف دقيق**، وكذلك ما ينمو على الأرض خاضع لنظام محكم ومثال ذلك الزرع فبعضه له ساق مرتفعة عن الأرض والأخر بلا ساق وينمو ممتدًا على الثرى، فكلاهما منقاد إلى الله انقياد الساجدين من المكلفين ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ۝٦﴾ [الرحمن: 6]، إن جنبات الكون تشبه آلات الساعة التي تحصي الزمن ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ۝٥﴾ [الرحمن: 5]، وإذا ظهر الفساد في البر والبحر بسبب فوضى الناس وإسرافهم وطغيانهم، فلن يضطرب ميزان الكون وقيادته في يد خالقه، ونحن مكلفون بإقامة العدل خلال هذه المدة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ۝٩﴾ [الرحمن: 9]، ومن نعم الله على خلقه أيضًا ثمرات الزروع والنخيل، فمع الفواكة الحلوة هناك حبوب في أغلفتها تطير مع الرياح كالقمح:

﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ [الرحمن: 12]، ثم هناك الورد والريحان متعة لمن شاء، فبأي هذه النعم تكذبان يا معشر الجن والإنس، كلها نعم تستحق الحمد والشكر والثناء وحسن عبادة الخالق لها والمنعم بها عليكم، **إن حقوق النعمة كبيرة، وحرام على من استمتع بها ألا يقدرها قدرها، وألا يدفع ثمنها، وهو شكر الله عليها وحسن عبادته.**

- **لطائف من سورة الرحمن:**

(1) ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14]

أي من طين يابس لم يطبخ، وله صلصلة أي صوت إذا نقر عليه.

وفي سورة الحجر: ﴿.. مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: 33] ، أي من طين أسود متغير.

وفي سورة الصافات: ﴿.. إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات: 11]، أي طين يلتصق باليد من لزوجته.

وفي سورة آل عمران: ﴿.. خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ..﴾ [آل عمران: 59].

كل هذه مراحل في خلق الإنسان، فإنه تعالى أخذه من تراب الأرض، فعجنه بالماء فصار طينًا لازبًا أي متلاصقًا يلصق باليد، ثم تركه حتى صار حمًا مسنونًا أي طين أسود منتنًا، ثم يبس فكان كالفخار له صوت إذا نقر عليه.

(2) ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن: 17].

أي مشرق الصيف والشتاء ومغربهما، حيث يختلف المشرق والمغرب يوميًا صيفًا وشتاءًا، فتشرق الشمس يوميًا بدرجات ميل مختلفة، تزداد وتقصر على مدار السنة، فيقصر الليل ويطول النهار صيفًا، والعكس شتاءًا، عدا عند خط الاستواء حيث تشرق الشمس وتغرب في نفس التوقيت على مدار الدهر.



ولا يتعارض ذلك مع ما جاء في سورة المزمل: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9].

فكل إنسان في بلده له مشرق ومغرب واحد.

ولا مع ما جاء في سورة المعارج: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: 40].

فالأرض تدور حول نفسها أمام الشمس، ففي كل لحظة تشرق الشمس في مكان ما وفي الوقت نفسه تغرب عن مكان آخر، ومع استمرار دوران الأرض يتكرر الشروق والغروب في كل لحظة فيؤدي إلى كثير من المشارق والمغارب.

(3) ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: 31].

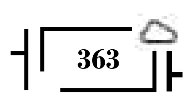
وعيد شديد من الله سبحانه للجن والإنس، أي سنفرغ لحسابكم، وقيل إن سبب تسميتها بالثقلين لأنهم ثقل على الأرض، أحياءً وأمواتًا.

(4) ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: 35].

الشواظ هو اللهب الذي لا دخان له، والنحاس هو الدخان الذي لا لهب له، وهو ليس المعدن المعروف، فهذا المعدن في القرآن اسمه قِطر بكسر القاف كما قال ذو القرنين: ﴿.. قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: 96].

(5) ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46].

أي لمن خاف قيامه بين يدي ربه وتذكر ذلك في حياته، فعمل جهده لكي يكون في هذا المقام منظورًا إليه نظرة رضا من الله، فإن له جنتان عند ربه، فما هما الجنتان، أقوال متعددة من المفسرين:



* جنة لعقيدته، وجنة لعمله، جنة للخائف من الإنس، وجنة للخائف من الجن. جنة يثاب بها، وجنة يُتَفَضْل بها عليه. جنة من ذهب، وجنة من فضة.

(6) ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: 50].

هما تسنيم وسلسبيل:

تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة لها رحيق مختوم بالمسك: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: 27].

سلسبيل: شراب أهل اليمين ممزوج بالزنجبيل: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: 18].

(7) ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78].

كان دعاء الرسول بعد الصلاة: (**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**).



سورة الواقعة

مكية - 96 آية

- **الواقعة من أسماء يوم القيامة، مثل الحاقة والقارعة.**

معالم السورة واضحة: فهي تبدأ بحديث وجيز عن انتهاء العالم وبدء الحساب، ثم تذكر صنوف الناس بعد البعث، وهم أصحاب السبق البعيد، وأهل اليمين، وأهل الشمال، **وفي ذلك هي متآخية مع سورة الرحمن في أوصاف القيامة والجنة بأنواعها ودرجاتها والنار وعذابها**، وتسوق بعد ذلك خمسة أدلة على أن البعث حق، وأن إنكاره خيال، ثم تختتم بوصف رحيل البشر عن هذه الدنيا بالموت، وبوادر تصنيف الأقسام الثلاثة: السابقين وأهل اليمن وأهل اليسار.

نجد في سورة الواقعة خمسة أدلة متنوعة من آفاق الكون وتجارب الناس على أن البعث حق، فالكافرون يبنون حياتهم على أنه لا يوجد بعث، وهو فكر ينتشر بين كثير من الملحدين في زمننا المعاصر، وهو أساس الغلو في المعاصى، دون شعور بقبحها، أو ندم على اقترافها، **وذلك هو الحنث العظيم**: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤٦ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝٤٨﴾ [الواقعة: 45-48]

(1) الدليل الأول: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾ [الواقعة: 57]، شيء بدهي لا ينكره إلا مكابر، فلماذا يتهم صاحب الخلق الأول بالعجز عن الخلق الثاني عند البعث؟

(2) الدليل الثاني: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا



تَعۡلَمُونَ﴿٦١﴾﴾ [الواقعة: 58-61]، في كل طرفة عين يتجدد خلق الله سبحانه في تخليق البشر، واستقبال ذريات جديدة باستمرار، في أطوار تبدأ من منيّ يُمنى، يشرف عليها أولًا وآخرًا العلي القدير، وهو الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: 62].

(3) الدليل الثالث: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة: 63-65]، إن إخراج البشر من الأجداث لا يزيد عن إخراج النبات من ظلمات التراب، فالخروج للقاء الله يوم البعث ومواجهة الحساب هو مثل الزروع التي خرجت من الأرض، وهو عمل تبرز فيه قدرة بديع السموات والأرض، ويجب أن يكون مثار إيمان بالبعث والجزاء.

(4) الدليل الرابع: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: 68-70]

فالله الذي يشرف على دورة الماء بين السحب التي في السماء ومجاريه التي في الأرض، هو الذي أوجده وهو القادر على الذهاب به، وهذا الماء هو أصل الحياة وأساس بقائها، وهو مطيع للمشيئة العليا التي هي مرجع الإيجاد والإفناء ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: 70].

(5) الدليل الخامس: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة: 71-73]

في الآية نرى الموت في أصول الحياة، في حياتنا نستنشق الأكسجين ونطرد ثاني أكسيد الكربون الناتج عن التمثيل الغذائي في الجسم، النبات بدوره يأخذ هذا الكربون من الهواء ويتحول في أغصانه الخضراء إلى فحم يختزن فيه الوقود الذي نشعله نارًا، وكذلك تتعاقب الأضداد، وما أيسر ذلك على القدرة الإلهية التي لا يعجزها البعث بعد الموت.



في السورة تكرار متعمد لذكر القيامة، وهو تكرار محمود الأثر، وليس تهديدًا للحضارات أو وقفًا للعمران البشري كما فهم بعض المستشرقين، وإنما هو لكسر الغرور ومنع التطلعات الطائشة للبشر، فهم بحاجة ملحة لتذكر يوم القيامة، فهذا التذكر يهذب طبائعهم، وإذا استشعر المرء أن هذا اليوم حق فلن يزهد في جزاء الآخرة كما هو مسلك الحضارة المعاصرة، وهو ما لخصه الإسلام في هذه الكلمات: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴿٢﴾﴾ [الملك: 2]، وهذا الاختبار الالهي يتسع بقدر ما أوتي المرء من إمكانات مادية وأدبية.

ولذلك كان ختام السورة لون من التحدي: هل يستطيع أحد الإفلات من الموت؟ هل يقدر أحد من البشر أن يدفع الموت عن صديق أو قريب؟: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: 83-87]، فلن ترجع نفس إلى الدنيا بعد استيفاء الأجل المكتوب لها، بل سينقسم البشر زمرًا وفصائل حسب ما قدموا لآخرتهم، ويتوزعون على الدرجات التي اكتسبوها بأعمالهم، وهكذا صدق آخر السورة أولها، ولخص مجملها، وسواء وعي الناس ما يستقبلون من مصاير أم ذهلوا عن ذلك، فلن يتغير الواقع ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: 95-96].

- **لطائف من سورة الواقعة:**

(1) عندما تحدث الحق سبحانه عن الزرع الذي نحرثه أكّد بلام التوكيد أنه سبحانه لو يشاء لجعله حطامًا مستخدمًا لام التوكيد ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ



تَفَكَّهُونَ﴿٦٥﴾ [الواقعة: 65]. بينما لم يستخدمها عندما تحدث عن الماء الذي نشربه ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴿٧٠﴾ [الواقعة: 70].

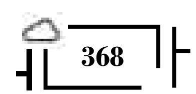
اجتهد المفسرون فقالوا إنه في حالة إنزال الماء من المزن لا يستطيع أحد أن يدّعي أنه يقدر أن يجعل هذا الماء مالحًا فلا لزوم للتوكيد هنا، أما في حالة تحطيم الزرع فقد يدّعي أحد من الناس أنه يقدر على إتلافه ويجعله حطامًا، فيؤكد القرآن أنه إذا شاءت إرادة الله تحطيم الزرع فسيكون حطاما شاملا لكل شيء، البذرة والأرض والجو، وهذا ما لا يستطيعه الإنسان، ولهذا كان التوكيد باللام، والله أعلم.

(2) ﴿۞فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴿٧٦﴾ [الواقعة: 75-76]

سر من أسرار القرآن الكريم. فالنجم الذي تراه بعينك يبعد عنك ملايين السنوات الضوئية (والسنة الضوئية حوالي 6 مليون مليون ميل)، ترى كم من الزمن استغرقه ضوء هذا النجم ليقطع هذه المسافة ويصل إلينا (سرعة الضوء 300000كم/ساعة)، قد يستغرق سنوات، فبالتأكيد لن يكون النجم في نفس المكان الذي يظهر لك فيه ساعة وصول ضوئه، فهو قد تحرك لموقع جديد خلال هذه السنوات.

(3) ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴿٧٩﴾ [الواقعة: 79]

«المطهرون» اسم مفعول وهي تعني مطهر من قبل الله تعالى، والمطهرون هم الملائكة؛ لأنه لم ترد في القرآن كلمة المطهرين لغير الملائكة، الاستثناء الوحيد عند وصف نساء الجنة ﴿.. أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ..﴾ [البقرة: 25] أي مطهرات من قبل الله تعالى أيضًا.



بالنسبة للمسلمين يقال لهم متطهرين أو مُطهَّرين:

﴿.. إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: 222]

﴿.. وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: 108]

ومطهرين أو متطهرين هي بفعل أنفسهم أي يطهرون أنفسهم.

أمر آخر أن لا هنا هي لا نافية وليس ناهية، بدليل أن فعل «يمسه» جاء مرفوعًا، ولو كانت ناهية لكان الفعل مجزومًا بفك الإضغام، فتكون يمسسه كما في قول الحق: ﴿.. وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ ..﴾ [مريم: 20].

الأمر الثالث أن المقصود في الآية الكتاب المكنون الذي هو في اللوح المحفوظ وليس القرآن الذي بين أيدينا. والله أعلم.

(4) ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: 19]

﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: 47]

الآيتان تقدمان وصفًا لخمر الجنة، وتبينان أن صفاتها ليست على خمر الدنيا.

في الصافات الحديث عن عباد الله المخلصين عند استثنائهم من العذاب الأليم، وهؤلاء ينعمون بخمر لا تذهب بالعقول: ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ ..﴾ [الصافات: 47]، ولا يصلون فيها لدرجة السكر ﴿.. وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: 47]، والفعل مبني للمجهول متابعًا لما قبله. ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم ..﴾ [الصافات: 45]

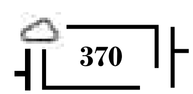
في الواقعة الحديث عن نعيم السابقين وهم أعلى درجة، فينعمون بخمر لا تسبب حتى الصداع ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ ..﴾ [الواقعة: 19]، وأيضًا لا ينفد شرابهم ﴿.. وَلَا يُنزِفُونَ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: 19]، حيث يقال أنزف القوم أي نفد شرابهم.

والفعل مبني للمعلوم متابعًا لما قبله ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ ..﴾ [الواقعة: 17].

وتأكيدًا على زيادة الإكرام "للسابقين" في الواقعة عن "المخلصين" في الصافات نراجع هذا الجدول:

المخلصين في الصافات	السابقون المقربون في الواقعة
﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴿٤٤﴾﴾	﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ﴿١٥﴾﴾ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴿١٦﴾﴾
﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم ..﴾	﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴿١٧﴾﴾
﴿.. بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ﴿٤٥﴾﴾	﴿بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴿١٨﴾﴾
﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ ..﴾	﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا ..﴾
﴿.. وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴿٤٧﴾﴾	﴿.. وَلَا يُنزِفُونَ﴿١٩﴾﴾
﴿.. قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ﴿٤٨﴾﴾	﴿وَحُورٌ عِينٞ﴿٢٢﴾﴾
﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴿٤٩﴾﴾	﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: 10-26].



﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات: 40-49].

فالإكرام والزيادة تبدو أكثر للمقربين السابقين في الواقعة.



سورة الحديد

مدنية على الأرجح - 29 آية

يتميز المجتمع الإسلامي بأنه رباني التوجه، فمن قبل الفجر حتى ما بعد غياب الشفق يهرع المسلمون حاكمهم ومحكومهم إلى المساجد، وتسمع صيحات الآذان تدعو الناس إلى الصلاة، وتنبه إلى حق الله في التكبير والتحميد، وتنزهه عما لا يليق به.

والحديث في سورة الحديد يتجه إلى المجتمع الإسلامى، فتدعوه إلى مزيد من الصلابة والقوة والإنفاق في سبيل الله، وهي تحث على تحرير المجتمع من الترهل والإنقسام والبخل ومن كل قيم الضعف، كي يمتلك أسباب القوة قيما وسلوكا، فيسهل عليه الجهاد دون كرامته وحقه.

تبدأ السورة في رسم الطريق للأمة الإسلامية: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾ [الحديد: 7]، فالإيمان والإنفاق عنصران أساسيان لنجاح الأمة في تأدية رسالتها، والمسلمون لا عذر لهم إذا ابتعدوا عن هذا الطريق الذي هداهم إليه نبي أخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فلا يجوز أن يستبدلوا بدينهم مذهبًا آخر من أهواء الناس: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ [الحديد: 8]

والإيمان المقبول أساسه معرفة الله مع نكران للذات، ورحمة الخلق مع رقة القلب، وليس كاليهود الذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ونقضوا مواثيق الله، وقد نهانا الله عن متابعة الذين ينتمون للإيمان قولًا ولكن في صدورهم صلف وفي قلوبهم قسوة، **والأمثلة**

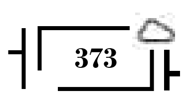


عديدة لهذا التدين السطحي، فترى من يتشبث برأي في فرع من فروع الفقه لا يقدم ولا يؤخر وينظر إلى الناس نظرة فوقية ويعاملهم بجفاء، ويعظهم الله: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: 16].

وعادت السورة تشرح ميزات الأمة التي تحمل رسالة الخير والحق: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴿١٩﴾﴾ [الحديد: 18-19].

والسورة تشير إلى أن المسلمين شركاء في سباق عالمي، لا ينجح فيه إلا من استعد له: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: 21]، ويربط الشيخ الغزالي بين هذا السباق والإشارة إلى إنزال الحديد في السورة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: 25]، ويعتب على المسلمين تأخرهم في السباق، وعدم تفوقهم في دراسة خصائص الحديد القيمة في الحرب والسلم، فالأمة الإسلامية عالة على غيرها في هذا الميدان.

وختمت السورة بآيتين توصيان المسلمين بالعودة إلى الله والاقتداء برسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا



تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الحديد: 28-29].

■ لطائف من سورة الحديد:

(1) دعاء قضاء الدين: روى الترمذي وغيره عن أبي هريرة أنه قال: جاءت فاطمة إلى الرسول ﷺ تسأله خادمًا، فقال: «**قولي: اللهم ربنا ورب كل شيء، منزل التوارة والإنجيل والقرآن، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر**».

(2) ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾ [الحديد: 7].

المال مال الله، والعباد خلفاء الله في أمواله في التصرف فيه من غير أن يملكوه حقيقة، وهم مساءلون في كيفية إنفاقه وضرورة أن يكون ذلك فيما يرضيه.

(3) ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: 21].

أي سارعوا مسارعة السابقين بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة من ربكم، وسارعوا إلى التوبة مما وقع منكم من المعاصى، ومن المسابقة التكبيرة الأولى مع الإمام، ومنها الصف الأول في الصلاة.



(4) ﴿.. وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: 27]

لكونها مبتدعة من جهة أنفسهم، لم يشرعها الله لهم، بل حملوا أنفسهم المشقات في الامتناع عن المطعم والمشرب والمنكح، وتعلقوا بالكهوف والصوامع، وفي الحديث «**لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله**» لأن فيه بذل النفس في الله، وليس الانقطاع في الصوامع من دين الإسلام.

(5) ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد: 29]

أي اتقوا وآمنوا يؤتكم كذا وكذا، ليعلم الذين لم يتقوا ولم يؤمنوا من أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على أن ينالوا شيئًا من فضل الله الذي تفضل به على الذين آمنوا بمحمد، فهذا الفضل الذي منه النبوة والعلم والتقوي هو من عند الله يؤتيه من يشاء، كما آتي منه محمدًا وأصحابه وأمته من بعده، أي إن «لا» في «ألّا» تعتبر زائدة كما قال الجمهور من المفسرين مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴿٩٣﴾﴾ [طه: 92-93].

(6) في السور المبتدئة بالتسبيح، ينبهنا الله تعالى إلى أنه سبحانه ينزهه كل ما في الكون، في الماضى، والحاضر، والمستقبل، وبجميع صيغ التسبيح:

فبدأ بالمصدر في سورة الإسراء لأنه الأصل: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴿١﴾﴾ [الإسراء: 1].



ثم بالماضي في ثلاث سور لسبق زمنه:

(السورة رقم 57 الحديد) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحديد: 1].

(السورة رقم 59 الحشر) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحشر: 1].

(السورة رقم 61 الصف) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الصف: 1].

ثم بالمضارع في سورتين لشموله الحال والمستقبل:

(السورة رقم 62 الجمعة) ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة: 1].

(السورة رقم 64 التغابن) ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [التغابن: 1].

ثم ختم بالأمر في سورة واحدة:

(السورة رقم 87 الأعلى) ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: 1].



سورة المجادلة

مدنية - 22 آية

➤ **السورة الوحيدة بالقرآن التي في كل آية منها مذكور اسم الله عزوجل.**

إنها سورة تنقية المجتمع النبوي بتخليصه من عادات سيئة راسخة فيه، كالظهار، والنجوى الآثمة التي تكون عادة بحق النبي وكبار الصحابة، وآداب المجلس، وآداب مناجاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وموالاة أعداء المجتمع، وهكذا تخلص السورة، بجدالها الحاسم، المجتمع النبوي من أهم أسباب الضعف التي كان يعاني منها، ويزيد من خطورة هذه القضايا أنها تمارس سرا بعيدا عن أعين المجتمع وسمعه، وخصوصا عن الفئة المعنية بحمايته.

السورة أول الجزء الثامن والعشرين وكل سوره مدنية، والمجتمع المدني فيه صنوف شتي من الناس، **هناك المؤمنون** الذين يقودهم وحي السماء النازل على النبي، **وهناك الوثنيون** المتعلقون بأذيال الليل المدبر، **وهناك اليهود** الذين يعبدون جنسهم ويريدون فرض أهواءهم على الناس، **وهناك المنافقون** الذين يجرون وراء مصالحهم ويظهرون بألف لون.

والسورة رغم قصرها تعرضت لأولئك جميعًا:

في الحديث إلى المؤمنين، بينت السورة الحكم في **قضية الظهار** الذي هو من شئون الأسرة المسلمة، والظهار هو أن يقول الرجل لامرأته أنتِ عليّ كظهر أمي (أي محرمة عليه)، وبينت أنه ليس طلاقًا، وذكرت كفارته، ونلفت النظر إلى أن أسلوب القرآن يمزج الأحكام بالعقائد، فيجعل الالتزام بهذه الأحكام جزءًا من الإيمان، ولذلك قال بعدها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا



خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة: 7].

وكذلك في الحديث إلى المؤمنين، أمرهم الله عزوجل أن تكون أحاديثهم بعيدة عن التحدى، **ولا يكترثوا إذا تلاقوا باليهود أو المنافقين** الذين يقابلون بعضهم البعض بود وبشاشة، ويحاولون أن يشعروا المسلمين بالعزلة، ولهذا يقول الحق: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: 10]

وفي شأن اليهود يقول أيضًا: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [المجادلة: 8]، فقد كانوا عليهم لعنة الله إذا أرادوا تحية المسلمين قالوا «السام عليكم» ويجعلون من الشبه بين السام (الذي هو الموت) والسلام ذريعة لتمني الهلاك للمسلمين.

- **وتنظيمًا لشئون المسلمين فإن السورة تبين لهم قواعد عامة:**

** ففي أقوالهم لا يتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول

** وفي المجالس العامة يفسح كل منهم المكان للآخر، وينزل الناس منازلهم وفق الإيمان والعلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: 11].



** وفي التفافهم حول الرسول ومحبتهم له، يجب أن يكون الأمر منظمًا حتى تستقيم شئون الدنيا والدين، فيجد وقتًا يخلص فيه إلى نفسه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [المجادلة: 12]

** فإذا صعب على مؤمن تقديم صدقة، فأفعال الخير أمامه كثيرة لإرضاء ربه، وهي أولى من إيثار الجلوس والحديث في حضرة النبي، فنصرة رسالته أهم من لذة الحديث معه: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾ [المجادلة: 13].

وفي شأن المنافقين أوضحت السورة أحد مسالكهم الخبيثة وهي الحلف كذبًا: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ [المجادلة: 14]، وتبين جزاءهم، وتصف موقفهم يوم القيامة بأنهم يتخيلون أنهم قادرين بحلفهم لله أن ينجوا من العذاب: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨﴾ [المجادلة: 18]؛ ولكن هيهات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠﴾ [المجادلة: 20]

وتفريقًا بين الإيمان الصادق والإيمان المغشوش يأمر الله المؤمنين أن يتحدوا بمبادئهم وينحازوا إلى من على شاكلتهم ويبتعدوا عن خصومهم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: 22]، والأمثلة في الصحابة عديدة، فقد ضرب أبوبكر والده عندما سب الرسول، وقتل أبوعبيدة بن الجراح والده يوم بدر بعد أن حاول الأب عدة مرات أن يقتل أبي عبيدة، وأبو عبيدة يهرب منه.

■ لطائف من سورة المجادلة:

(1) الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية وقد حرمهما الإسلام:

الإيلاء هو أن يحلف الرجل على عدم مضاجعة الزوجة، وهو ما يضر بالزوجة ولا يؤدي إليها أحد حقوقها، وفي الشرع أنه عليه أن يباشرها لا أقل من مرة كل أربعة أشهر، فإذا حلف يمينًا أن يمتنع عن المباشرة الجنسية لسبب أو آخر، فإنه يمنح له فرصة أربعة أشهر بعدها يجب عليه العودة إليها وكفارة حلفه، أو طلاقها: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: 226-227].

الظهار مشتق من الظهر، وهي أن يقول الرجل لامرأته أنتِ عليّ كظهر أمي، ووصفتهم الآيات في سورة المجادلة أنهم يقولون بقولهم هذا منكرًا من القول أي ينكره الشرع وهو كذب وبهتان، ولهذا جعل في الظهار كفارة وهي أن لا يمس زوجته حتى يخرج كفارته وهي عتق رقبة أو إطعام ستين مسكينًا من أوسط ما يطعمون أو صيام شهرين متتابعين، فمن ظاهر امرأته فقد حرمها تحريمًا لا يرفعه إلا الكفارة.



تسمى سورة بني النضير لذكرها قصتهم، وهم قوم من اليهود من ذرية هارون ﵇، استقروا بالقرب من المدينة هربًا من بطش الرومان، هادنهم الرسول وعاهدهم ألا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا العهد وتجرأوا على المسلمين بعد غزوة أحد التي أيدوا فيها المشركين، وازدادت شماتتهم في المسلمين بعدها حتى إنهم حاولوا قتل الرسول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ۝٤﴾ [الحشر: 4].

فحاصرهم المسلمون في السنة الرابعة بعد الهجرة لمدة ستة ليالى، فظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من بأس الله، وكانوا عند أنفسهم أعز وأقوى، ولم يخطر ببالهم أن الله سبحانه أمر نبيه بقتالهم وإجلائهم، فأجلاهم الرسول وأخرجهم من حصونهم، على أن لهم ماحملت إبلهم، فجعلوا يخربون بيوتهم حتى لا يستفيد منها المسلمون بعد ذلك، وذهب معظمهم إلى خيبر التي فتحها المسلمون وأخرجوا اليهود منها إلى الشام وذلك بعد الحديبية بأربعين يومًا في العام السابع الهجري.

فكانت في قول المفسرين آخر الحشر أي آخر إخراج لليهود من الجزيرة العربية، كما كانت غزوة بني النضير أوله، حيث كانت أول إخراج لهم.

وقد منح النبي أرض بني النضير هدية إلى فقراء المهاجرين، بعد أن خيّر الأنصار بين أمرين: إما أن يوزعها على الجميع ويبقي المهاجرون مقيمين مع الأنصار في ديارهم، أو أن يوزعها على فقراء المهاجرين فيتركوا ديار الأنصار وتكون لهم حياتهم المستقلة، فرضي الأنصار عن طيب نفس: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ



فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: 8-9].

في أواخر السورة آيات تثير الانتباه، فهي تدفع الناس دفعًا إلى معرفة الله وإيثار ماعنده، وقربت الآخرة حتى جعلتها الغد المحقق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: 18-19]

تأتي بعدها دعوة للمسلمين للتمسك بالقرآن الكريم، دعوة للعيش في ظل أحكامه، دعوة للاصطباغ بروح الإسلام واتباع النبي الذي قادهم من خلال كتابهم إلى رفع مستواهم العلمي والخلقي في صفوف متوازنة وراءه في المسجد: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر: 21]

وختمت السورة بنحو عشرين اسمًا من أسماء الله الحسنى، تشرح طبيعة العلاقة بالله الواحد، وتعلي هذه العلاقة كي تحيط بالنشاط الإنساني كله، وفي ذلك إصلاح لمسار الديانات القاصرة التي لا يتحكم في أتباعها إلا غرائز السوء بدون فكر أو استعداد للقاء الله في الآخرة.



■ **لطائف من سورة الحشر:**

(1) ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ٥﴾ [الحشر: 5]

قال بنو النضير عندما شاهدوا بعض المسلمين يقطعون نخيلهم أثناء الحصار الذي استمر ستة ليال، قالوا يا محمد هل من الصلاح قطع النخيل وحرق الشجر، وهل تجد في ما أنزل عليك ما يبيح الفساد في الأرض، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت الآية.

(2) ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ٦﴾ [الحشر: 6].

الفيء : هو ما يغنمه المرء بدون قتال، **والإيجاف:** هو إسراع الراكب على فرسه.

والمعنى أن ما ردّ الله على رسوله من أموال بني النضير لم تركبوا لتحصيله خيلًا ولا إبلًا، ولاتجشمتم له مشقة، إنما كانت تبعد ميلين عن المدينة.

(3) ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ٩﴾ [الحشر: 9]، الدار هي المدينة، وتبوءوا الإيمان أي لزموا الإيمان أو تمكنوا فيه كتمكنهم في المدينة، **وروي عن الرسول أنه قال:** «**إن الإيمان ليئرز إلى المدينة كما تئرز الحية إلى جحرها**».



سورة الممتحنة

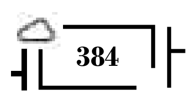
مدنية - 13 آية

سورة اختبار الولاء للمجتمع النبوي في المدينة موثقا باختبار الإيمان، وبالمقابل تتحدث عن حرب بلا كراهية، وعداء بلا انتقام، وعدل مع الزوج الكافر الذي هجرته زوجه المؤمنة، فالسورة تسعى لصنع إنسان مسلم قوي، يعدل مع عدوه، ويصل رحمه بدون أن يكون ذلك على حساب مجتمعه المؤمن.

فالسورة تتحدث عن تحديد العلاقة بين المسلمين وأعدائهم في العقيدة، مع التأكيد على ضرورة التعصب للحق وحده والانحراف عن أهل الفسق، وذلك في ثلاث محطات رئيسية:

(1) **المؤمن لا يرضى بالهوان، ويبذل جهده لمدافعة من ظلمه، ويؤمن بأنه من السقوط أن يلين لمن يريد قهره ويحط من قدره:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ [الممتحنة: 1].

ومثال على ذلك فإن الوفاء للمبادئ يفرض الولاء لمن يؤيدها واعتراض من يعرضها: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا



حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: 4]، فالمسلمون بذلك لا يجنحون إلى التهجم، أنهم يردّون العدوان ويتمسكون بدينهم.

(2) **الحب والبغض في الله من عناصر الإيمان، فإذا أحببت ظالمًا لنفع يعود عليك، أو كرهت عادلًا لطمع لم يدفعه إليك، فاتهم إيمانك وراجع حساباتك:** ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: 8-9]

فالله عادل يحب العدل، وحين يظهر المسلمون عدم رضاهم عن اضطهاد المسلمين في بعض بقاع الأرض فهذا ليس تعصب ديني، فاستنهاض الهمم لتغيير أوضاع المضطهدين من المسلمين هو عبادة لله وإنصاف للبشر وإحترام للإنسانية.

(3) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة: 13]

حدث أن أملي المشركون شروطًا غريبة على المسلمين في معاهدة الحديبية، فمن ترك مكة مسلمًا فلا يجوز لأهل المدينة أن يستقبلوه مهاجرًا معهم، ومن ترك المدينة مرتدًا فلأهل مكة أن يطمئنوه، وقد قبل الرسول هذه الجاهلية المتكبرة، وشاء الله أن يكون أهل مكة أول من يكتوي بنارها ويسعي إلى إلغائها.



فالذي حدث بعد ذلك أن بعض النساء في مكة شرح الله صدورهن للإسلام، فأين يذهبن، نزل الوحي يأذن بقبولهن في المدينة، فلا مبرر لتشريدهن في الأرض: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ ..﴾ [الممتحنة: 10].

ويلفت النظر أن المسلمين أُمروا بتعويض المشركين الذين آمنت نساؤهم، وفي الوقت ذاته لا يتمسكوا بمن ارتد منهن كافرات إلى مكة: ﴿.. وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾ [الممتحنة: 10].

تنظيمات عادلة تدل على روح الدين، ولم يطل بها عهد، فسرعان ما فُتحت مكة، ودُكت معاقل الوثنية، وبُنيت الأسرة الإسلامية على التوحيد الخالص.

■ لطائف من سورة الممتحنة:

(1) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ [الممتحنة: 1]

نزلت في أحد الصحابة من المهاجرين، اسمه حاطب بن بلتعة، وكان له بمكة أولاد ومال، وكان يصادق أهلها من أجل ذلك، فكتب إلى قريش يخبرهم بمسير النبي إليهم، وذلك في فتح مكة في العام الثامن الهجرى، وكان النبي يتحرى أن يفاجئهم.

جدير بالذكر أن الآية رقم 65 في سورة النساء: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 65] قد نزلت في خلاف دب بين حاطب بن أبي بلتعة أيضًا مع حواري الرسول الصحابي الجليل الزبير بن العوام، حين اختصما على مياه الري، فحكم الرسول بأن يسقي الأعلى أولًا، وكان الزبير هو الأعلى، فغضب حاطب وقال إن الرسول قد حكم لقريبه، فنزلت الآية.

(2) ﴿.. إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: 4].

في الآية إشارة إلى قول إبراهيم لأبيه في سورة مريم: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم: 47]، والمعنى المقصود أي قد كانت لكم أسوة حسنة في كل مقالات إبراهيم إلا قوله لأبيه، فلا تفعلوا مثله فتستغفروا للمشركين، فإنه كان إستيفاء لوعده له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

(3) ﴿.. وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة: 10].

أي من كانت له امرأة كافرة فلا تجوز له لانقطاع عصمتها لاختلاف الدين، وكان الكفار يتزوجون المسلمين، والمسلمون يتزوجون المشركات، ثم نسخ ذلك بهذه الآية، وهذا خاص بالكوافر المشركات دون الكوافر من أهل الكتاب.



سورة الصف

مدنية - 19 آية

سورة الموقف الصادق والثبات على المبدأ حول رسول الله وما جاء به من عند ربه، وهذا هو الصف الذي يريده الله للمؤمنين: الثبات على قيم النصر التي توحي بها آيات السورة، وما تضمنته من قصص الأمم السابقة.

السورة تلفت النظر إلى أن الرسالات الكبرى تحتاج في نصرتها إلى الجد والصدق، فأعداؤها لديهم جراءة في خدمة ما يعتنقون، ولن يستطيع التغلب عليهم إلا مؤمنون شداد، اما الكلام المرسل بدون أفعال تؤيده فلن يجزي شيئًا، ولهذا عوقب المؤمنون الذين لايرتفعون إلى هذا المستوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ۝٣﴾ [الصف: 2-3]، والمؤمن الذي يتفاني في مرضاة ربه يكون متجاوبا مع كل شيء في الكون يسبح بحمد ربه، ولذلك افتتحت السورة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ۝١﴾ [الصف: 1].

بعد المعاقبة جاء ذكر للأمم التي لم تصدق الله بأفعالها، بل وأظهرت العداء لله ورسوله، وأولهم اليهود الذين آذوا موسى واتعبوه، وسرعان ما أضاعوا الكتاب الذي أنزل إليهم: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ۝٥﴾ [الصف: 5].

ثم ذكرت السورة سيدنا عيسى عليه السلام وقومه، وبينت أنه مبعوث إلى خراف بني إسرائيل الضالة، فيربطها بالتوارة التي تمردت عليها، ويمهد لنبوة عامة تهدي كل البشر إلى الله الواحد: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ

يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴿٦﴾ [الصف: 6].

➤ **وقد ختمت السورة بمعنيين كريمين يصدقان ما بدأت به:**

الأول: أن الحياة إيمان وجهاد ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴿١١﴾ [الصف: 11]، وهو المعنى الذي اقتبسه أمير الشعراء في قوله:

قف دون رأيك في الحياة مجاهدًا

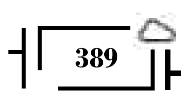
إن الحياة عقيدة وجهاد

أما الثاني: فهو استعداد المؤمن في كل موطن لنصرة الله وإعلاء كلمته، فهو يمشي في دروب الحياة متيقظًا، يلبي كل نداء لنصرة الله، وهو ما اعتمد عليه سيدنا عيسى عليه السلام عندما رأي ارتياب اليهود وعدم نصرتهم له فصاح مناديًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴿١٤﴾ [الصف: 14].

■ **لطائف من سورة الصف:**

(1) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴿٢﴾ [الصف: 2].

روى ابن عباس أن نفرًا من المؤمنين كانوا يقولون وددنا أن يخبرنا الله بأفضل الأعمال فنتقرب بها إليه، فلما فرض الجهاد وأخبرهم الرسول أنه من أحب الأعمال إلى الله، شق ذلك على أناس منهم.



(2) ﴿.. وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ..﴾ [الصف: 6]

أي الذي يحمد بما فيه من خصال الخير أكثر مما يحمد غيره، فهو أحمد الناس لربه، لأن حمده لربه بما يفتحه الله عليه يوم القيامة قبل شفاعته لأمته، سابق لحمدهم له تعالى على طلبه الشفاعة من نبيه لهم.



سورة الجمعة

مدنية - 11 آية

بداية السورة بالتسبيح فيها تحريض للمؤمنين على أداء فريضة صلاة الجمعة، فإذا كان كل شيء يسبح بحمد الله، فلِمَ يتأخر المسلمون عن المشاركة في هذا العمل الجماعي، وقد يكون الافتتاح بالتسبيح فيه توبيخ للذين خرجوا من المسجد وتركوا الصلاة لما سمعوا قدوم القوافل بالبضائع: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: 11]

فيوم الجمعة هو العيد الأسبوعي للمسلمين، فيه ساعة مباركة لا يوافقها عبد مقبل على الله بدعوة أو عبادة أو تسبيح إلا تقبل الله منه وغفر له، ويستحب الغسل والتطيب في يوم الجمعة.

في السورة حديث عن انبعاث الرسول الخاتم من بين العرب الأميين بعد أن صرف الله الرسالة العامة عن أهل الكتاب بعد أن تفشى بينهم التدين الفاسد: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]، فاليهود نسوا ربهم وذكروا شهواتهم وعبدوا جنسهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 5]، فهم أبعد الناس عن اقتياد الجماهير إلى الله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ

أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ۝٧﴾ [الجمعة: 6-7]، ومن المؤسف أن نرى كثيرًا من المسلمين المعاصرين سرت إليهم هذه العدوى من أهل الكتاب، فنسوا الله ونسوا الوحي النازل إليهم.

- **لطائف من سورة الجمعة:**

(1) ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ۝٣﴾ [الجمعة: 3].

أي يزكيهم ويزكي آخرين غيرهم، وهم من جاء بعد الصحابة من مسلمي العرب خاصة إلى يوم القيامة، وقيل المراد أيضًا من أسلم من غير العرب، فقد صاروا بالإسلام منهم، فالمسلمون كلهم أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم.

(2) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۝٩﴾ [الجمعة: 9].

المراد به الأذان إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة، لأنه لم يكن على عهد النبي نداء سواه، أما الأذان الأول للجمعة فقد زاده الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بموافقة الصحابة لما اتسعت المدينة، والسعي المقصود هو سعي بالقلوب والنية والخشوع كما قال الحسن البصري ﷺ، وليس المراد بالسعي هنا العدو، كقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ۝٣٩﴾ [النجم: 39]، ولقد نهي الإسلام المسلمين أن يأتوا إلى الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار.



سورة المنافقون

مدنية - 11 آية

سورة المنافقون فضحت زعماء النفاق، وسجلت عليهم ما حاولوا الفرار منه، إنهم حريصون على أن تكون صورتهم جميلة لتستر خباياهم، لكن يغلبهم حقدهم فيقولون ما يسيء إلى المهاجرين ويحرج الأنصار: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ٧﴾ [المنافقون: 7].

فالله قد ابتلي المهاجرين بترك أموالهم وبيوتهم في مكة، وابتلي الأنصار بحسن استقبالهم ومواساتهم في المدينة، فهل يجوز أن يقول زعيم المنافقين عبدالله بن أبي اننا مع هؤلاء كما قيل «سمّن كلبك يأكلك»، محرضًا الأنصار على المهاجرين، أو يقول: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ٨﴾ [المنافقون: 8]، فهذا كلام لا يصدر إلا عن شخص يبغي الشر للإسلام ويريد تمزيق شمله، وهذا المنافق كره الإسلام ونبيه لأنه كان مرشحًا لزعامة المدينة قبل الهجرة، فلما قدم الرسول ابتعد عنه التاج الذي كان يحلم به، ولو أن هذا الأحمق آمن بالله واليوم الآخر لكان له من المجد ما يرجح بالدنيا وما فيها، أو لو أنه عندما أخطأ جاء إلى رسول الله معتذرًا لاستغفر له، وتاب الله عليه؛ ولكنه أبى.

ختام السورة جاء فيه ما يجعل العقلاء يؤثرون الله وما عنده، ولاينزلون بهمتهم إلى حطام الدنيا الزائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ٩﴾ [المنافقون: 9].

- **لطائف من سورة المنافقون:**

(1) ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: 11]

قال الرسول: «**إنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة تدعوا له فيلحقه دعاؤهم في قبره**»، وأخرج الترمذي عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله: «**من كان له مال يبلّغه حج بيت الله، أو تجب فيه زكاة المال، فلم يفعل، سأل الله الرجعة عند الموت**»، فقال له رجل اتق الله يابن عباس، فإنما يسأل الرجعة الكافر، فقال سأتلو عليكم بذلك قرآنًا وتلا تلك الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنافقون: 9].



سورة التغابن

مدنية - 18 آية

سورة التغابن سورة كشف المغابن، وهي في لسان العرب المواقع من الجسد التي تتجمع فيها إفرازات الجسسم الدنسة، مثل بواطن الأفخاذ والإبط، وفي السورة هي مخابئ الذنوب والسيئات.

والسورة تصف يوم الحساب أنه يوم التغابن، أي نفض المغابن، أي كشف ما أخفي من شروروسيئات اكتسبها أصحابها في حياتهم، وتبرز السورة علم الله الخبير بما يخفي كل إنسان، وتنبه المؤمنين لما يمكن أن يخفي عليهم من أمور بيوتهم وتكون سببا لاختلال قيمهم، وما يمكن أن تسكن إليه قلوبهم من حب التمسك بالمال ومتاع الدنيا الزائل، كما تواجه وتفضح سبب كفرالمشركين وهو حسدهم للنبي .

بدأت السورة بالتسبيح تنبيهًا إلى شذوذ المعصية ووضاعة مرتكبها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن: 2]

وتشرح السورة أحد الخصائص البشرية، فمن الصعب على الإنسان أن يعترف بامتياز شخص آخر، إنه يريد أن يتطاول عل غيره: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [التغابن: 5-6].

فاستكثار التفوق على الغير والسعي إلى هدمه طبيعة في بعض الأفراد، وهذا السلوك يبدو أكثر غلوًا تجاه الأنبياء والمصلحين الذين هم أشد الناس تواضعًا، وقد يفسر ذلك الرد العنيف في الآية: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ٧﴾ [التغابن: 7]، فإنكار البعث والتكبر على المرسلين جريمة قديمة يقودها اليهود منذ قديم الأزل، فهم دومًا يجرئون الجماهير على نسيان الله وجحود لقائه، ولهذا جاء النصح بالطريق المنجي من الهلاك: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ٨﴾ [التغابن: 8]، والنور هو القرآن، فهو الكلام الموثق عن الله من الألف إلى الياء.

وتقوية لإيمان المسلمين وتصبيرًا لهم يقول الحق: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ١١﴾ [التغابن: 11]، إن إكراه المرء على ترك بيته وأهله ووطنه نصرة لدينه أمر شاق لا يتحمله كل إنسان، وقد لبى نداء الهجرة الكثيرون فسبقوا سبقًا عظيمًا، وتقاعس آخرون مفضلين الانصياع لأولادهم وزوجاتهم ليحيوا معهم، ففقدوا هذا الشرف، لهؤلاء يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ١٤﴾ [التغابن: 14]

والحق أن مقاومة الضلال تحتاج إلى تضحيات، يتحملها أهل الإيمان بجلد ورضا، لذلك ختمت السورة بضرورة البذل والكفاح: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ١٦﴾ [التغابن: 16].



■ لطائف من سورة التغابن:

(1) ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن: 11].

المصائب التي تصيب الإنسان هي بقضاء الله وقدره، وهي من سنن الله تعالى، ونزلت ردًا على قول الكفار لو كان ما عليه المسلمون حقًا لصانهم الله من المصائب في الدنيا، ومن يعلم حقًا أنه لا يصيبه إلا ما قدره الله عليه، يهدأ قلبه عند المصيبة، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيستسلم لقضاء الله، فإذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر.



سورة الطلاق

مدنية - 12 آية

السورة تسمى سورة النساء الصغرى، لما فيها من أحكام تقيم كيان الأسرة على أسس سليمة، وتعالج ما قد يعرض لها من متاعب .

تبدأ السورة بنداء للنبي، وفي هذا إشارة إلى أن الأمر مهم، وأنه يخرج من النطاق الفردي إلى النطاق العام، فالطلاق يتجاوز الرجل الذي وقعه إلى زوجته وأبنائه وأسرتهما، فلابد من وضع ضوابط له، حتى لا يصير بابًا إلى الطيش والتظالم، ومن هنا حدد الشرع له وقتًا معينًا، فلا يجوز في أثناء الحيض والنفاس، ولا يجوز بعد طهر من حيض مس إمرأته فيه، وينبغي أن يحضره شاهدان، وعلى الزوجة أن تبقي بعده في بيت الزوجية الذي وصفه أنه بيتهن: ﴿.. لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ..﴾ [الطلاق: 1]، فليس ما سمعته إجهازًا على الحياة الزوجية، وإنما هو إنذار بالقضاء عليها، وقد تستأنف هذه الحياة مع تغير الظروف التي دفعت إلى الطلاق، وعلى ذلك فيجب على الأزواج حفظ الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة وهي ثلاثة قروء، أي ثلاث حيضات، كما ذكرت السورة تفصيلات للإنفاق في السراء والضراء وبيانات لحالات الإرضاع وغيرها.

تكرر في السورة الدعوة إلى الإيمان بالغيب وتقوى الله، وربط ذلك بالأحكام الفقهية، حتى يمكن تفريج الأزمات العائلية الباعثة على الشقاق بالاعتماد على الله ومغالبة الأمر الواقع:

(1) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ



وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: 2-3].

(2) ﴿.. وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: 4]

(3) ﴿.. وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق: 5]

(4) ﴿.. وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: 11]

يبدو واضحا من هذا الإرشاد الإلهي أن الله سبحانه لا يريد أن يتحول الطلاق إلى كارثة إجتماعية، وألا يفقد المسلمون أدبهم وتواصلهم مع هذه المحنة: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الطلاق: 6]

أي تشاوروا بينكم بعد أن وقع الطلاق بما هو معروف غير منكر، وليقبل بعضكم من بعض المعروف والجميل في شأن الولد.

ومع ذلك كله، فإن الطلاق الذي مارسه المسلمون اقترن بمآسٍ كثيرة، والمتربصون استغلوا ذلك للإضرار بسمعة الإسلام وانتشار رسالته، **ولذلك فالنصف الثاني من السورة يُنظر إليه على أنه تكميل للنصف الأول وتحذير للأمة من العبث بأحكام الطلاق**: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴿٩﴾﴾ [الطلاق: 8-9]، وذلك بعد قول الحق سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق: 5]، فالسياق متماسك.



وأخيرًا تختتم السورة بهذه الآية الدالة على أن الله قد خلق الكون لنعرفه وأنزل الوحي لنتبعه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: 12]، فهل عرفت البشرية نصا بهذا الإتقان وهذه الحكمة، ففضلا عن الإتقان في الصياغة تتنزل السورة بأحكام الطلاق، وتبريرها، وما ينتظر المجتمع الذي لا يلتزم بها.



سورة التحريم

مدنية - 12 آية

قاعدة مهمة: إن الشمائل الحلوة لصاحب الرسالة لا يسوغ أن تكون سببًا في إزعاجه.

الرسول كان لطيف العشرة لين الجانب، فأطمع ذلك بعضا من نسائه في الجرأة عليه، وكانت الغيرة هي السبب، فزعمت إحداهن أنها شمت منه رائحة غير طبيعية، فقال شربت عسلًا عند زينب، فقالت لعل نحلة وقعت على نبات سيئ، فقال لا أعود إليه ولا تخبري أحدًا، ثم ظهر أن القصة مفتعلة، وأنها مؤامرة لتزهيده في فلانة، فغضب الرسول وهجر نساءه جميعًا حتى شاع أنه طلقهن، واهتز مجتمع المدينة للخبر، فخاض مؤمنون ومنافقون وكفار في القصة، لكل منهم هدفه وتصوراته في الموضوع، فنزلت سورة التحريم تطفئ الفتنة وتؤدب من أساء المسلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [التحريم: 1-2].

والعلماء على أن تحريم الحلال يعامل معاملة اليمين، وكفارته هي كفارة اليمين، فليس لأحد أن يحرم ما أباح الله، فحق التحليل والتحريم هو لله وحده، ووضعت السورة تصورا معتدلا بشأن المرأة، فلم تبرئ مذنبة ولم تسمح باتهام من لا ذنب لها، وأعطت النبي حقه كبشر له رغباته المتاحة بإذن الله، ودعت الجميع إلى الحفاظ على حرمة النبي ومكانته المهيبة بين الناس.

فبيت النبوة ليس مسرحًا للغيرة والتحاسد، إنما هو صومعة عبادة وتفانٍ في مرضاة الله، ولعل ما ختمت به السورة تلويح شديد القسوة لمن شاركت في إثارة الحزن في نفس



الرسول، فامرأة نوح وامرأة لوط لم يساعدا رجالهما في إبلاغ الدعوة، بل كانتا عونًا لأعداء الله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم: 10]، والخيانة المذكورة هي خيانة الدعوة فهي الهدف الأسمى من الحياة.

وبين أوائل السورة وخواتيمها، طلب الله من أرباب الأمر أن يرقبوا بيوتهم فيجعلوها حجابًا من العذاب يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: 6].

ثم بين سبحانه أنه أمر الناس إذا أخطأوا أن يتوبوا ويستفيدوا من التجارب ما يحصنهم من الانزلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾ [التحريم: 8].

ومما يذكر هنا أن بعض المستشرقين يستنكر على الوحي الإلهي أن يعنى بنزاع ثار في بيت محمد، وأن يشغل الناس به، وقد سرد الدكتور محمد حسين هيكل رحمة الله عليه هذه الشبهة، وبين ما في السورة من حكمة، ثم قال أليست القصة أولى بالذكر مما أورده الكتاب المقدس عن زنى لوط بابنتيه بعد أن أسكرتاه وأفقدتاه الوعي؟

حقًا أن كثيرًا من المستشرقين يلمحون القشة في عيون الآخرين، ولا يحسون الخشبة في عيونهم كما ذكر الشيخ محمد الغزالي عليه رحمة الله.



سورة الملك

مكية - 30 آية

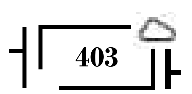
➤ تسمى الواقية من عذاب القبر.

السورة تصنع في ذهن السامع تصورًا سليمًا عن الله كملك ومالك للكون وللإنسان، وليختار المخاطبون مواقفهم من الدعوة على ضوء هذه الحقائق، **فالسورة تشارك في صنع قاعدة فكرية للأمة المخاطبة.**

وسورة الملك تنبه في كلمات واعية أن العقل المؤمن هو الذي يدرس الحياة ويستعد لما بعدها، فالدنيا دار لها مابعدها، وبدلًا من استقبال حقيقة الموت بالنواح والتشاؤم، يجب على العقل المؤمن أن يعمل بجد ويكون مستعدًا ومستقبلًا للخلود الدائم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴿٢﴾﴾ [الملك: 2]

والآية الأولى تشير إلى أن الله بيده الملك، وقد صرحت آيات أخرى أنه سبحانه بيده الخير، وبيده الهداية، وأن الأرض جميعًا قبضته، وأن السموات مطويات بيمينه، إن استمكانه من ملكه جل شأنه لا نظير له، ولذلك يقول للكافرين: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴿١٧﴾﴾ [الملك: 16-17].

وتتحدث السورة في آخرها عن الكافرين الذين يحاولون نقل المعركة إلى الرسول وأتباعه، فيسألهم، ماجدوي ذلك عليكم إذا عميتم عن الواقع، هل قصور الآخرين كما تزعمون يشفع لكم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ



مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٨ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٩﴾ [الملك: 28-29].

وتختتم السورة بسؤال إلى عبيد المادة الذين ينكرون ربها المسخر لها: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾ [الملك: 30].



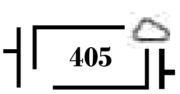
﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم: 1].

في الأغلب أن المقصود كتابة القرآن وتسجيل ما حوى من حكمة بالغة، وهو وحي خالص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد اختار لتبليغه الإنسان الأول في الوجود شرفًا وفكرًا وسيرة، فلا قيمة لكلام الأعداء: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: 2-4]، أما أعداء الوحي فقد كشفت الأيام عن دعاواهم وأحوالهم، فذهبوا وبقي الإسلام.

وقصة أصحاب الجنة التي ذكرتها السورة تشير إلى أن مشركي مكة سوف يعترضون، ويعادون الدعوة ثم يعرفون الحق مثل أصحاب الجنة الذين ندموا على رذيلتهم، فمن يرغب في الله يثبته الله، وقد أعز الله قريشًا بالإسلام بعدما أهانت نفسها بالكفر، أما من أصر على الكفر فلا مستقبل له: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦﴾ [القلم: 35-36]

والسورة من أوائل السور نزولًا، وفيها توعية للرسول أن عليه أن يصبر على متاعب وأذي المشركين مهما بلغ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾ [القلم: 48].

وقد مرت عليه ليالٍ كالحة عاني فيها من الألم ما يهز الرواسى، ولكنه ثبت حتى أدي الأمانة كلها، وترك رسالة نشرتها على العالمين أجيال من المؤمنين، فالسورة فيها نبوءة



أخرى لمستقبل الإسلام وعاقبة رسالته: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾ [القلم: 51-52]



سورة الحاقة

مكية - 52 آية

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقة: 1-3].

السورة حقت الحقائق الآتية: قيام الساعة، الحساب والجزاء، والجنة والنار، وصدق نبوة محمد، وصدق كتاب الله الذي أنزل إليه، وبذا استحقت اسم الحاقة.

هل يبقى ظن البعض بأن الدنيا هي دار قرار بعد أن نغادرها بالموت، هل بقي أحد على ظهر الأرض لمن عمروها أم أن الموت حصد الجميع؟، وأغلبهم بوغتوا بالموت دون أن يستعدوا لما بعده، والجميع أمامهم يوم يلتقي فيه الأولون والآخرون، ويعرف الناس الحق فيما قدموا وأخروا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾ [الحاقة: 13-15].

فالإيمان بالمحسوس وحده يسود العالم الآن، وهناك سباق محموم لإمتلاك المال وتحصيل اللذات، كما أن هناك زهد عام في الصلاة والإيثار والحديث عن الله وحده، وقد يكون هناك من يمتلك قناطير من الذهب والفضة ويمتنع عن مواساة فقير ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ [الحاقة: 30-34].

وهناك دول ذات بأس تتوارث أن رسالة محمد كاذبة، وهؤلاء نسألهم ماذا كسب محمد من رسالته؟ هل هو الإلحاح أن الله واحد ولقاؤه محتم؟ هل هو الإصرار على أن التقوي وحدها طريق النجاة، والتأكيد على أنه عبد لايملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا؟ ماذا كسب من طول الركوع والسجود وحمل السلاح لهزيمة الطغيان، وهذا سر القسم في



الآيات: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ [الحاقة: 38-47].

فالقرآن سيبقى ما بقي العالم دعمًا للإيمان الحق، وبرهانًا على صدق صاحبه.



سورة المعارج

مكية - 44 آية

الملكوت الإلهي من الفرش إلى العرش - أي من الأرض السفلى إلى سدرة المنتهى - **هو ذو درجات أو مصاعد سميت هنا بالمعارج**، وذلك شبيه لقوله تعالى في سورة غافر: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴿١٥﴾﴾ [غافر: 15]، هذا الملكوت قد يقطعه البشر في خمسين ألف سنة، أما الروح الأمين وجمهرة الملائكة فتقطعه في زمن محدود، وقد رأينا كيف انتقل عرش بلقيس من اليمن إلى الشام في لمح البصر، وكيف أسري بالرسول وعرج به إلى السماء العليا وعاد قبل أن يبرد فراشه. **المراد هنا أن الذي دعا بعذاب يقع من الله ذي المعارج لم يدع بشيء صعب، ولكنه أحمق لا يصدق بعذاب قريب أو بعيد، وسيرى هذا العذاب حتمًا:** ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴿١٠﴾﴾ [المعارج: 8-10].

والله في هذه السورة يحدد للناس الطريق لمقاومة غرائزهم التي تشدهم إلى أسفل، وطلب منهم أن يقاوموها صاعدين إلى أعلى، **فتكون معارج لهم يسمون بها فيستحقون الإكرام**: ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴿٢٦﴾﴾ [المعارج: 19-26]

وفي السورة نتلو هذا التساؤل: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم



مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴿٣٩﴾﴾ [المعارج: 36-39]، والإهطاع هو إمالة الرأس والعين لتدقيق النظر، وقد تحول المشركون إلى جماعات تلتف بالرسول تريد استكشاف أمره، إنهم يقتربون منه ولكن لا يصدقونه، وهذا الجيل الذي يعييه اتباع الحق، سوف يطويه الموت ويستبدل الله خيرًا منهم: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴿٤١﴾﴾ [المعارج: 40-41].

■ لطائف من سورة المعارج:

(1) ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: 11-14]

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴿٣٦﴾﴾ [عبس: 34-36]

لمسة بيانية في ترتيب الأهل بين السورتين:

- في سورة عبس المشهد هو الفرار..

فيخلو المرء بنفسه ويفر أولًا من الأبعد إلى الأقرب إلى قلبه، فيفر أولًا من أخيه ثم من أمه وأبيه ثم من زوجته وأخيرًا من أبنائه وهم الأقرب إلى قلبه.

- أما في سورة المعارج فالمقام مقام عذاب..

فيرى المرء مشهد عذاب فوق ما يتصور أو يتحمل ولا يقبل المساومة، فيبدأ يفدي نفسه بالأقرب إلى قلبه وهم أبناؤه ثم الأبعد زوجته وأخيه ثم عشيرته ومن في الأرض جميعًا.

- **يلاحظ** في حالة الفداء هذه لم يذكر الأم والأب، وكأن الله سبحانه يمنع الافتداء بالأم أو الأب اللذين أمر بإكرامهما، فلم يسمح بذلك إكرامًا لهما. والله أعلم.



سورة نوح

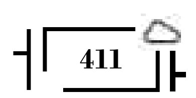
مكية - 28 آية

من عجائب سيرة نوح ﷺ أنه ظل يدعو قومه تسعة قرون ونصف، وهم لا يستجيبون له، هذا النبي الواسع الحلم عاد إلى ربه يشكو عناد الكفار: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح: 5-7].

وهو يبين أسلوبه في الدعوى بالنظر إلى الأدلة على وجود الله التي هي ليست معادلات رياضية صعبة، ولكنها تنبيهات للعقل النائم كي يصحو ويرى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾ [نوح: 15-18]

وإزاء هذا الصلف والكبر من قومه، دعا نوح ربه بعد القرون الطوال التي قضاها في البلاغ والتذكير: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ [نوح: 26-27].

فالكفر يتحول على مر الأيام إلى تقاليد معوجة وإلى جيل من الناس: ﴿.. لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١﴾ [نوح: 21]، أو إلى قبائل تقول للمصلحين نحن أكثر أموالًا وأولادًا: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥﴾ [سبأ: 35]، والأخطر من هذا



البلاء أن يضن الكفار على المؤمنين بحق الحياة والاستقرار: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم: 13].

فالسورة مثل سور الجزء التاسع والعشرين - حيث أكثر سورة مكية وأغلبها في بدايات العصر المكي، فيها تصبير ومواساة وتسلية للرسول على ما يلقاه وما سيلقاه من عنت المشركين.



سورة الجن

مكية - 28 آية

على ما يبدو أن العقيدة النصرانية قد بلغت الجن فاعتنقوها، **ثم عرفوا من تطوافهم بالأرض ما يناقضها:** ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ [الجن: 1-2].

ثم شرع الجن يفصلون ما تابوا عنه وعرفوا خطأه: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾ [الجن: 3]، وأن الذي أبلغهم ذلك موغل في الوهم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤﴾ [الجن: 4].

ثم اعتذروا عن غفلتهم في قبول هذه الشائعة بأنهم ما تصوروا أن يكذب أحد على الله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥﴾ [الجن: 5]؛ ولكن رجالًا من الأنس ضللوا بهذا اللغو جماهير غفيرة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [الجن: 6].

وقد ظن الجميع أن أبواب السماء قد أغلقت فلن ينزل ملك الوحي مرة أخرى، ولن يحمل بشر رسالة أخرى تعود بالإيمان إلى أصله الصحيح، لكن الله بعث محمدًا نبيه الخاتم، فكانت رسالته مفاجأة للمخطئين: ﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧﴾ [الجن: 7]، وقد شهدت الجن أن تغيرًا ما سيحدث في الكون، وأن هذا الوحي النازل يحيط به حرس شديد حتى لا ينقص منه شيء: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨﴾ [الجن: 8].

وخواتيم السورة تشهد لصاحب الرسالة بالتجرد لله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾ [الجن: 20-22]، **إنه عبد الله الواحد، يجاهد الشرك والخرافة وينطلق بعقيدة التوحيد فيملأ بها العالم.**

■ لطائف من سورة الجن:

هناك مرتان استمع فيهما الجن إلى القرآن، ولم يرسل الله إليهم رسلًا منهم، بل الرسل جميعًا من الإنس من بني آدم:

المرة الأولى: كانت في وادي نخلة أثناء عودة الرسول من الطائف مهمومًا، واستمعو للرسول وهو يتلو عليهم سورة العلق، فتزاحموا عليه ثم انتشروا في السماء يبلغون باقي الجن، وهو ما جاء في سورة الجن.

المرة الثانية: كانت في مكة في شعب الحجون، وقرأ عليهم النبي سورة الرحمن، وهو ما أشرنا إليه من قبل في سورة الأحقاف.



سورة المزمل

مكية - 20 آية

إن السنوات التي قضاها الرسول في الدنيا لم تكن لإصلاح عصر معين، بل كانت صونًا لعقيدة التوحيد على امتداد الزمان والمكان، وإعدادًا لأجيال تحرسها بعده إلى آخر الدهر، وهذا الإطار أيضًا في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: 162-163]، وقد تقرر هذا المعنى في هذه السورة التي هي من أوائل ما نزل من القرآن، فقد انتهى زمن النوم المشبع: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: 2]، إن وراءك تكاليف شاقة: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: 5]، إنه إذا فرغ من قيام الليل استقبل كدح النهار في تبليغ الدعوة ومجاهدة الخصوم، ولا معين له إلا الله، فليتخذه وكيلًا وليصبر على آذاهم فإن حسابهم المقبل شاق: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ [المزمل: 12-13]، ومتى يقع هذا: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾ [المزمل: 14]، إن تصور ارتجاف الأرض ببرها وبحرها، هو تصور يثير الفزع والرهبة.

ورحمة من الله بالجيل الذي يتأسى بالرسول، استبقى الله فريضة قيام الليل على نبيه خاصة، واكتفى بما يقوم به المؤمنون من واجبات أثناء النهار. **فالترك لقيام الليل ليس إجازة مفتوحة، إنه تقدير لأعمال أخرى:** ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ

فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ [المزمل: 20]، فالواقع أن حراسة الأمة تحتاج إلى عمل اقتصادي وفكري لكي لا ينفذ الأعداء إلى صميم الأمة.



سورة المدثر

مكية - 52 آية

الآيات الأولى من سورة المدثر التي هي من أوائل السور نزولًا، فيها تلخيص لما يجب على الرسول أن يقوم به:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدثر: 1-7]، فعليه أن يخوف المشركين من عاقبة بقائهم على الوثنية، وأن ينسب إلى ذات الله كل مجد وثناء، وأن يطهر جسمه وثيابه، فالنظافة خلق الإسلام، وأن يتجنب القبائح كلها، وأن يقصد وجه الله فيما يعمل فلا يمن بما أنعم الله به عليه، وليصبر ويتحمل في ذات الله ما سوف يصيبه من عنت المشركين، **فيالها من مهمة شاقة أشارت إليها السورة**، وقد قام بها الرسول خير قيام، فقد أدي الأمانة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل الله حتى آتاه اليقين، فاللهم جازه عن أمته خير الجزاء.

السورة ذكرت أحد كبراء المشركين المتكبرين، لقب بالوحيد لمكانته المادية والآدبية، وتحقير شأن هذا المتكبر في السورة يتناول أيضًا من وراءه كلهم: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: 26-30]، وهذا العدد من ملائكة العذاب المكلفين بتأديب الطغاة مشابه لما جاء في كتب اليهود والنصارى: ﴿.. لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ..﴾ [المدثر: 31]

في السورة أيضًا توضيح مدهش أن أسباب التقدم والتأخر في الدنيا والآخرة ليست حظوظًا عمياء، ولكنهما مربوطان بالنشاط والعجز، ولذلك قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ



بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤﴾ [المدثر: 38-44]، أي إنكم حصدتم ما زرعتم، وتوضح أيضًا أن الكبر هو سبب نفور المشركين، إن كل واحد منهم يريد أن ينزل إليه ملك يقول له أنا رسول الله إلى فلان بن فلان كي يؤمن ويعرف خالقه، أما أن يختار الوحيُ محمدًا يخصه بالرسالة فهذا مرفوض: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ٤٩ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ٥١ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ٥٢﴾ [المدثر: 49-52]، ولا يزال إحساس الناس المبالغ فيه بأنفسهم سببًا في كراهية الحق وأهله، وحسب الأنبياء حينئذ أن يذكروا بآيات الله وحقوقه، فمن اهتدى نجا، ومن غدر هلك: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥﴾ [المدثر: 54-55].



سورة القيامة

مكية - 40 آية

مطلع السورة يشير إلى التناقض بين النفس اللوامة التي ترجع إلى الله مبينة الندم على ما بدر منها، وبين المجتمعات التي لا تعرف الله ولا تنتظر لقاءه، فهي لا تكترث لرذيلة ولا تؤمن بيوم الحساب الذي هو في نظرهم وهم: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القيامة: 1-4].

فالناس سيحيون مرة أخرى كي يلقوا جزاء ما قدموا: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ [القيامة: 13]، وفي السورة وصف صارم لهذا اليوم وما يسبقه وما يعقبه، وهذا الوصف اعترضه نصح للرسول كي يخفف من استعجاله لتلقي الوحى، فقد كان حريصًا على استيعاب الوحي ثم يذهب ليتلوه على الناس كما أنزل.

السورة كذلك أشارت إلى النهاية التي لا تخطئ أي إنسان قبل يوم الحساب، وهي الموت، لماذا يغفل عنه البشر؟: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة: 26-30]

لماذا العمى عن النظر إلى هذه النهاية المحتومة، وهي المقدمة ليوم يقف فيه الناس أمام رب الناس ليسائلهم عما فعلوا في وجودهم الأول في الدنيا، وهل جعلوا منه مهادًا لوجودهم الأخير في الآخرة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: 36]، الغريب أن العلم البشري بالرغم من تقدمه المذهل فإن علمه بالله لا يزال ضحلًا، وكذلك استعداده للقائه.



سورة الإنسان

مدنية - 31 آية

مطلع السورة إيجاز مبدع لدورة حياة الإنسان، إننا لم نكن شيئًا، ثم خلقنا الله نسمع ونبصر، ثم استعادنا إليه وخلت الأرض منا، وعودتنا إليه سبحانه تكون عذابًا للكافرين: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا٤﴾ [الإنسان: 4]، أو نعيمًا للمؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا٦﴾ [الإنسان: 5-6].

والملاحظ في السورة أنها اختصرت وصف العذاب الذي يلقاه الكفار، على حين أفاضت في وصف النعيم الذي ينتظر المؤمنين: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا٢٠﴾ [الإنسان: 20].

الجزء الأخير من السورة يتحدث عن دور الرسالة الخاتمة في صنع الحياة العامة، فإذا استطاع الرسول أن يغير إتجاه مجتمع، وأن يملأ قلوبًا بالوحي بعد أن كانت فارغة، فقد صنع أمة تهدي الناس إلى صراط مستقيم: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا٢٤﴾ [الإنسان: 23-24].

وفي المقابل نجد أن الناس يكادون يفقدون رشدهم مع مطالب الحياة: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا٢٧﴾ [الإنسان: 27]، وأصبح ذكر الموت مجرد وعظ بارد: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا٢٩﴾ [الإنسان: 29]، والله يزيد الذين اهتدوا هدى، ويذر الناسين عن ذكره في طغيانهم يعمهون: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا٣١﴾ [الإنسان: 31].

■ لطائف من سورة الإنسان:

(1) ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا٦﴾ [الإنسان: 6]

لغويًا: شربه: شرب كل الشراب.

شرب منه: شرب جزء منه.

شرب به: شرب وارتوي.

إذن يشرب بها عباد الله أي أنهم يشربون ويرتوون، كما تفيد أيضًا أنهم أقاموا ونزلوا بالعين ويمكنهم أن يفجروا منها الماء أينما يشاءون.



سورة المرسلات

مكية - 50 آية

صدر سورة المرسلات يشبه صدر سورة الذاريات، فقد أقسم الله سبحانه بالرياح، ثم بالملائكة، على أن البعث حق وأن جزاء الكفر والإيمان لا شك فيه، ثم ذكر صفات اليوم الأخير للعالم: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾ [المرسلات: 8-14]، سيتمزق شمل الكون ويبدأ تشكيله من جديد على نحو آخر، فلا تكذيب لصادق، ولا تكريم لمكذوب.

تكررت جملة ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المرسلات: 15] في السورة عشر مرات، أحيانًا تجئ بعد تدبر إلهى، أو بعد آية كونية، أو بعد مرحلة تاريخية، و بعد نصيحة إنسانية.

في السورة استفهام تقريري صارم عن الخالق الكبير، إنه سبحانه أنشأنا من ماء مهين، يمشي مع الفضلات البشرية في مجاري واحدة: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢٢﴾ [المرسلات: 20-22]، في هذا المستقر يتكون البشر، العبقري منهم والبليد، من أشرف على هذا الإبداع؟ إنه سبحانه الذي يصف نفسه: ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾ [المرسلات: 23]، إن هذا التمجيد لذات الله القدوس هو إحصاء لأمجاد إلهية لا تنتهي، يستحضرها المسلم في صلواته قائمًا قاعدًا ساجدًا راكعًا.

ثم يقول سبحانه: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا۝٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا۝٢٦﴾ [المرسلات: 25-26]، الكفت بمعنى الضم والجمع، وفي رأى الشيخ محمد الغزالي - عليه رحمة الله - أن الآية تشير إلى الجاذبية الأرضية التي تربط الأحياء والأموات بالأرض، وتلصق كل شيء بها لا تسمح له بفكاك، وقال الخليل: الكفت تقليب الشيء ظهرًا لبطن أو بطنًا لظهر، فهم يكونون من تراب الأرض، ثم يعيشون على ظهرها أحياء، ثم ينقلبون فيها أمواتًا.

ثم تنتقل السورة إلى مشاهد الجزاء في الآخرة، حيث يتم الفصل في جموع الخلائق: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ۝٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ۝٤٠﴾ [المرسلات: 38-40]، وأي كيد ينتظر منهم، لقد بغتتهم الساعة فلا تسمع إلا همسًا.

وتختتم السورة بحقيقة واضحة، إن محمدًا بهذا القرآن قد أنصف الحق وزلزل الباطل، فهل هناك كلام أهدي من هذا الكلام: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ۝٥٠﴾ [المرسلات: 50].

روي أن السورة كانت آخر سورة تلاها الرسول في صلاته مع المسلمين قبل اعتكافه في بيته في مرضه الأخير.

- **لطائف من سورة المرسلات:**

(1) ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ۝٣٣﴾ [المرسلات: 32-33].

أي ما يتطاير من النار كل شرارة منه كالقصر من القصور في عظمها، وعندما يسقط الشرر على الأرض وفيه بقية من لون النار، فإنه يشبه الإبل السود التي تسميها العرب صُفرًا، حيث إنه لا يرى أسود من الإبل إلا وهو مشرب بصفرة.



سورة النبأ

مكية - 40 آية

السورة تتساءل في استنكار عن ردة فعل المشركين حين دعاهم الرسول إلى توحيد الله وأخبرهم عن البعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن، فقد جعلوا يتساءلون بينهم قائلين، ما الذي أتي به محمد، ثم أجاب الله سبحانه عن هذا السؤال بقوله: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ٢﴾ [النبأ: 2]، وهو يوم الحساب، فالهدف من السورة تصويب تصوراتهم حول ذلك اليوم، وبعض المفسرين يعتبر أن المقصود بالنبأ العظيم هو القرآن الكريم، لأنه ينبئ عن التوحيد وتصديق الرسول، ووقوع البعث والنشور.

وزيادة في إفحام المشركين، تقول السوة أنه إذا كانت دعوة محمد لم تقنعكم، أفلا تتفكرون في خلق السموات والأرض: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ٨﴾ [النبأ: 6-8].

والسورة تتكون من أربعة فصول متميزة:

الأول: وصف الكون والناس إلى قوله جل شأنه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ١٦﴾ [النبأ: 14-16]

الثاني: وصف موجز ليوم الحساب: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٨﴾ [النبأ: 17-18].

الثالث: وصف للعقاب الذي ينتظر المجرمين: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ٢٣﴾ [النبأ: 21-23].



الرابع: وصف النعيم الذي ينتظر المؤمنين: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَبًا۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا۝٣٣﴾ [النبأ: 31-33].

فمن تزود بالتقوى أفلح، ومن عاش مذهولًا قدم إلى الله صفر اليدين، وندم بعد فوات الآوان: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا۝٤٠﴾ [النبأ: 40].

■ لطائف من سورة النبأ:

(1) ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا۝٧﴾ [النبأ: 7].

الجبال لها جذور عميقة في الأرض فمثلها كمثل الأوتاد التي تمسك بالخيام حتى لا تضطرب. وفي سورة النحل: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ۝١٥﴾ [النحل: 15]، وهي هنا تشبه قطع الرصاص التي توضع في عجلات السيارات حتى يتم التوازن والتعادل للأثقال التي في الأرض في أثناء دورانها حول محورها بسرعة كبيرة.



سورة النازعات

مكية - 46 آية

السورة تهدف لانتزاع أهل مكة مما هم فيه من ضلال وجاهلية ليعودوا إلى ربهم، وإلى فطرة الله التي فطر الناس عليها، فتنزع السورة من به بقية خير من الشرك إلى التوحيد، فيستحق المأوى الأصلي لبني آدم وهو الجنة.

أقسم الله في سورة النازعات بالملائكة الكرام، وجواب القسم محذوف وتقديره أن القيامة حق، في الزلزال الكبير الذي يفقد كل شيء توازنه، ويتبعه النفخة الثانية عند البعث، وعندها يقول الكافرون: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ۝١٠﴾ [النازعات: 10]، إنها عودة لا خير فيها لأننا ما صدقناها ولا أعددنا لها: ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ۝١٢﴾ [النازعات: 12]، إن الملاحدة في العصر الحديث لا يزيدون عن مشركي العرب الأقدمين عندما يقولون إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر، ويخاطب الله البشر بعد أن سرد عليهم بإيجاز سيرة فرعون ومافيها من تكبر، يخاطبهم علام الكبر والصد عن سبيل الله: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا۝٢٨﴾ [النازعات: 27-28]، فالإنسان وإن كان قد ملك التصرف في كائنات أخرى، فإن عليه أن يسخر هذا التفوق في شكر الله وأداء حقوقه.

عادت السورة إلى ما بدأت به من حديث عن البعث والجزاء ليجعل الإنسان من حياته الدنيا مهادًا للحياة الأخرى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ۝٣٦﴾ [النازعات: 34-36].



وتختتم السورة بتساؤل استنكاري عن الذين يتساءلون عن الساعة، فإن علمها عند الله وحده، وما الذي ينفعكم إذا علمتم موعدها إذا لم تستعدوا لها في الدنيا والوجود في الآخرة هما أمران متصلان، وبينهما فاصل خفيف هو الموت، وسنعرف قيمة الدنيا يوم اللقاء: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: 46].

■ لطائف من سورة النازعات:

(1) ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: 10].

أي يكون جوابهم إذا قيل لهم إنكم مبعوثون، أَنُرَدّ إلى الحياة التي كنا فيها إنكارًا منهم للبعث، يقال: رجع فلان في حافرته أي طريقه الذي جاء فيها فحفرها بمشيه.

(2) ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: 25].

أي أخذه الله بالعذاب عقابًا في الآخرة بالنار، وفي الأولى أي في الدنيا بالغرق، وقدم النار لأنها الأشد.



سورة عبس

مكية - 46 آية

في صدر السورة تنبيه للرسول الذي أعرض عن صحابي جاءه مسرعًا طالبًا منه الهداية، وانشغل عنه بدعوة نفر من كبراء قريش، لأنهم إذا اهتدوا تبعتهم جماهير كثيرة في اعتناق الدين.

وهذا التنبيه جاء للقضاء على قيمة جاهلية مترسخة في المجتمع، وهي احترام المال على حساب قيمة الإنسان المجرد، فالإنسان أولا، حتى ولو كان فقيرًا أعمى، وأي تساهل في هذه القاعدة سيؤدي إلى ظلم وفساد كبير.

ثم مضت السورة تشرح طبيعة البلاغ الإلهي، إنه آيات تسمع أو صحف تقرأ يعرضها الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله ورسوله، وهي من السفارة أي السعي بين القوم، وعلى من أتاه البلاغ أن يتدبر ويفر إلى الله ويستعد للقائه، ولكن البعض مغلق الذهن لا يدري كيف جاء إلى الدنيا، ونسي ربه وليّ أمره ونعمته: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ۝٢٢﴾ [عبس: 18-22]، فالإنسان يغفل عن كل ذلك، ولا يفكر إلا في قضاء غاياته، فهل قضي لله حقًا: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ۝٢٣﴾ [عبس: 23].

وجاءت السورة بأحد أدلة البعث المشهورة ليعرف المجادلون ربهم ويستعدوا للقائه: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ۝٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا۝٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا۝٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا۝٣٠﴾ [عبس: 24-30]، إن مبدع ذلك من الأتربة والفضلات هو الذي ينبت الأجساد مرة أخرى، ثم يواجه كل إنسان

ما قدم: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ۝٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ۝٣٧﴾ [عبس: 33-37]، الشيء المحزن أن التقدم العلمي لا يريد أن يعرف ما وراء ما يصل إليه، فيستبعد بذلك الحديث عن الآخرة واليوم الآخر.

■ **لطائف من سورة عبس:**

(1) ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ۝١٥﴾ [عبس: 15].

السَفَرة هنا هم الملائكة الذين يسافرون بالوحي بين الله ورسوله، من السفارة وهي السعي بين القوم.

(2) ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ۝٢٣﴾ [عبس: 23].

أي لم يحصّل مما أمره الله به إلا القليل سواء بالكفر أو العصيان .

(3) ﴿وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا۝٢٨﴾ [عبس: 28].

القضب يطلق على الرطب وما يؤكل من النبات غضًّا طريًّا، وسمي قضبًا لأنه يقضب أي يقطع مرة بعد أخرى.

(4) ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا۝٣١﴾ [عبس: 31].

الأبّ هو ما تنبته الأرض مما لا يأكله الناس ولا يزرعونه من الكلأ وسائر أنواع المرعى.

(5) قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ۝٣٣﴾ [عبس: 33].

صيحة يوم القيامة التي تصخ الآذان أي تصمها فلا تسمع.



سورة التكوير

مكية - 29 آية

أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر أنه قال، قال رسول الله من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: «**إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت**».

السورة بدأت باثني عشر حدثًا تتزامن مع قيام الساعة وعودة الناس إلى ربهم للحساب الكبير، **ست من هذه الأحداث في الدنيا** وهي من أول السورة حتى الآية السادسة، **وست في الآخرة** وهي الست آيات التالية، وجواب كل هذه الأحداث قوله: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ [التكوير: 14]، فالسورة تبدو وكأنها إنذار تتحقق شروطه يوم القيامة، والغرض أن يكف مشركي مكة عن أعمالهم السيئة، مثل وأد البنات، وعدم تحكيم العقل، وتكذيب نبيهم، وزعمهم أنه مجنون، وسميت السورة بالتكوير، حيث تفقد الشمس فعلها الحراري وتبرد، فهل يتخلى الجاهلي عن طاقته الشريرة ويبرد هو الآخر.

ثم يقسم الله عز وجل بعظمة الكون والكواكب المسخرة فيه بأمره، على أن القرآن حق، وأن محمدًا أرسل به هداية للناس ورحمة من الله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ [التكوير: 15-19]، إنه قسم بعظمة الكون على عظمة الوحي، فكلاهما دليل على الله، هذه آية صامتة، وتلك آية ناطقة.

والسورة من أوائل ما نزل، ومع ذلك فقد قررت عالمية الرسالة، وأن العصابة التي تتربص بها في مكة إلى زوال: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ



أَن يَسۡتَقِيمَ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير: 26-28]، فالعبد ليس عليه إلا أن يضع البذور الصالحة وسينضج الله له ما بذر.

■ لطائف من سورة التكوير:

(1) ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴿١٦﴾﴾ [التكوير: 15-16].

التفسير الشائع أن الله سبحانه أقسم بالنجوم التي تخنس بالنهار أي يغيب ضوؤها عن الأبصار، فكأنما هي في جريانها تكنس أي تنصرف راجعة كرجوع الظبي إلى كناسه وهو مدخل في الشجر يأوي إليه ليستتر.

وقيل في تفسيرها: إن الخنس للنجوم هو حالة تتكدس فيها المادة داخل النجوم العملاقة تكدسًا يصل لدرجة أن تتلاشى فيه المسافات التي بين مكونات الذرة - والذرة أصلًا أغلبها فراغ - فيتضاءل حجمها وتصير لها قوة جذب هائلة تحول دون انفلات الضوء من النجم فيخنس أي يختفي النجم.

وهذه النجوم تبتلع في جريانها بقوة جاذبيتها كل ما تمر به في مدارها من صور المادة والطاقة - أي تكنس صفحة السماء - حتى تصل إلى كتلة حرجة فتنفجر وتتحول إلى غلالة من الدخان قد يخلق منها نجوم جديدة تمامًا.



➤ عند قيام الساعة يتغيركل شيء !!

ففي الحياة الدنيا كان يقال للإنسان أنظر إلى السماء: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ۝٣﴾ [الملك: 3]، فلا فتوق ولا شقوق، فالسماء محبوكة الأطراف والكواكب تتهادى بيسر، أما عند قيام الساعة، فالشقوق تملأ السماء، حيث تنزل منها الملائكة، وتتساقط الكواكب متفرقة، والبحار تطغى على الشواطئ، وأهل القبور يخرجون منها في حيرة وحرج .

وهنا نسمع معاتبة مؤسفة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ۝٨﴾ [الانفطار: 6-8]، لقد كانت وصايا الحق أهون شيء على الإنسان، ولكنه كان يسرع إلى أهوائه كالسهم، وإذا كلف بصلاة أو زكاة أو جهاد تقاعس واسترخى.

والسورة تلفت النظر إلى أن الآخرة ستكون مفاجأة كثيبة لكثير من الناس: ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ۝١٢﴾ [الانفطار: 9-12]، إن الملائكة الحفظة يثبتون في سجلاتهم كل شيء حتى يواجه الإنسان بما قدم وأخر، دون زيادة أو نقص، ثم يذهب الخلائق إلى مستقرهم: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ۝١٤﴾ [الانفطار: 13-14].



سورة المطففين

مكية - 36 آية

تبدو السورة وكأنها تكملة لسورة الانفطار التي تسبقها في تفصيل علاقة العمل بالجزاء، وقد يكون المظهر القريب للتطفيف ما قاله الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ۝٣﴾ [المطففين: 2-3]؛ ولكن هذا السلوك يتسع ليشمل صورًا شتى للحياة، حيث تتحكم في الأعمال وجهات نظر تقوم على الهوى الشخصي.

ولكن ما يعصم في هذه الدنيا هو الإيمان بالله واليوم الآخر، ولذلك قال تعالى في المطففين: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ۝٦﴾ [المطففين: 4-6].

ومستقبل الناس عند ربهم ومجازاته لهم على أعمالهم لا تقرره فلتات اللسان، وإنما تقرره مناهج مرسومة، فالخطأ العابر يوشك المؤمن أن يتطهر منه.

أما البرنامج الموضوع لحياة هابطة فهو أساس الهلاك، وذلك هو الران الذي قال الله فيه: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ۝١٦﴾ [المطففين: 14-16]. وقال الحسن البصري: «الران هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت».

والذين يألفون الدنيا ولم يحاولوا التسامي لن يرتفعوا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ۝٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ۝٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ۝١٠﴾ [المطففين:



7-10]، أما الذين يتحملون تكاليف التقوى فلهم شأن آخر: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطففين: 18-21].



سورة الانشقاق

مكية - 25 آية

عند بدء الخليقة قيل للأرض والسماء: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11].

ومع انتهاء العالم تستجيب الأرض والسماء لما يراد بهما، ويقول الله في كلتيهما: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴿٢﴾﴾ [الانشقاق: 2]، أي استمعن إليه، وهل يملكان إلا السمع والطاعة؟.

مع هذا الانتهاء للعالم الذي نعيش فيه، تذكرنا السورة بأن هذه الدنيا كانت دار تكليف وامتحان، وعلى المرء أن يختار إما أن يؤتى كتابه في يوم الحساب بيمينه فهو سعيد، أو يتلقاه من وراء ظهره فهو شقي، والحساب اليسير هنا المقصود به أن تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها له الله بدون أن يناقشه فيها، وفي الصحيحين أن عائشة قالت: إن الرسول قال: «**من نوقش في الحساب عُذّب**»، قالت فقلت أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: 8]، قال :«**ليس ذلك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش في الحساب عُذّب**».

أقسم جل شأنه في السورة بالشفق، وهو الحمرة بعد الغروب حتى العشاء، ثم بالليل وما حوى وضم، ثم بالقمر إذا تكامل، **جواب القسم أنكم أيها الناس لتركبن حالًا بعد حال، من الغني والفقر، الموت والحياة، الحشروالحساب، ودخول الجنة أو النار، فهل اعتبرنا:** ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴿٢٠﴾﴾ [الانشقاق: 20].

إن المسلمين سيُسألون عن كتابهم لماذا لم يعملوا به، ويعطوا للناس صورة حسنة عنه.





سورة البروج

مكية - 22 آية

أقسم الله بالبروج التي هي منازل الكواكب، وباليوم الموعود الذي هو يوم الحساب، وبشاهد ومشهود وهم الله وملائكته ورسله شهود على الناس، جواب القسم أن أصحاب الأخدود ملعونين، وهم أحد ملوك الكفار وجنده، شقوا الأخدود لمن آمن من الرعية، واضرموا فيه النار، ثم قالوا للمؤمنين من رجع منكم عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه في النار، فصبروا، فألقوهم في النار، فاحترقوا، والملك وأصحابه ينظرون.

وكم من أفراد وجماعات ماتوا في سبيل الله وكسبوا الدار الآخرة، وقد هدد الله الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات من أهل مكة كي يدعوا جرائمهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ۝١٠﴾ [البروج: 10].

ثم ذكرت السورة بعض صفات الجمال والجلال لله جل علاه ليخشى من خشي ويتوب من يتوب: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ۝١٥﴾ [البروج: 12-15].

ومع هذا التذكير بصفات الله إشارة موجزة إلى ما فعل بالجبابرة الأقدمين، إنه أملي لهم قليلًا ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ۝١٨﴾ [البروج: 17-18]، وقد خص الله فرعون لأنه هم بقتل رسل الله والمؤمنين معهم دون ذنب منهم، وثمود لأنهم عقروا ناقة الله بعد أن شاهدوا المعجزة فيها، فكلا من فرعون وثمود كان الأكثر عنادا بين الأمم المخاطبة.



سورة الطارق

مكية - 17 آية

يقسم الله سبحانه بالسماء والطارق، والطارق هو الكوكب الذي يطرق أي يظهر للعباد بالليل ويختفي بالنهار، ويقسم بالنجم الثاقب وهو النجم الشديد الإضاءة، وجواب القسم أن كل نفس عليها حفظة من الملائكة يحصون ما تكسب من خير أو شر.

ومضي السياق في الاستدلال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5-7]، فعلى الإنسان أن يتفكر في مبتدأ خلقه ليعلم قدرة الله على ما هو دون ذلك من البعث.

ويمضي السياق في الحديث عن القدرة العليا، إن الأرض لتنشق، والسماء تمطر، والحبوب والفواكه تظهر، وابن آدم الذي كان وزنه حين ولد يقاس بالجرام أصبح قنطارًا من العضلات والأعضاء، من إلا الله أبدع هذا؟.

ولهذا كل العجب من الكفار الملاحدة حيث يؤمنون بأن الصفر هو مصدر هذا الوجود، كيف يتكون الوجود من العدم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾ [الطارق: 13-17].



سورة الأعلى

مكية - 19 آية

لما نزلت «بعد التكوير»، **أحبها الرسول لأنها سورة ربه، وقال اجعلوها في سجودكم، وكان يوتر بها في كل ليلة.**

والأمر بالتسبيح تنزيه لله عن كل ما لا يليق، وهو أيضًا أمر بألا تذكره إلا وأنت خاشع ومعظّم له ولذكره، فهو قد خلق فأحسن كل شيء خلقه، وهو الذي قدّر أجناس الأشياء فهدى كل واحد منها إلى ما ينبغي له، وهو الذي أحال خضرة المرعى إلى هشيم أسود، وبعد هذه الأمثلة على عظمة الخالق جل شأنه، يطمئن الله رسوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ [الأعلى: 6]، فالذي اختارك سيعينك حتى تؤدي رسالتك: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ٨﴾ [الأعلى: 8]، فمن رشد اتبعك ومن استحمق تركك: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ١٢﴾ [الأعلى: 11-12]، فالإنسان يستطيع الإسفاف ويستطيع التسامي، ونجاحه ليس في المال أو الجاه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى: 14-15].

والمحزن أن الناس تستهويهم اللذات العاجلة ويتعامون عن مطالب الغد القريب.



سورة الغاشية

مكية - 26 آية

الغاشية من أسماء يوم القيامة لانها تغطي الأفكار وتدّوخ الناس، بدأت السورة بوعيد ووعد، إشارة للرهبة والرغبة، فوصفت الأشرار وصفًا يبعث على الكآبة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغاشية: 2-3]، أما الأتقياء فلهم مكانة أخرى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ [الغاشية: 8-10].

ثم دفعت السورة العقل إلى التفكير في عناصر البيئة العربية، فتلفته إلى الإبل والجبال والآفاق العريضة، فيخلص من ذلك إلى إفراد الله بالعبادة وهجر الأصنام الموروثة.

وانتهت السورة بتحديد رسالة الأمة الإسلامية بين الناس، وهي التوعية والتذكير، فيحاربوا الإلحاد والغفلة عن الله.

وعند قوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: 21-22]، لنا وقفة، فالمسلمون لسوا مكلفين بإقامة دولة استعمارية تذل الرقاب وتسرق الخيرات، إنما كلفوا بإقامة دولة تجدد العقول وتهدي البشر إلى الكمال، ومهما طالت الأعمار أو قصرت، فالمصير إلى الله العدل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: 25-26].

■ لطائف من سورة الغاشية:

(1) ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغاشية: 3].

كانوا يتعبون أنفسهم في العبادة ولا أجر لهم عليها لكفرهم.



(2) ﴿.. إِلَّا مِن ضَرِيعٍ۝٦﴾.

هو نوع من الشوك إذا كان رطبًا اسمه الشبرق وإذا يبس كان ضريعًا.

(3) ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ۝١٥﴾ [الغاشية: 15].

هي الوسائد المصفوفةبعضها إلى بعض.

(4) ﴿وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ۝١٦﴾ [الغاشية: 16]

هي الأبسطة أو السجاجيد مفرقة في المجالس.



سورة الفجر

مكية - 30 آية

يقسم الله بإدبار الظلام وميلاد الضياء، وهو الفجر، ثم عطفت عليه أقسام أخرى ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ۝٢﴾ [الفجر: 2]، ويري جمهور المفسرين أنها عشر ذي الحجة المنتهية بوقفة عرفات ويوم النحر، ثم قسم بالزمان معطوف على ما قبله: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ۝٤﴾ [الفجر: 3-4]، والزمان من أسرار الكون التي تعرف بآثارها ولا تدرك حقائقها، **جواب القسم محذوف تقديره لينصرن الله دينك وليخذلن الكفر وأهله. فكفار مكة ليسوا خيرًا ممن سبقهم:** ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ۝١٠﴾ [الفجر: 6-10]، جابوا الصخر أي قطعوا الصخر ونحتوا بيوتهم في الجبال؛ يجوب البلاد أي يقطعها.

وفي وسط السورة حديث عن طبيعة سيئة للبشر، فهم يُخدعون بيومهم الحاضر، ولا يدرون أنهم ممتحنون بما حوي من ضر ونفع: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ۝١٦ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ۝١٧﴾ [الفجر: 15-17]، إن هذا كله تقسيم معايش لا يعرف سرها إلا القدر، **والله يبتلي بالغنى والفقر، وليس يسره رضا ولا عسره سخطًا، فتقسيم المعايش يمحص به الناس أجمعون، تحدد به منازلهم يوم القيامة، والعاقبة للتقوى**، لذلك قال سبحانه بعد هذا التفاوت: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ۝١٧

وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: 17-20]، فلم يبق إلا انتظار البعث الآخر: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: 21-22]، فهذا يوم البشرى وتهلل الوجوه بالفوز للمؤمنين، أما المجرمون فلا يستطيعون إلا صياح الندم، يوم لا ينفع الندم.



سورة البلد

مكية - 20 آية

يقسم الله بمكة البلد الحرام الذي أنت مقيم فيه يا محمد، وذلك تشريفًا لك وتعظيمًا لقدرك، مع أن هيبة الرسول استبيحت، واستحلوا العدوان عليه في بلد حرم يصان فيه الحيوان والنبات، لماذا القسم ببلد يقع فيه هذا التناقض؟، الشيخ محمد الغزالي - عليه رحمة الله - يتبنى الرأي القائل أن السبب هو أن بناء جيل جديد يرتبط بالله هو إجابة لدعاء وقع من وراء القرون، يقول فيه إبراهيم عليه السلام بعد أن دعا ربه أن يجعل هذا البلد آمنًا: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

وعلى هذا فتفسير ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: 3]، أن الوالد هو إبراهيم وأن محمد من ذرية إسماعيل هو ولده الذي يختم الرسالات ويقيم دعوي التوحيد في الأرض.

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: 4] الشريعة والتكاليف هي اللجام الذي يحجزالإنسان عن تحقيق شهواته، وقد يكفر وينكر البعث بعد الموت: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ [البلد: 5].

وقد يغتر بما انفق من ثروته: ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ [البلد: 6]، وذلك لا قيمة له إذا لقي ربه، دون إيمان ولا صلاح، ثم يذكر الحق نعمه على عبيده التي تستحق الشكر، فهلا كسر قيود الكفر والتقليد الأعمى، وبينت الآيات الطريق إلى ذلك: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ [البلد: 12-16].



سورة الشمس

مكية - 15 آية

➤ الشمس آية من آيات الله في الكون...

فهي تكبر الأرض 1.5 مليون مرة، وتبعد عن الأرض حوالي 150 مليون كيلومتر، تتبعها تسعة كواكب من بينهم الأرض، وتجري هي وتوابعها بين شموس أخرى في مجرة مديدة الآفاق، وهناك مجرات أخرى كثيرة كلها تدور في الكون الفسيح الذي لا ندرك أبعاده.

السورة تتضمن معاني وجيزة وتوجيهات سريعة، ولكنها كافية شافية، ولذلك يكثر تكرارها في الصلوات الخمس لتكون زادًا روحيًا نافعًا.

في صدر السورة أقسم الله سبع مرات على أن الفلاح لمن زكى نفسه والخيبة لمن تبع هواه، وقد طغت ثمود فماذا كان عقابها؟ أمست هشيمًا تدوسه الأقدام، وقد يبدو مستغربا أن ترد قصة من أخبار الأمم البائدة في سورة قصيرة كسورة الشمس، ولكنه من المؤكد أن موضوع السورة يزداد وضوحًا وتأثيرًا بهذه القصة، **فهي تسعى لتربية جيل تقي ومهذب يفكر قبل أن يمد يده أو يستعمل لسانه دون انضباط بالعقل أو حساب للعواقب**، فشقي ثمود لم يدرك عواقب قتل الناقة، فهلك بذلك قومه.

عن عائشة انها افتقدت الرسول ﷺ في ظلام الليل من مضجعه، فالتمسته بيدها، فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول: «**رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**».



سورة الليل

مكية - 21 آية

➤ السورة لها مقصد واضح:

السعي الصالح يرشح صاحبه لمستقبل مضئ، والعمل الردئ يمهد لصاحبه نهاية مزرية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل: 5-10].

والسورة تنهي عن أهم أسباب ظلمة القلب، والظلمة من صفات الليل، فتنهي عن البخل، وتأمر بأقوي أسباب النور، وهو صفة النهار، فتأمر بالإنفاق في سبيل الله، فمن بلاغة السورة يتقابل فيها ذكر الليل والنهار كتقابل البخل والجود.

والسورة تفضح أجيال في الأمة الإسلامية ركنوا إلى القعود والكسل، واعتنقوا خرافة الجبر، والله يقول في السورة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝﴾ [الليل: 12]، فهو يبين طريق الهدى وطريق الضلال، فمن سلك الهدى فعلى الله سبيله، ومن أراده اهتدى إليه.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن على بن أبي طالب عن النبي أنه قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا يا رسول الله، أفلا نتكل؟، قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل السعادة فييسر لعملهم، ومن كان من أهل الشقاء فهو ميسر لعملهم**، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝﴾ [الليل: 5]».



سورة الضحى

مكية - 11 آية

تريث نزول الوحي على الرسول في أوائل نزوله، فهل يعني ذلك أن رب محمد قد كرهه كما زعم خصوم الرسالة؟، بالطبع لا، فنزلت هذه السورة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: 1-3]، والسورة موجهة كلها لرسول الله، ولعل في القسم بالضحي، الذي فيه ارتفاع وظهور للشمس، لعله إشارة إلى تكريم الله له بإظهاره ورفع قدره بين قومه.

وتسلية له أخبره عز وجل أن الجنة خير له من الدنيا، مع العلم أن شرف النبوة تتضاءل إليه كل مكرمة في الدنيا، وأنه سبحانه سيعطيه من العطاء حتى يرضي، مثل الفتح في الدين، والثواب، والحوض، والشفاعة لأمته في الآخرة، ولم لا، فالله يختار أنبياءه من معادن نفيسة ثم يصقلهم في حياتهم بالأحداث الشداد، وهو اولي بهم منهم: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: 6-8]، والضلال المقصود هو الحيرة في معرفة الطريق ولقيادة العالم، فالنبي والأنبياء جميعًا معصومون من الضلال، الذي هو ظلم النفس ووضاعة السلوك.

وبعد أن ذكره الله عز وجل بنعمه السابقة واللاحقة قال له: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضحى: 9-11]، فأنت مختار لتبليغ رسالة، فحدث فما أنت كاهن ولا متكلف: ﴿.. إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ۝١٢﴾ [هود: 12].



سورة الشرح

مكية - 8 آيات

السورة امتداد لسور الضحى، والاستفهام الذي بدأت به هو تكملة للاستفهام المتتابع الذي في ختام السورة السابقة (الضحى)، والانشراح يعني الانفتاح والشعور بالرحابة بعد الشعور بالضيق والكرب.

وشرح الصدر تم بما أفاء الله عليه من علم وأدب: ﴿.. وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴿١١٣﴾﴾ [النساء: 113].

والوزر هو حمل أعباء النبوة، فقد سهلها عليه الله حتى تيسرت له، **ورفع الذكر** بأمور منها ذكره في الآذان، واقرانه بتوحيد الله في الشهادة، وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، وأمر الله لهم بطاعته. ومع العسر المذكور سابقًا هناك يسر ويسر آخر، وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**لو كان العسر في حجر لتبعه اليسر حتى يدخل فيه فيخرجه، ولن يغلب عسر يسرين**».

ثم يوصيه الله عزل وجل مرة أخرى بالدأب على الجهاد والإقبال على الله، فإذا انتهى من واجب نهض لغيره، فلا مكان في حياته لفتور: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴿٨﴾﴾ [الشرح: 7-8].



سورة التين

مكية - 8 آيات

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: 1-3].

أربع إيمانات متتابعة على أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، **وكأنما يقسم الله بهذه المواضع لأنها مهابط وحي الله على أولي العزم من الرسل، فالتين والزيتون كناية عن البلاد المقدسة في فلسطين والشام مهبط وحي سيدنا عيسى ﵇، وطور سينين هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، والبلد الأمين يعني مكة**، والمقسم عليه هو خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهو ليس صورته الحسنة وقامته المديدة، إنما هو ذكاء العقل واستقامة الفطرة، وهذه الفطرة الجميلة تبقى مع الحفاظ على الصلاح والتقوي، وقوة الإيمان، والعمل الصالح، وهذا هو معنى: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦﴾ [التين: 5-6]، فما يكذبك بعد أيها الإنسان بالدين: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: 8]، لماذا يحارب البعض الإسلام ويصد عنه؟ بأي فكر يفعل ذلك؟

فموضوع السورة فساد فطرة الإنسان وانحداره لأسفل سافلين إن لم يتلافى نفسه بالإيمان وطاعة الله، ولعل في ذلك إشارة إلى شجرة التين، فإنها كعنوان للسورة تشير إلى إمكانية فساد بعد استواء.

وقد ورد في الحديث من قرأ منكم التين والزيتون فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: 8] فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.



مقدمة لأول نزل القرآن

بعد صمت طويل دام حوالي ستة قرون جاءت كلمة السماء ... «اقرأ».

نزلت على رجل أبى رصيده الفطري أن ينخرط في تقاليد مجتمعه الجاهلي في القرن السادس الميلادي الغارق في ظلمة حالكة، بعد أن فقدت الأديان السماوية السابقة محتواها الإنساني والروحي، وصارت مجرد طقوس لا تغني شيئًا، فضلًا عن انحرافاتها الوثنية، فانسحب إلى الغار في هدوء متأملًا ومتعبدًا دون طقس معين.

كان من الممكن أن ينتهي به الحال مثل من قبله من الزهاد المنعزلين من الأحناف أو بعض النصارى العرب مثل ورقة بن نوفل، كان يبدو لظاهر العيان أن ذلك الرجل المتعبد في غار حراء سيكون واحدًا من تلك الأقلية المستنكرة ممن لا يصل استنكارهم لدرجة تغيير الأوضاع، ولكن في لحظة فارقة .. حدث ما غيَّر ذلك كله.

جاء الملك إلى الغار، وقال لذلك الرجل تلك الكلمة الهائلة الرهيبة ..

﴿ٱقۡرَأۡ ..﴾ [العلق: 1]

«اقرأ» هي أول كلمة اختارها الله ليعرّف نفسه إلى نبيه، بل آخر أنبيائه، وهي لا تشبه الكلمات التي قيلت للأنبياء الآخرين من قبل، وكانت تخاطب في الإنسان حواسه: عصا تسعى، يد بيضاء، طير يعود للحياة، هذه المرة يخاطب سبحانه وتعالى العقل الإنساني، إنه يؤسس للغة جديدة بين الله والإنسان، لغة تعتمد على العقل.

كان الرسول ﷺ يعي منذ اللحظة الأولى - ولو بشيء من الغموض - ضخامة الكلمة التي ألقيت عليه، كان يعلم أنها تتجاوز أسوار القراءة الأبجدية وحدودها اللغوية، إنها دعوة



لقراءة كتاب الكون المفتوح المتجسد في كل حبة رمل ونسمة هواء وثمرة شجر، إنها دعوة لقراءة في النفس الإنسانية وكل نزعة خير ونزوة شر ...

إن «اقرأ» هي فتح لأبواب العقل للاستقراء والاستنتاج بين الأسباب والمسببات، إنها تتجاوز الشكل الحرفي الأبجدي للكلمة إلى معنى الوعي والاستقراء، وليست مفهومًا ثانويًّا مرتبطًا بالقراءة التقليدية للكتب التي سطرها الأولون فحسب، والتي تحاول إقسار الماضي على الحاضر ولو بالقوة، فهذا المفهوم الخاطئ للكلمة فيه تقزيم لمارد واغتيال لروح الإبداع في كلمة «اقرأ».

إن «اقرأ» لم تكن مجرد بداية تاريخية لنزول الوحي، إنها البداية والنهاية وما بينهما، إنها جوهر الحكاية كلها ....



سورة العلق

مكية - 19 آية

كان النبي يخلو بنفسه في غار حراء بين الحين والآخر بعيدًا عن لغط الجاهلية، أنه يزدري الأصنام وعبادتها ويتأمل آفاق الكون، لكنه لا يدري أكثر من هذا، حتى فاجأه صوت غريب: ﴿ٱقۡرَأۡ ..﴾ [العلق: 1]، قال ما أنا بقارئ، فقد كان أميًا لا يعرف القراءة، وتكرر الصوت والرد، ثم استمع إلى تمام الأمر: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ۝٥﴾ [العلق: 1-5]، وهي أول خمس آيات نزلت من القرآن.

إن الذي خلق الإنسان من علقة - وهي قطعة من دم غليظ تعلق بجدار الرحم، قادر على أن يجعل الأمي عالما، **ومحمد ما تطلع إلى وحي أو رسالة، فقد بوغت بما كان**، فلما استيقن من اصطفاء الله له، شرع يبني الأمة الجديدة، كما فعل من قبل إبراهيم وموسى، وقد بلغ المدى وزاد، ولم يعرف العالم إمامًا يدانيه في فضائله.

بعد فترة نزلت باقي الآيات: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ۝٨﴾ [العلق: 6-8]، **لماذا يطغى الإنسان إذا استغنى؟**، هذا جحود بنعمة الله، وحسابه سيكون في الآخرة، وذكرت السورة الكافر الذي يكذب بآيات الله وينهي عن الصلاة والطهارة: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ۝١٤﴾ [العلق: 9-14]، **وفي هذا تصوير للمعركة التي ستبقى دائرة إلى يوم الدين**، فجماهير الكافرين ترفض الصلاة

والزكاة، وستنشب معركة بين فريقين أحدهما مرتبط بالحلال والحرام، والآخر يري الإنسان سيد نفسه ليس لأحد عليه سلطان، وهذا الصنف سيؤخذ من ناصيته: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ۝١٦﴾ [العلق: 16]، والسفع هو القبض على المرء مع جذبه من ناصيته، وهي شعر مقدمة الرأس، فلا يستطيع الإفلات.

فالسورة واحدة بموضوع واحد، هو دعوة الإنسان للعودة إلى ربه، الذي خلقه من علقة، وأن يرتبط به ولا ينفصل عنه أو يشعر بالاستغناء عن رحمته، أي يعلق به عز وجل.



سورة القدر

مكية - 5 آيات

القرآن الكريم أنزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملة واحدة في ليلة القدر، أي ليلة الشرف والرفعة، ثم تنزل من السماء الدنيا منجما أي متفرقًا على الرسول على مدى ثلاثة وعشرين عامًا.

وغزارة الخير النازل في هذه الليلة، التي هي مناسبة جديرة بالحفاوة والدعاء، هذا الخير الغزير يبدو في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر: 2-3]، فالملائكة وعلى رأسهم سيدنا جبريل عليه السلام، تتنزل فيها بإذن ربهم: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤﴾ [القدر: 4]، وهي تشبه قول الحق في صدر سورة الدخان: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦﴾ [الدخان: 4-6].

وهذه الليلة هي ليلة سلام وخير، لا شر فيها، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها أذى كما قال مجاهد، وقال الشعبي أن السلام هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر، فهم يتنزلون فوجًا بعد فوج حتى طلوع الفجر، لإنفاذ أوامر الله في ذكري نزول القرآن أول مرة على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.



عندما ظهر الإسلام في القرن السادس الميلادي، كان الشمال الأفريقي وغرب آسيا مليئين بالنصاري ويحكمهم الرومان، وما وراء ذلك من أرض الله الواسعة كان مليئًا بالمشركين حتى الهند والصين، فلما جاء القرن السابع، أي في أقل من مائة عام، تغيرت الدنيا، ودخلت أقطار المغرب كلها ووادي النيل والأناضول والشام واليمن في الإسلام، وقد دخل النصارى المخلصين في الإسلام بترحاب ورغبة، ورأوا في نبوة محمد تحقيق لما رأوه في كتبهم، كما دخل في الإسلام أيضًا المجوس ووثنيون كثير.

كيف تم هذا؟، **إنه أثر القرآن الكريم**: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة: 1-3]، **أي لم يكونوا تاركي عقائدهم الأولى حتى ياتيهم ما يبين لهم الحق، وها قد جاءهم الرسول، ومعه القرآن الكريم.**

وقد ختمت السورة بوعد حسن للمؤمنين الصالحين بشرط مراقبة الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: 7-8]، رضوان الله عليهم لأنهم أطاعوا أمره وقبلوا شرائعه، ورضاهم عنه أنهم قد بلغوا من المطالب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.



سورة الزلزلة

مدنية - 8 آيات

قبل أن تقوم الساعة يقع في الأرض زلزال كبير: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ [الزلزلة: 1-3].

ماذا حدث لها، وماذا يراد بنا؟ ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: 4-5].

يومئذ يشعر الناس بأن اليوم الموعود قد حل، إن شعورهم بما كان منهم في الدنيا هو شعور قوي غالب: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٣٠﴾ [آل عمران: 30].

والحساب في هذا اليوم العصيب سيكون بمثقال الذرة، والذر ما يري في شعاع الشمس من هباء.

وفي الحديث أن الرسول سئل عن زكاة الحمير، فقال ما أنزل الله فيها شيئًا إلا هذه الآية الجامعة الفذة: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: 7-8].



سورة العاديات

مكية - 11 آية

يقسم الله في السورة بأدوات الجهاد: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ [العاديات: 1-5].

وذلك تعظيمًا لشأن الجهاد، فهو الذي يحرس العقيدة، ويحمي الحقيقة ويصون الخدمات، وعندما تغدو الخيل بفرسانها، وتضطرم أنفاسها في صدورها، وتقدح سنابكها الشرر من شدة حربها، عندئذ يعلم المبطلون فداحة ما فعلوا، فالحق يحتاج إلى رجال يزودون عنه، فإن هناك من يكفر بالنعمة، ويسرقون العقائد والفضائل: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات: 6-7].

وتحذيرًا لهؤلاء يذكرهم الحق بانهم سيحاسبون في يوم الحساب على ذلك: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾ [العاديات: 9-11].



سورة القارعة

مكية - 11 آية

قبل قيام الساعة، والناس منشغلون في بيوتهم أو أعمالهم، ينطلق صوت مرعب، يفزع له اليقظان ويستيقظ له النائم، ويشعر الكل بالخطر المحدق، هل هو قرع أجراس .. هل هو قرع طبول .. أم هو الصاخة التي تخرق الآذان، إنه القارعة: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: 1-5].

إن الجبال قد فقدت تماسكها وأصبحت كقطع الصوف المندوف، أما الناس فهم كأسراب الفراش أو الجراد المنتشر، لا يلوي أحد على أحد، كل يريد أن يعرف مصيره، هذا المصير هو الذي صنعته أنت بيديك في الأيام التي خلت: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [القارعة: 6-7]، والمراد أن كفة الخير ملأى بالحسنات.

أما إذا قل خيره وطفح شره: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: 9]، أي فمسكنه جهنم، وسماها الحق أمه لأنه يأوي إليها كما يأوي الطفل إلى أمه.

وتبع ذلك استفهام للتهويل: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ [القارعة: 10]، وهذا بيان أنها خارجة عن المعهود، بحيث لا يدري كنهها، وجاء الرد حاسمًا: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: 11].



سورة التكاثر

مكية - 8 آيات

يجوز أن يشمل الخطاب في السورة كل عاكف على مأربه من عبيد الدنيا: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: 1-2]، أي شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد، وليست القصة الإنشغال وراء ضرورات العيش، إنها منافسة مع الآخرين في الظفر بأكبر حظ من حطام الدنيا، ولا تنتهي هذه المنافسة إلا مع مداهمة الموت.

وسمي الدفن بالمقابر زيارة، لأن القبر ليس المثوى الأخير، إنه خارج منه بعد حين لاستكمال حسابه، فالقبر هو معبر لما وراءه، وزجرًا للناس عن التكاثر يقول الحق: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: 3-4]، وهو تكرار للتأكيد.

ثم أخبرهم أنهم لو علموا ما هم صائرون إليه علمًا كعلمهم بما هو متيقن عندهم في الدنيا، لشغلهم ذلك عن التكاثر والتفاخر: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر: 5-6]، فلو أنكم صدقتم الرسل لكان لكم سلوك آخر يقيكم عذاب الجحيم التي حكم فيها إقامة دائمة: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: 7-8].

ففي الآخرة سوف يسأل الإنسان عن كل نعمة لم يشكرها بعد ما استمتع بها.



سـورة العصر

مكية - 3 آيات

هذه السورة على وجازتها قد لخصت عواقب النشاط الإنساني كله، على امتداد الزمان والمكان، فالمقطوعون عن الله هم حطب جهنم وفي خسران، والمتمسكون بالإيمان والصلاح والحق والصبر هم المفلحون.

فهذه العناصر الأربعة هي السبيل إلى الرشاد، وقد حصر الله البشرى في أصحابها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ۝٣﴾ [العصر: 3]

وعن الإمام الشافعي - عليه رحمة الله - أنه قال: «لو لم ينزل على الناس إلا هذه السورة لكفتهم».

والصحابة رضوان الله عليهم علموا قيمتها، فكانوا يتخذونها شعارًا لهم في ملتقياتهم، كما جاء في الحديث أن الرجلان من أصحاب الرسول لا يفترقان إلا أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر.

والقسم في أول السورة بالعصر هو من دلالات السورة المثيرة للإنتباه، فكل عصر فيه ناس قد يتشابهون في معايشهم وتقاليدهم، ولكنهم يختلفون في مصايرهم حسب مناهجهم، وهو ما أوضحته السورة بإيجاز مدهش.



سورة الهمزة

مكية - 9 آيات

عند نزول الوحى، كان القاعدون الواجدون على المسلمين من أثرياء مكة وغيرهم، يعقدون المجالس اللاهية، ويتناولون المسلمين بالهمز وهو اغتياب الرجل في وجهه، وباللمز وهي اغتياب الرجل من خلفه، فنزلت هذه السورة: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣﴾ [الهمزة: 1-3].

وقد أشار القرآن إلى حرب السخرية التي يشنها المجرمون على أصحاب الإيمان في سورة المطففين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾ [المطففين: 29-30].

وهي حرب منظمة حتى وقتنا هذا، تخصصت فيها صحف ووسائل إعلام ووسائل اتصال، ويعيش الساخرون من خلالها في ظلال أموالهم أو مما تصرفه لهم جهات مريبة.

الويل لهؤلاء في الدنيا والآخرة: ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾ [الهمزة: 4-9].

فإنهم سوف يطرحون في النار التي تحطم ما يلقى فيها، نار موقدة بأمر الله سبحانه، نار يخلص حرها إلى القلوب التي هي محل مقاصدهم الزائفة ونياتهم الخبيثة، نار مغلقة عليهم أبوابها جميعًا كالعلبة المغلقة على ما فيها، فلا يستطيعون الخروج منها، حيث إن الأبواب مغلقة بأوتاد مثل الأعمدة، فلا يفتح عليهم باب.



سورة الفيل

مكية - 5 آيات

أعد الأحباش جيشًا لغزو الكعبة وتدميرها وإبطال العبادة حولها، وخرجوا من ديارهم على نحو ما قال الله في سورة الأنفال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧﴾ [الأنفال: 47].

وضموا إلى جيشهم عددًا من الفيلة التي تشارك في حرب الجزيرة العربية لأول مرة، عند ذلك شعر أهل مكة بالعجز عن مقاومة هذه الحملة، ففروا إلى رؤوس الجبال تاركين بيت الله وبيوتهم لحكم القدر.

على أن الحملة لقيت مصيرًا مفجعا، فقد داهمتها أسراب من الطير تقذف الرجال بالحجارة، حجارة يفهم من القرآن أنها من النوع الذي قذف به قوم لوط فدمر المدينة وجعل عاليها سافلها، فأفنى المهاجمين، ومات قائدهم أبرهة في طريق عودته بعد هزيمته الماحقة.

والمشهور أن الرسول ﷺ ولد عام الفيل، كأن الله حمى مكة ببركته، وأبقى قريشًا في مكة مكفولة العيش موفورة الأمن، وفي هذا تمهيد إلهي لظهور الإسلام من أم القرى إلى أنحاء العالم، وهو ما تشير إليه السورة التالية.



سورة قريش

مكية - 4 آيات

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ [قريش: 1-2].

إن جزيرة العرب تقع بين آسيا وأوروبا، وقد اشتغل أهل مكة من قريش بالتجارة بين هاتين القارتين، وانتظمت رحلاتهم صيفًا إلى الشام وشتاءً إلى اليمن، ولولا هاتان الرحلتان ما قام لقريش مقام، والإيلاف أن الله جعلهم يألفون الرحلتين ويسرهما لهم، فالعرب يقولون قريش أهل بيت الله، فلا يغار عليهم في رحلاتهم، فأمرهم الله أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ [قريش: 3-4]، وهي كلمات تشير إلى استتباب الأمن وانتفاء الخوف - خاصة بعد حملة الفيل - وهما أساس الحياة الاقتصادية، وقد يكون ذلك من أسباب أن العربي في أرجاء الجزيرة كان أقوى شخصية وأوسع استقلالًا من غيره، وهذا مارشح العرب لحمل رسالة الإسلام، والتطواف بها في المشارق والمغارب.



سورة الماعون

مكية - 7 آيات

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ۝١﴾ [الماعون: 1].

أي يكذب بما يأمر به الدين، وأهل الدين يسارعون في قضاء حاجات الأخرين، وهم مع الضعيف حتى يقوى، ومع الفقير حتى يستقل، ومع اليتيم حتى يكبر.

إذن فلو تأملت من يكذب بالدين ستجده يدفع اليتيم عن حقه ويستأثر به لنفسه، ويبخل بالمال عن أطعام المساكين، وقد يكون هذا الكذب بالدين من المصلين رياءً، أو يسهو عن صلاته غير مبال بها ولا يخاف عليها عقابًا إن تركها، فيغفل عنها حتى ينتهي وقتها، وهؤلاء الموصوفون بهذه الصفات يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا، أو براءون الناس بأعمال الخير ليثنوا عليهم، ويمنعون أن ينتشر التعاون بين الناس فيما يتعاورونه فيما بينهم وهو المقصود بالماعون، وإن كان بعض المفسرين قال إن الماعون هو الزكاة.

سورة الماعون، على وجازتها، ترفض العبادة الصورية، وترى أن إعانة محتاج شرط للإيمان كإقامة الصلاة وأدائها بخشوع، وتهدد بالويل مانع الماعون عن محتاج إليه، **فالسورة تقدم الدين من وجهة نظر التفاعل بين الناس، فالإيمان يجب أن يظهر كسلوك**، فليس بمؤمن من يظلم يتيما أو لا يحض على إطعام مسكينا، حتى لو صلى فسيظهر نفاقه في عدم حرصه على الصلاة في أوقاتها، وفي مراءاته بمظاهر الدين، وأخيرا بالبخل على الأمة بمنع الزكاة والصدقة.



سورة الكوثر

مكية - 3 آيات

في هذه السورة الكريمة التي لا تزيد عن سطر واحد تشعر كأنها تهنئة سريعة ببشري حسنة.. !!

لما مات ابن لرسول الله قال أحد المشركين إنه أبتر، أي إنه فقد من ينتسب إليه ويطيل ذكره، فنزلت السورة لتؤكد أن الله أوسع العطاء لنبيه، فمن مثله من الناس؟ أنزل على قلبه القرآن، واصطفاه رسولًا للعالمين، وألهم أهل الأرض والسماء بذكره والثناء عليه، فهذا الخير الكثير هو الكوثر، وقبل الكوثر هو نهر أعطاه الله لنبيه في الجنة: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر: 1-3].

والمأمور به هنا هو إقامة الصلوات المفروضة، وأن تكون صلاته ونحره لله، حيث كان المشركون يصلون وينحرون لغير الله، وقال الكثير من المفسرين المراد صلاة العيد ونحره.

ثم يقول الله لنبيه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر: 3]، أي إن كارهك هو المقطوع الذكر الممحو الأثر، أما أنت فالملائكة الحافون بالعرش يسبحون بحمد ربهم، ويشاركونك وأنت تهتف بأمجاد الله، فالله يلهمك محامد ما ينطق بها غيرك، لفرط حفاوته بعبوديتك له وجهادك في سبيله.



سورة الكافرون

مكية - 9 آيات

تأتي أهمية السورة من ظروف نزولها، فالكافرون هم أهل مكة الذين كان أجدادهم على الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ثم حرفوا الدين وعبثوا بأحكامه حتى أعتبروا كافرين، وكانوا يظنون أنهم على حق، وأن دينهم يعادل دين محمد، فتأتي هذه السورة القاطعة ليعلموا أنهم ليسوا على شيء، حتى يتوبوا ويدخلوا في الإسلام.

ومن منظور آخر للسورة، فنحن المسلمون لا نسعي إلى محو الأديان المخالفة، والإسلام ما يقاتل إلا منعًا للفتنة وردًا للعدوان، والقتال للإكراه على عقيدة هو من نزع الشيطان وجبروت السلاطين، ولا نتيجة له إلا المزيد من الأحقاد.

وعلى هذا فسورة الكافرون من أحكم ماتؤسس عليه العلاقات الدولية، فإنه من المستحيل توحيد العقائد والمذاهب، ومن الخير الإعتراف بتعدد المشارب والنزعات، ومواجهة ذلك بالحكمة والوعي: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]، ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: 2-3].

وفي سورة هود حكي القرآن الكريم زبدة تاريخ البشر، والصراع بين المؤمنين والكافرين على امتداد العصور، ثم قال للنبي: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]، فلنعترف بتعدد الأديان، ولندع للجدال الحسن والحوار الهادئ أن يمتد ويكون هو الأساس في مناقشة الآخرين.

وقد ثبت أن رسول الله قرأ بهذه السورة، وبقل هو الله أحد، في ركعتي الطواف، وفي ركعتي الفجر، والركعتين بعد المغرب، وأوتر بسبح وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد.



سورة النصر

مدنية - 3 آيات

السورة نزلت في أواخر حياة الرسول، وهو قد فهم منها أنها تنعي إليه نفسه، ولذلك يسميها المفسرون **سورة التوديع، فليستعد لقرب أجله عن الدنيا بطول التسبيح والاستغفار**: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا۝٣﴾ [النصر: 1-3].

والنصر ما جاء إلا بعد أن أدى الرسول رسالته في إعلاء كلمة الله ومحو الخرافات السائدة، ولم يبق إلا أن يعود إلى ربه ليجزيه خيرًا عن جهاده الطويل، إنه تعب كما لم يتعب أحد، وانتصب تهجدًا لربه حتى تورمت قدماه، وقاتل في سبيل ربه حتى أجهدته الجراحات، ثم لم يكن له هم إلا أن يقول لربه: إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى.

فهو لم يطلب علوًا في الدنيا حتى يدعو الله أن يطول عمره فيتمتع بالنصر الذي أحرزه، وإليك هذا المثال خير دليل، فهو وهو في أواخر عمره طلب طعامًا لبيته من تاجر يهودي في المدينة، فأبي اليهودي أن يعطيه الطعام إلا بعد أن يترك شيئا يسترده فيما بعد حين تتوفر للرسول النقود، وهو ما يعرف بالرهن، كان النبي في قمة السلطة بعد أن انكسرت جميع القوي أمام جيشه، فقد انحسر المد الروماني في شمال الجزيرة، واستسلمت كل المستوطنات اليهودية، ولو كلف الرسول أحد الأغنياء من اتباعه أن يدفع ثمن القوت المطلوب، لتواثبوا لنيل هذا الشرف، ولكن الرسول لم يفعل، وقال لليهودي أنا أمين في الأرض وفي السماء، وأعطاه درعه كرهن، ومات النبي والدرع مرهونة عند اليهودي في قوت بيته.



فماذا نال من دنيا الناس..

إنه لما أتاه الوحي يعرض عليه البقاء في الدنيا أو لقاء الله، قال بل الرفيق الأعلى.

إنه لقي ربه ونعم بجواره، وهو الآن مع المرسلين الأولين والملائكة المقربين: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: 55]، فاللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وجَازِه بخير ما جازيت به نبيًّا عن قومه، اللهم آمين.



سورة المسد

مكية - 5 آيات

السورة نزلت في الأيام الأولى للإسلام.

أبو لهب - واسمه الأصلي عبدالعزى - هو عم النبي، ولكنه لم يكن يرى في ابن أخيه إلا أنه اليتيم الضعيف الذي كفله أبوطالب أخوه، فما لمح فيه ميراثًا نبويًا ولا سيرة ربانية، ولذلك لما دعا النبي بطون قريش من فوق الصفا أن يجتمعوا، وقال لهم أنه نذير بين يدي عذاب شديد، وذكر أن الله أرسله إليهم ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، عندما حدثت تلك الواقعة كان أبو لهب أسرع الناس إلى تكذيبه، وقال له تبًا لك سائر اليوم، أي الويل لك، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت السورة، وانفرد أبو لهب بالخصومة العنيفة للإسلام دون سائر الأعمام ولزمها إلى أن مات، وامتدت هذه الخصومة إلى أولاده فطلقوا زوجاتهم من بنات محمد، وامتدت إلى زوجته أخت أبوسفيان سيد مكة، وكانت إمرأة سليطة اللسان لدودة في عداوتها، فبسطت لسانها في محمد، وتنقلت تهجوه بين البيوت، فتنقل مايثير الوقيعة، **كأنها تحمل حطبًا تشعل به الخصومات:** ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: 4].

وهذا رأي الشيخ الغزالي عليه رحمة الله، الذي يري أن المرأة من بيت سيادة، فيستبعد أن تشغل نفسها بحمل الحطب فتلقيه في طريق النبي صلوات الله وسلامه عليه، وهو الرأي الذي عليه جمهور المفسرين، وكان لها قلادة فاخرة من الجواهر في عنقها، فأقسمت أن تنفقها في عداوة محمد، فتوعدها الله بحبل من الليف يكون حول عنقها عذابًا لها يوم القيامة: ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ [المسد: 5].

إن سيرة أبي لهب وزوجته تشير إلى من لا يتدبر آيات الله فلا تستنير بصيرته، يعيش أعمى ويموت أعمى.





سورة الإخلاص

مكية - 4 آيات

سورة الإخلاص سطر واحد، وهي تعدل ثلث القرآن كما ورد في الحديث، لأنها لخصت أصل الاعتقاد عند المسلمين.

فالله ليس كمثله شيء، ولم يكن له كفء، ويستحيل أن يكون أبًا أو ابنًا، وهو الصمد الذي يصمد إليه في الحاجات، أي يقصد لكونه قادرًا على قضائها، إن النظام الساري في الملكوت لا يتحمل تعدد الآلهة، فالنظام الكوني واحد تضبطه إرادة واحدة وتصوغه قدرة واحدة، فالذي يشرف على افرازات الهضم في الأمعاء هو الذي يشرف على مسارات الأفلاك في أقاصي الآفاق، وفالق الحب والنوى في الحقول هو فالق الإصباح في السماء.

فنحن بعد إعمال الفكر وإدمان النظر، لا تملك إلا أن نقول:

«لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له .. له الملك وله الحمد .. وهو على كل شيء قدير».

■ لطائف من سورة الإخلاص:

(1) تكرر فعل «قل» كثيرًا في آيات القرآن الكريم ... ولا يوجد كتاب على وجه الأرض يستعمل فيه مؤلفه كلمة «قل» في كتابه لأن المؤلف نفسه هو الذي يكتب ويقول ... ولكنَّ كتاب الله الكريم شيء آخر، فالله سبحانه كان بإمكانه أن يأمر رسوله أن يقول للناس ما يريد دون ذكر لفظة «قل»، ولكنه أراد أن تظل كلمة «قل» حتى يرسخ في أذهان الناس أن هذا القرآن الذي ينطق به محمد ويبلغه للناس ليس من كلامه، ولكنه فقط رسول من عند الله مكلّف بإبلاغه للناس.



سورة الفلق

مكية - 5 آيات

➤ الحياة حافلة بما يسوء..

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ۝٣٥﴾ [الأنبياء: 35].

﴿.. وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝١٦٨﴾ [الأعراف: 168]

وقد نزلت السورتان الأخيرتان من المصحف الشريف تعلمنا كيف نتحصن بالله من شرور كثيرة، والسورتان فيهما حصانات قوية لمن أراد الاحتماء بالله والظفر بحمايته، وكان الرسول كما روت عائشة وأخرجه مالك في الموطأ «إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث».

والفلق هو الضوء الذي يشق الظلام، والقادر على أن يزيل ظلمات الليل الشديدة بالفلق الذي هو ربه، يقدر أيضًا أن يدفع عن العائذ به كل ما يخاف ويخشاه.

ومما يستعاذ بالله منه أيضًا السحر، والحسد الذي هو رذيلة تقوم على تمني زوال النعمة وكره أصحابها والكيد لهم، وهي من أشنع الجرائم بين الناس كما قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالكل أعداء له وخصوم

- إذن فسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشرور الظاهرة والخفية الواقعة على الإنسان من الخارج ولا يمكنه رفعها إلا بالصبر.

وهذه الشرور في سورة الفلق مما لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنها؛ لأنها ليست من كسبه، فهي غير محاسب عليها.



- أما في سورة الناس فالاستعاذة من شرور الإنسان الداخلية النابعة من نفسه والتي يستطيع أن يدفعها، فهذه الشرور في سورة الناس مما يدخل تحت التكليف ويحاسب عليها.

فسورة الفلق استعاذة بالله من شرور المصائب، وسورة الناس استعاذة بالله من شرور المعايب.



سورة الناس

مكية - 6 آيات

السورة تتحدث عن خطر الهواجس النفسية، وعن ضرورة النجاة منها، وذلك باللجوء إلى الله والاستعاذة به من شياطين الإنس والجن، وما يلقونه في الصدور من وساوس، ونحن وإن كنا لا ندري كيف يتصرف الجن، فإننا نشعر بما يطلبونه منا وبرغبتنا فيه، فهم يدعون إلى طاعة الشيطان بكلام خفي يصل إلى القلب بدون سماع صوت، ولذلك نلجأ إلى الرب الملك الإله كي يحفظنا، فتكرير الصفات هنا هو اعتراف بالفاقة والحاجة إلى عون الله.

والخناس هو الذي يختفي ثم يظهر، منتهزًا الفرصة للوثوب، وهو خبيث ماكر فينبغي الحذر منه، ولكنه محروم من أي سلطة تنفيذية، إنه لا يملك إلا الإغواء والمخادعة، فمن استجاب له لا عذر له، لاسيما بعد تحذيره وتنبيهه، فالمؤمن الذاكر لربه المثابر على حقه يعيش داخل سور يحميه من النفس وهواجسها وشياطين الجن والإنس ووساوسهم.



1- أرقام وإحصائيات من القرآن الكريم.

2- لمحات عن علوم القرآن.

3- آداب تلاوة القرآن الكريم.

4- نصيحة الشيخ الغزالي رحمه الله لتسهيل حفظ القرآن.

5- أمثلة من أحكام المواريث.

6- ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف الشريف.

7- ترتيب سور القرآن الكريم زمنيا حسب النزول.

أرقام وإحصاءات من القرآن الكريم

أعظم آية في القرآن الكريم هي آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ٢٥٥﴾ [البقرة: 255].

أحكم آية: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ٩٠﴾ [النحل: 90]

أجمع آية: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ٨﴾ [الزلزلة: 7-8]

أخوف آية: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا١٢٣﴾ [النساء: 123]

أرجى آية: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ٥٣﴾ [الزمر: 53]

نقلًا عن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.



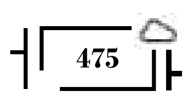
➤ **الأنبياء عليهم السلام وعدد مرات ذكرهم في القرآن الكريم:**

	عدد المرات		عدد المرات
موسى	136	إسماعيل	12
إبراهيم	69	شعيب	11
نوح	43	صالح	9
يوسف - لوط	27	زكريا	7
عيسى - آدم	25	يحيى	5
هارون	20	هود - محمد - أيوب - يونس	4
إسحاق - سليمان	17	إليسع - ذو الكفل - إلياس - إدريس	2
يعقوب - داود	16		

➤ **آيات الحدود في القرآن الكريم :**

(1) **حد السرقة:** ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: 38-39].

(2) **حد المحاربة:** ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: 33].



(3) **حد القذف:** ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [النور: 4-5].

(4) **حد الزنا:** ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ [النور: 2].

(5) **حد زنا الإماء:** ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥﴾ [النساء: 25].

➤ أكثر الحروف تكرارًا في القرآن الكريم:

- عدد الألفات: 40792.
- عدد الشينات: 25133.
- عدد الميمات: 20560.
- عدد اللامات: 14591.
- عدد الواوات: 13700.
- عدد الراءات: 10903.



- **آية بها (16) ميم:**

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴿٤٨﴾﴾ [هود: 48]، منها ثمانية متتالية تنطق بسلاسة وبدون أي نشاز في النطق ﴿.. وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ..﴾ [هود: 48]، وهي مثال جيد على ثراء ومتانة اللغة العربية.

➤ الحشرات التي ذكرت في القرآن:

البعوض: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: 26].

الذباب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: 73].

الجراد: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴿٧﴾﴾ [القمر: 7].

النمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴿١٨﴾﴾ [النمل: 18].

النحل: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: 68].



العنكبوت: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: 41].

القمل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: 133].

الفراش: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴿٤﴾﴾ [القارعة: 4].

➤ سور القرآن:

- سور افتتحت بالاستفهام: ست سور

الإنسان - النبأ - الغاشية - الشرح - الفيل - الماعون.

- سور افتتحت بالأمر: سبع سور

الجن - الأعلى - العلق - الكافرون - الإخلاص - الفلق - الناس.

- سور افتتحت بالشرط: «إذا» سبع سور

الواقعة - المنافقون - التكوير - الانفطار - الانشقاق - الزلزلة - النصر.

- سور افتتحت بالقسم: خمس عشرة سورة

الصافات - الذاريات - الطور - النجم - المرسلات - النازعات - البروج - الطارق - الفجر - الشمس - الليل - الضحى - التين - العاديات - العصر.

- سور افتتحت بالدعاء: ثلاث سور

المطففين - الهمزة - المسد.

- سور افتتحت بالنداء: عشر سور

النساء - المائدة - الحج - الأحزاب - الحجرات - الممتحنة - الطلاق - التحريم - المزمل - المدثر.



- سور افتتحت بالحروف المقطعة: ثمان وعشرون سورة

عدد الحروف المستخدمة فيها أربعة عشر حرفًا تجمعها جملة «**نص حكيم قاطع له سر**».

- سور سُمّيت بأسماء أنبياء: ست سور

يونس - هود - يوسف - إبراهيم - محمد - نوح.

- سورة ذكر لفظ الجلالة »الله« في كل آية منها: سورة المجادلة

- سورة طويلة ليس فيها ذكر للجنة أو النار:

سورة يوسف.

- عدد سور القرآن: 114 سورة.

- عدد آيات القرآن: 6236 آية.

- عدد كلمات القرآن: 77437 كلمة.

- عدد حروف القرآن: 324.527 حرفًا.

بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها !!

➤ **كلمة «كلا» في القرآن: وردت في ثلاثة وثلاثون موضعًا.**

في خمس عشرة سورة، وكلها سور مكية، وكلها في النصف الثاني من المصحف.

وقد تكون بمعنى «لا«،وذلك في أربعة عشر موضعًا، مثل: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]، ويحسن الوقوف عليها في هذه المواضع.

وقد تكون بمعنى «حقًا»، وذلك في تسعة عشر موضعًا، مثل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ [المدثر: 54]، ولا يحسن الوقوف عليها في هذه المواضع.

➤ لفظ الجلالة «الله» هو أكثر الألفاظ ورودًا في القرآن: 2697 مرة.

مرفوعًا (اللهُ): 980 مرة.

منصوبًا (اللهَ): 592 مرة.

مكسورًا (اللهِ): 1125 مرة.

مدة نزول القرآن:

بدأ في شهر رمضان والرسول في عامه الأربعين، أي في يوليو 610 ميلاديًا (13 عامًا قبل الهجرة) .

واستمر حتى العام العاشر من الهجرة وعمر الرسول 63 عامًا، أي دام نزول القرآن 22 عامًا وبضعة شهور.

➤ المدن والبلدان التي ذكرت في القرآن:

مكة - المدينة - سيناء - سبأ - بابل - مصر - الأرض المقدسة (القدس) - الأحقاف - مدين.

➤ تقسيمات القرآن:

- موضع انتصاف القرآن:

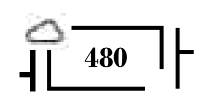
يقع نصف القرآن عند حرف الفاء في كلمة « وليتلطف» (الكهف - آية 19)، وكانت تميز بكتابتها باللون الأحمر في المصحف .

- مواضع أثلاث القرآن:

(1) الثلث الأول الآية 100 من سورة التوبة.

(2) الثلث الثاني الآية 101 من سورة الشعراء.

(3) الثلث الثالث من بعد ذلك إلى آخر المصحف.



- مواضع أرباع القرآن:

(1) الربع الأول آخر سورة الأنعام.

(2) الربع الثاني الفاء في وليتلطف (الكهف الآية 19).

(3) الربع الثالث آخر سورة غافر.

(4) الربع الرابع من بعد ذلك إلى آخر المصحف.

- مواضع أسباع القرآن:

(1) الأول حتى الدال من الآية 55 من سورة النساء.

(2) الثاني إلى التاء في حبطت من الآية 147 من سورة الأعراف.

(3) الثالث الألف الثانية من أكلها من الآية 35 من سورة الرعد.

(4) الرابع الألف في منسكًا من الآية 67 من سورة الحج.

(5) الخامس الهاء في مؤمنة من الآية 36 من سورة الأحزاب.

(6) السادس الواو في السوء من الآية 6 من سورة الفتح.

(7) السابع من بعد ذلك حتى آخر المصحف.

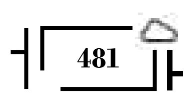
- تقسيم القرآن بحسب سوره: خمسة أقسام

(1) **الزهراوان:** أي المنيرتان، وهما البقرة وآل عمران، ومن السنة تلاوتهما بين العصر والمغرب في يوم الجمعة.

(2) **السبع الطوال**: من البقرة حتى آخر التوبة (اعتبرت الأنفال والتوبة سورة واحدة).

(3) **المئون (جمع مائة):** إحدى عشرة سورة متقاربات غير متواليات في المصحف، كل سورة تزيد عن المائة آية، وكلها في النصف الآخير من الوحي المكي:

يونس وعدد آياتها (109)، هود (123)، يوسف (111)، النحل (128) الإسراء (111)، الكهف (110)، طه (135) الأنبياء (112)، المؤمنون (118)، الشعراء (227) الصافات (182).



ولا يقاربها في عدد الآيات سوى مريم 98))، والنمل 93)).

(4) **المثاني:** وهي ما يلي المئين وتنتهي بسورة ق.

(5) **المفصل**: ما يلي المثاني من قصار السور.

وفي أشهر الأقوال هي السور الخمس وستون الأخيرة ابتداءً من سورة »ق« إلى سورة الناس، وسميت بالمفصل لكثرة الفواصل بينها بالبسملة.

➤ النقود في القرآن:

لم يكن للعرب قبل الإسلام نقود خاصة بهم، وكانت النقود المتداولة تأتي عن طريق المعاملات التجارية في رحلتي الشتاء والصيف، والعملتان اللتان ذُكِرتا هما: الدينار (الآية 75 من سورة آل عمران)، والدرهم (الآية 20 من سورة يوسف).

الدينار = 4.25 جرام، وهي دنانير الأباطرة البيزنطيين من الذهب.

والدرهم = سبعة أعشار الدينار أي 2.97 جرام، وهي دراهم الفرس الفضية، وكان العرب يطلقون على هذه الدراهم لفظ الورق، وفي سورة الكهف إشارة إلى ذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩﴾ [الكهف: 19].

لمحات عن علوم القرآن

أولًا: تعاريف:

- القرآن

- علوم القرآن

ثانيًا: نزول القرآن الكريم

ثالثًا: الوحي

رابعًا: أسباب النزول

خامسًا: المكي والمدني

سادسًا: القراءات

سابعًا: جمع القرآن

ثامنًا: الآيات والسور

تاسعًا: رسم المصحف

عاشرًا: التفسير والمفسرون

حادي عشر: ناسخ القرآن ومنسوخه

ثاني عشر: المحكم والمتشابه

ثالث عشر: إعجازالقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم منهج إلهي خالد، أنزله الله عز وجل دستورًا خاتمًا للرسالات، ليكون في إرشاده وتوجيهه صالحًا لكل زمان ولكل مكان، وشاملًا لجميع مناحي الحياة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ..﴾ [الإسراء: 9].

وقدعرف المسلمون الأوائل قيمة هذ ا الكتاب، وعملوا بمقتضى ما أرشدهم إليه، حتى أصبحوا سادة الدنيا وملوك الأرض، يسوسونها بالحق والعدل والرحمة، وينشرون في ربوعه أنوار العلم وهداية الرحمن، وكانوا خير أمة أخرجت للناس، وكان أوَّل من تلبس بهذا اللبوس، سيّدُ البشرية فكان خُلُقُه القرآن.

وحريّ بكل مسلم يريد أن يقرأ القرآن الكريم، أن يقرأه للتدبر والتفكر، ثم للتطبيق: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: 29].

وفيمايلي نبذة موجزة في التعريف بالقرآن وعلومه؛ تعين بعونه تعالى في فهمه وتفسيره.

➤ أولًا: تعاريف:

القرآن:

هوكلام الله تعالى المعجز والمنزل على سيدنا محمد باللفظ العربي، بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام؛ المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المجموع بين دفتى المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.



علوم القرآن:

يمكن إطلاق هذه التسمية - من باب التوسّع - على كل ّما يتعلق بدراسة القرآن الكريم والمعارف التي أتى بها، أمّا المعنى الاصطلاحي لهذه العلوم فهو ينحصر بالعلوم التي تتصل مباشرة بهذا الكتاب، وبذلك يمكن تعريفها بأنها: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفعًا للشبهات عنه، ونحو ذلك.

وكل ما سيرد معنا في الفقرات التالية، إنما هو من علوم القرآن الكريم.

➤ ثانيًا: نزول القرآن الكريم:

للقرآن الكريم عدّة تنزلات:

الأول: تنزله إلى اللوح المحفوظ، عندما خلق الله تعالى اللوح المحفوظ، وكان قبل ذلك في علم الله الأزلي.

الثاني: تنزله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وذلك في ليلة القدر.

الثالث: تنزله من بيت العزّة على قلب النبي .

وكان التنزل الثالث منجّمًا - أي متفرقًا - على مدى ثلاث وعشرين سنة هي سنوات الرسالة، ليكون ذلك مُعينًا في تثبيت فؤاد النبي من خلال لقائه بالملك جبريل، ومن خلال ما يأتيه من الآيات المتوالية التي تحثه على الصبر؛ وتبشره بالنصر، وليعين هذا التفرّق الزماني المؤمنين على حفظ كتاب الله دفعة بعد أخرى، وليكون نزول الآيات مترافقًا مع أحداث ووقائع يعالجها، وأخيرًا ليتسنى التدرّج في تشريع الأحكام عبر التنزلات المتفرقة.

وكان أوّل ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق: 1-5].



وآخر ما نزل منه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ٢٨١﴾ [البقرة: 281] نزلت قبل وفاته بتسع ليال.

➤ ثالثًا: الوحي:

هو في لسان الشرع: أن يُعْلِم الله تعالى من اصطفاه من عباده ككل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفِيّة،غير معتادة للبشر.

وللوحي ثلاث كيفيات: فقد يكون إلهامًا، وقد يكون منامًا، وقد يكون بإرسال ملك. هذه الكيفية الثالثة هي التي نزل بها القرآن الكريم، وكان الملك يأتيه بإحدى طريقتين، بَيّنَهما الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة ﵂، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟، فقال رسول الله: «**أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشدّه عليّ - فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قاله، وأحيانًا يتمثّل لي الملك رَجلًا فيكلمنى فأعي ما يقول**».

➤ رابعًا: أسباب النزول:

سبب النزول هو: ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه مبيّنة لحكمه.

وعلى هذا فسبب النزول هو حادثة وقعت في زمن النبي، أو سؤال وُجّه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتّصل بتلك الحادثة، أو جواب هذا السؤال.

ولمعرفة سبب النزول فوائد: أهمها:

- معرفة حكمة الله على التعيين فيما شرعه بالتنزيل، وذلك عندما يتبينُ من الحادثة التي كانت سببًا للنزول فوائد الالتزام بذلك التشريع، ومخاطر التفلت منه.

- ومنها الاستعانة في فهم معنى الآية ودفع الإشكال عنها في الفهم.

- ومنها معرفة الأشخاص الذين نزلت فيهم الآيات، لتكون سببًا في رفعة المحسن وإدانة المسيء.

- ومنها تيسيرحفظ الآيات لارتباط معانيها في ذهن الحافظ بأحداث معينة.

➤ خامسًا: المكي والمدني:

تنقسم آيات القرآن الكريم إلى قسمين:

المكي: وهو ما نزل من القرآن الكريم على النبي قبل هجرته إلى المدينة؛ ولو كان نزوله في غير مكة.

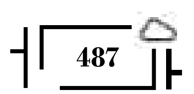
المدني: وهو ما نزل بعد الهجرة إلى المدينة، ولو كان نزوله في غيرها. ويغلب على الآيات المكية اهتمامها بإصلاح العقيدة، وبناء الأخلاق الفاضلة، ومحاربة الشرك والوثنية وأخلاق الجاهلية، كما يكثر فيه ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة، لتثبيت العقيدة في قلوب المؤمنين وبيان أن حُسْن العاقبة للمتقين، وأن دائرة السوء تدور على الكافرين.

أما الآيات المدنية فالغالب فيها تفصيل الأحكام الشرعية بشكل وافٍ ودقيق، بكل ما تتطلبه من تنظيم للعبادات والمعاملات ومتطلبات بناء المجتمع الإسلامي في شؤونه الداخلية والخارجية.

وبالرغم من وجود هذه السمات الغالبة التي تميز بها المكي من المدني؛ فإن الضابط الأوثق في التفريق بينهما هو طريق النقل؛ أي ما نقل إلينا من الأحاديث الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين.

➤ سادسًا: القراءات:

القرآن الكريم وحي منزل، تلقاه رسول الله عن جبريل الأمين عن رب العزّة، ولا يؤخذ مِن بعده إلا بالتلقّي، وقد أقرأ النبي صحابته الكرام بقراءات مختلفة تلقّاها كلها عن



جبريل ﷺ، وتلقّت الأجيال بعد الصحابة هذه القراءات جيلًا بعد جيل؛ إلى أن تم جمعها وحصرها في أسماء رجال كانوا سلسلة موصولة في التلقي والأداء، وليس لهم فيها من أمر النقص والزيادة شيء، إذ كل ما في هذه القراءات منزل من عند الله تعالى، وكله يجب العمل به.

وقد اشترط العلماء في قبول القراءة ليتم اعتمادها ثلاثة شروط:

1- أن يوافق رسمها رسم المصاحف العثمانية (التي كتبتها اللجنة التي شكلها عثمان رضي الله عنه).

2- أن توافق قواعد اللغة العربية.

3- أن يكون سندها متواترًا، يرويها جمع عن جمع، بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب.

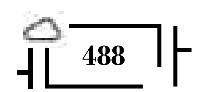
والقراءات التي انطبقت عليها هذه الشروط عشر قراءات، سبع منها لم يَختَلِف في تواترها أحد، بينما الثلاث الأخرى اختلف فيها، والأرجح فيها التواتر، وهناك أربع قراءات شاذة لم تتوافر فيها أركان القبول وليست بمعتمدة.

وبذلك تكون القراءات المدونة ما بين متواترة وشاذة أربع عشرة قراءة.

➤ سابعا: جمع القرآن:

المقصود بجمع القرآن أحد شيئين: الجمع في الصدور حفظًا، والجمع في السطور تدوينًا.

وقد كان النبي أول من جمع القرآن كاملا بالحفظ عن ظهر قلب، وحفظ عدد كبير من الصحابة الكرام كامل القرآن الكريم أو قسمًا كبيرًا منه؛ وعنهم تلقى الناس القرآن بالجمع والحفظ جيلًا بعد جيل.



أما جمع القرآن بمعنى تدوينه: فإنه لم يجمع كاملا في مصحف واحد في عهد النبي ؛ إذ لم يكن نزوله قد تم بعد، وإنما كان النبي يدعو بأحد كتاب الوحي عندما تنزل الآيات فيكتبها على ما تيسّر من العظام العريضة كعظم الكتف، وعلى أوراق النخيل والحجارة الرقيقة، وكان بعض الصحابة يكتبونها لأنفسهم أيضًا بعد تلقيها من النبى .

وفي عهد أبي بكر ﷺ قتل في معركة اليمامة ما يزيد على سبعين من حفاظ القرآن، فاقترح عمر ﷺ جمع القرآن في كتاب واحد، فأوكل أبو بكر أمر هذه المهمة إلى زيد بن ثابت فجمع ما كان قد كتب في عهد النبي وأعاد نسخه على الصحف، وكان لا ينسخ آية إلا بعد شهادة شاهدين بأنهما سمعاها من رسول الله، حتى أتم أوّل نسخة كاملة للمصحف الشريف.

ثم تابع عثمان ﷺ المهمة في عهده ؛ فكلف زيد بن ثابت، وثلاثة معه كتابة ست نسخ من المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، ووزعت هذه النسخ على البلدان الإسلامية آنذاك؛ ثم أمر عثمان ﷺ بحرق كل ما سوى هذه المصاحف مما كتبه الناس لأنفسهم؛ خوفًا من أي خطأ فيها.

➤ ثامنًا: الآيات والسور:

الآية:

طائفة من الكلمات ذات مطلع ومقطع مندرجة في سور القرآن الكريم.

ولا سبيل لمعرفة أوّل الآية وآخرها إلا بتوقيف الشارع؛ فلا مجال فيها للقياس والرأي، بدليل أن العلماء عدّوا (المص) آية، ولم يعدّوا نظيرها وهو (المر) آية.

ولهذا اختلفوا في عدد آيات القرآن الكريم؛ وإن كانوا اتفقوا على أنه يتجاوز ستة آلاف آية والراجح في عدد الآيات أنه (6236) آية.

أما ترتيب الآية وموضعها من السورة فتوقيفي، كان النبي يتوقف فيه على توجيه جبريل عليه السلام.



السورة:

طائفة مستقلة من آيات القرآن الكريم ذات مطلع ومقطع.

وقد اختلف العلماء في ترتيب هذه السور، أهو توقيفي بالنص، أم توفيقي بالاجتهاد، وبغض النظر عن خلافهم؛ فإن من الواجب احترام هذا الترتيب في كتابة المصحف؛ لأن الصحابة أجمعوا عليه؛ ولأن خلافه يؤدي إلى الفتنة.

أمّا في التلاوة فمراعاته مندوبة لا واجبة.

➤ تاسعًا: رسم المصحف:

المقصود برسم المصحف هو القواعد الإملائية التي يكتب بها، وهي قواعد تختلف في بعضها عن القواعد الإملائية الحديثة.

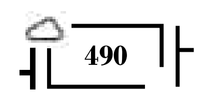
وقد التزم المسلمون قواعد الرسم التي جاءت في المصاحف العثمانية الستة، وساروا عليها دون تغيير إلى زماننا هذا؛ إلا ما كان من إضافات في تنقيط المصحف وتشكيله، الأمر الذي لم يكن في عهد عثمان ﷺ ثم جاءت عمليات الإخراج الطباعي وترقيم الآيات وتلوينها دون مساس بالقواعد الإملائية الخاصة بالمصحف.

وتعدّدت اتجاهات العلماء حول وجوب الالتزام بهذا الرسم:

فرأى فريق أن رسم المصحف توقيفي لا تجوز مخالفته.

ورأى الأكثرون أنه اجتهادي ولكن يجب الالتزام به منعًا للفتنة ودرءًا لمخاطر تغيّر الرسم من زمان إلى زمان.

ويرى فريق ثالث أنه اجتهادي تصح مخالفته، بل تجب، تيسيرًا على الأمّة وتمشيًا مع القواعد الإملائية التي يتعلمها الجميع.



➤ عاشرًا: التفسير والمفسرون:

التفسير:

علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه.

والتفسير من أشرف علوم القرآن الكريم؛ لأنه يكشف عن معانيه ومقاصده؛ التي بها تكون سعادة الأمة وفلاحها في الدارين.

ثم إن التفسير قسمان:

التفسير بالمأثور: ويعتمد على ما جاء في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين من تفسير لكلام الله عز وجل.

التفسير بالرأي: ويرتكز على قواعد اللغة ومصادر الاجتهاد المعتمدة بين العلماء؛ دون إهمال لمصادر التفسير بالمأثور.

أما المفسرون:

فأوّلهم رسول الله، ثم عدد كبيرمن علماء الصحابة رضوان الله عليهم، أشهرهم عشرة هم: الخلفاء الراشدون الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري؛ وعبدالله بن الزبير.

ويلي ذلك طبقة التابعين، وهي مدارس، أخذت كل مدرسة عن أحد الصحابة الأعلام، وهذه المدارس هي:

1- **مدرسة مكة:** وأخذت عن عبدالله بن الزبير.

2- **مدرسة المدينة:** وأخذت عن أبي بن كعب.

3- **مدرسة العراق:** وأخذت عن عبدالله بن مسعود.



وتبع هذه الطبقة طبقة تابعي التابعين ومن أخذ عنهم؛ ويطلق على عصر هؤلاء: عصرالتدوين.

ثم ألف محمد بن جريرالطبري، ت (310ه)، كتاب (جامع البيان) فكان من أعظم التفاسير، أخذ عنه كل من أتى بعده، وكان الطبري (شيخ المفسرين).

وبعد ذلك كان التفسير قد وصل إلى أوجه بما لا متسع معه لزيادات كبيرة من المأثور، غيرأن علم التفسير لم يتوقف عن التطور والنمو بما يتناسب مع تطور العصور، وكان هذا التطور في المنهج وأساليب العرض، فكانت المناهج التالية:

1- **التفسير بالمأثور:** ويعتمد على جمع المأثورات ومناقشتها والترجيح بينها كما سبق ذكره.

2- **التفسير باللغة العربية:** ويعنى بالمعاني اللغوية، وإعراب الآيات؛ والكشف عن مواطن البلاغة والإعجاز اللغوي فيها.

3- **التفسير الفقهي:** ويهتم بإبراز المسائل الفقهية وتفريعاتها، ومناقشة أقوال المذاهب فيها.

4- **التفسير العقدي:** ويتناول مسائل العقيدة وتفريعاتها، وآراء الفرق فيها.

5- **التفسيرمن خلال حكمة التنزيل ومقاصد القرآن:** ويقوم على شرح عام للآيات، يعقبه أو يتخلله توجيه إلى حسن التطبيق؛ والفهم العميق، لما يجب أن تكون عليه حياة المسلم والمجتمع الإسلامي في الواقع الحيات، ومع تطور العلوم اليوم وتناميها في فروعها التطبيقية والإنسانية جميعًا، فإن من الطبيعي أن يتنامى تفسير القرآن؛ وبخاصةٍ ما يسمى بالتفسير الموضوعي الذي يعتني بدراسة موضوع ما في كافة مواضعه في القرآن الكريم .

قال النبي مبينًا خاصيّة هذا الكتاب وقدرته على العطاء المتجدد: »**كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل،**

من تركه من جبّار قصمه الله تعالى، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه».

➤ حادي عشر: ناسخ القرآن ومنسوخه:

النسخ:

رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

وهذا يعنى أن حكمًا شرعيًا معمولا به يأتي بدلًا منه حكم لاحق يلغيه ويحلّ محله.

وأشهر أمثلة النسخ: نسخ حل الخمر بتحريمها وقت الصلاة، ثم نسخ هذا الحكم بالتحريم النهائي، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90].

ولهذا العلم أهميته الكبرى في التفسير والفتوى، لأن الجاهل به قد يحكم بالمنسوخ الذي توقف العمل به، ويترك الناسخ الذي عليه المعول.

ثم إن النسخ على أربعة أقسام:

1- **نسخ القرآن بالقرآن:** ومثاله حكم نسخ الخمر السابق.

2- **نسخ السنة بالسنة:** كقوله فيما أخرجه مسلم وأحمد: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها».

3- **نسخ السنة بالقرآن:** كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ..﴾ [البقرة: 150] فإنه نسخ ما كان مقررًا بالسنة من التوجه نحو بيت المقدس.

4- **نسخ القرآن بالسنة:** كقوله فيما أخرجه أبو داود: «لا وصية لوارث»، ناسخ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 180].

➤ **ثاني عشر: المحكم والمتشابه:**

للمحكم والمتشابه معان متعددة في اللغة والاصطلاح؛ والمعنى الاصطلاحي الأكثر ملاءمة هنا ما يلي:

المحكم: هو الكلام الواضح المعنى، الذي لا يتطرق إليه إشكال.

وذلك كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ..﴾ [البقرة: 255]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 2]

والمتشابه: هو الكلام الذي طرأ عليه خفاء في المعنى فيحتاج إلى بذل الجهد للوصول إلى المراد منه.

والمتشابهات ثلاثة أنواع:

1- ما لا يستطيع البشر جميعًا أن يصلوا إلى معرفته: كالعلم بذات الله وحقائق صفاته وغير ذلك من الغيوب التي استأثر الله بعلمها، قال تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ..﴾ [الأنعام: 59].

2- ما يمكن للناس معرفته عن طريق البحث والدراسة: كقوله تعالى: ﴿.. كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ..﴾ [البقرة: 183] فكلمة الصيام - ومعناها: الإمساك - ليس لها هنا حدود واضحة، وبالرجوع إلى النصوص الشرعية يتبين أن الصيام المراد هنا هو: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.



3- ما لا يمكن الوصول إلى معرفته إلا للراسخين في العلم؛ وهم خواص العلماء ومجتهدوهم.

منشأ التشابه:

يعود التشابه في القرآن الكريم إلى خفاء في اللفظ، أو خفاء في المعنى؛ أو خفاء فيهما معًا:

فالخفاء في اللفظ: بسبب قلة استعماله وعدم معرفة معناه، كقوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: 31].

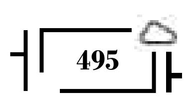
أو بسبب اشتراكه بين عدّة معان، مثل: (اليمين) فهي تطلق على اليد وتطلق على القسم.

أو بسبب وجود محذوف مقدّر في الكلام، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ..﴾ [النساء: 3]، فالتقدير: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى إن تزوجتموهن فانكحوا...).

والخفاء في المعنى: كالآيات التي تذكر صفات الله تعالى، مثل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5] و ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]، ومنه صفات الجنة والنار وعالم الغيب التي ليس للإنسان في عالم الدنيا أن يتصوّر حقيقة معناها؛ لأنه لم يرها ولم ير مثيلها.

أما الخفاء في اللفظ والمعنى فهو خمسة أشكال:

1- **من جهة الكمية:** كالعموم والخصوص، نحو: ﴿.. فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ..﴾ [التوبة: 5].



2- **من جهة الكيفية:** كالوجوب والندب، نحو: ﴿.. مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ..﴾ [النساء: 3].

3- **من جهة الزمان:** كالناسخ والمنسوخ.

4- **من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها:** نحو: ﴿.. وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ..﴾ [البقرة: 189]، ونحو: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ..﴾ [التوبة: 37].

5- **من جهة الشروط التي يصح بها الفعل ويفسد:** كشروط الصلاة والنكاح.

من فوائد وجود المتشابه في القرآن الكريم:

1- تحفيز الأمة وبعث همّتها على أن يكون فيها علماء يملكون من العلوم ما يؤهلهم للنظر والبحث والاجتهاد.

2- الاجتهاد يوجب زيادة المشقة، وزيادة المشقة توجب زيادة الثواب.

3- إظهار فضل العالم على الجاهل.

4- ابتلاء العباد واختبارهم في تسليمهم لله تعالى بإيمانهم بالمتشابه الذي لم يتمكنوا من معرفة معناه ومقصده.

➤ ثالث عشر: إعجاز القرآن:

إعجاز القرآن يعني عجز البشر عن الإتيان بكلام مثل القرآن الكريم، بما يتميّز به من أوجه الإعجاز.

وقد تحدّى القرآن الكريم البشر، وكان هذا التحدّي على مراحل متدرّجة في التخفيف، فبدأ بتحديهم أن يأتوا بمثله، إلى أن تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله، ثم بعشر آيات، ثم بآية واحدة، فلما عجزوا أعلن عجزهم المطلق عن ذلك فقال: ﴿قُل لَّئِنِ

ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴿٨٨﴾ [الإسراء: 88].

وقد اجتهد العلماء في استخراج وجوه الإعجاز القرآني، فاستبانت لهم بعض هذه الوجوه، ومنها:

1- **الإعجاز اللغوي:** وهو أكثر ما انصبّت عليه جهود العلماء في الماضي، وذلك لتميز الأمة العربية بالفصاحة والبيان، وما يزال العلماء يجدون فيه جديدًا في كل عصر.

2- **الإعجاز التشريعي:** فيما سنه من نظم وتشريعات متكاملة، تعجز عن صياغة مثلها مؤسسات بأكملها.

3- **الإعجاز الغيبي:** وذلك بما في القرآن الكريم من ذكر لغيوب الماضي التي لا يعلمها كثير من الدارسين، وغيوب الحوادث في عصرالرسالة التي كانت تتم سرًا فيكشف القرآن الكريم عن مخبوئها، وغيوب المستقبل التي حصلت فيما بعد كما أخبر عنها هذا الكتاب المعجز.

4- **الإعجاز العلمي:** وهو أكثر ما توجّهت إليه جهود الباحثين المعاصرين، لما فيه من تبيان لدقائق العلوم الطبيعية التي لم تكتشف إلا في العصرالحاضر.

5- **الإعجاز التجددي:** وهو قابليته لفهم متجدد متحرك مع مستجدات الحياة والمعرفة على الرغم من ثبات النص.

- وفي الختام نسأل الله تعالى أن ينفعنا بالقرآن، وأن يلهمنا العمل به؛ والسير على نهجه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

آداب تلاوة القرآن الكريم

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۝٢٠٤﴾ [الأعراف: 204].

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ۝٩٨﴾ [النحل: 98].

القرآن هو كلام الله، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه.

**** قال رسول الله : «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»** (الترمذى).

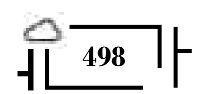
**** وفي الحديث القدسي يقول الله سبحانه وتعالى: «من شغله قراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين».**

**** كما أن حامل القرآن يرقى في درجات الجنة بحسب ما معه من قرآن، وذلك لقول النبي : «يقال لصاحب القرآن أقرأ وارْقَ ورتِّل كما كنت تُرتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها» (أبو داود والترمذي)، ويقول: «يركم من تعلم القرآن وعلمه» (البخارى).**

**** وقال: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» (مسلم).**

➤ آداب التلاوة:

لتلاوة القرآن آداب يجب على المسلم أن يراعيها، وأول هذه الآداب هي حسن الاستماع للقرآن، لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۝٢٠٤﴾ [الأعراف: 204].



وكلمة (فَاسْتَمِعُوا) تفيد طلب السَّمَاع، أي إن يكون السماع سماع المتنبِّه القاصد للسماع، وذلك يختلف عن كلمة (فاسمعوا)، فهي قد تفيد السماع دون قصد .

وقد قال العلماء: إن أول مراتب العلم الاستماع، لذا يُسَنّ الاستماع لقراءة القرآن، وترك اللغط والحديث بحضور القراءة .

الأمر الثاني الذي يجب على المسلم أن يراعيه هو المداومة على قراءة القرآن، وقد قال الأمام الأعظم أبو حنيفة: (من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدَّى حقه)، مستندًا في ذلك إلى قول أبى هريرة :ﷺ (كان يعرض على النبي القرآن كل عام مرة فعُرض عليه مرتين في العام الذي قُبض فيه)، وهذا هو الحد الأدنى. ومن أراد الزيادة فلا بأس إذا لم يهمل فرائض وواجبات أخرى، فمن أراد أن يستزيد ففي كم يقرؤه (أي كم مرّة يختم القرآن في العام؟).

قال عبدالله بن عمرو بن العاص :k قال لى رسول الله : »اقرأ القرآن في شهر، قلت: إنى أجد في نفسي قوة، فلم يزل ينقص لي في المدة حتى قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك« والأمر يختلف باختلاف الأشخاص، وكل بحسب ظروفه ولكن على الكل أن يعلم أن القرآن يتفلت من صاحبه، لقول النبى : »تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عُقُلها» متفق عليه.

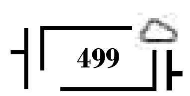
➤ **وهناك آداب عامة للتلاوة:**

* يستحب الوضوء لقراءة القرآن.

* يجوز قراءة القرآن للمُحْدِث حَدَثاً أصغر، وخاصة في ساعة التعلم (يعلّم أو يتعلم).

* تحرم قراءة القرآن، أو مس المصحف للجُنُب والحائض، ويجوز إمراره على القلب دون تحريك اللسان.

* تُسنَّ القراءة في مكان نظيف.



* يستحب أن يجلس القارئ مستقبلًا للقبلة، متطهرًا نظيفًا، وقد قيل: (أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك).

* لا تحتاج قراءة القرآن إلى نية، إلا إذا كان وفاء لنذر.

* يُسن الاستعاذة قبل القراءة، وقال بعضهم: بل هي واجبة لقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: 98]، وصيغة التعوذ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، وقد زاد آخرون: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم).

* يجهر بالاستعاذة إن كان يقرأ بحضرة من يسمعه، وإذا قطع القراءة ثم استأنفها، تعوذ مرة أخرى.

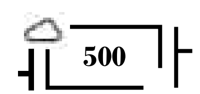
* يحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة، غير (سورة التوبة)؛ لأن أكثر العلماء اتفقوا على أن البسملة آية تفتتح بها كل سورة، فإن قرأ في وسط السورة استحب له أيضًا البسملة، وكذلك في (سورة التوبة) التي لا تقرأ البسملة في أولها.

* يُسَن الترتيل في القراءة، حيث نعتت أم سلمة ﵂ قراءة النبي ﷺ أنها قراءة مُفَسَّرة حرفًا حرفًا .

* قراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين بغير ترتيل في نفس الزمن؛ لأن الترتيل يساعد على التدبر وهو أقرب إلى الإجلال والتوقير، وأكبر تأثيرًا في القلوب.

* تسن القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، لقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: 29].

وهذا لا يتأتى إلا إذا شُغل قلبه بالتفكير في معنى ما يتلفظ به، ويتأمل الأوامر والنواهي، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر ودعا، وإذا قرأ آية عذاب أشفق وتعوذ .



وقد ورد عن النبي أنه قال: من قرأ منكم بالتين والزيتون، فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: 8]، فليقل: وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: 1]، فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: 40]، فليقل: بلى قادر وعزة ربنا، ومن قرأ المرسلات فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: 50]، فليقل: (آمنا بالله).

وقد ورد عن جابر بن عبدالله ﷺ قوله: خرج رسول الله على أصحابه يومًا فقرأ (سورةالرحمن) من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن مردودًا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13].

قالوا: لا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد .

وقد روى النسائي وغيره عن أبي ذر، أن النبى قام بآية يرددها حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]، وعلى هذا فتكرار الآيات للتدبر واستشعار المعنى لا بأس به .

* يستحب البكاء عند قراءة القرآن، فمن لم يستطع فليتباكى، وكذلك يستحب الخشوع، والله تبارك وتعالى يصف الذين أوتوا العلم بقوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩﴾ [الإسراء: 109].

وقد بكى النبى عندما قرئت عليه سورة النساء كما ورد عن عبدالله بن مسعود ﷺ، قال: قال لي النبي: «**اقرأ عليّ**»، قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ ! ! قال: **نعم**.. فقرأت سورة النساءحتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]

قال: «**حسبك الآن**» .. فالتفت فإذا عيناه تذرفان (متفق عليه).

ولكي يحدث ذلك فعلى الإنسان أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد، والعهود، ثم يفكر في تقصيره فيها، فإن لم يحزن عند ذلك، فليبك على فقد ذلك.

* تحسين الصوت بالقراءة من السنة لقول النبى : «من لم يتغن بالقرآن (أي يحسن صوته)، فليس منّا» رواه أبو داود.

* لا بأس باجتماع جماعة من الناس على القراءة، فيقرأ كل واحد منهم شيئًا من القرآن.

* لا بأس برفع الصوت في القراءة حيث ورد عن النبى : «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به**» متفق عليه.

والإخفاء أفضل إذا خاف الرياء، أو تأذى المصلون أو النائمون بجهره، وقد ورد عن النبي قوله: «**المجاهر بالقرآن كالمجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة**».

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «اعتكف النبي في المسجد فسمعهم يجهرون بالقرآن، فكشف الستر وقال: ألا إن كُلكم يناجي ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة أو في الصلاة».

* القراءة من المصحف أفضل من القراءة من القلب، إذا كان ذلك خارج الصلاة، لأن النظر في المصحف في حد ذاته عبادة؛ ولذلك يستحب للحافظ أن ينظر في المصحف بين الحين والآخر.

* يُكره قطع القراءة لمكالمة أحد؛ لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام آخر.

* يُكره الضحك والعبث والنظر إلى ما يُلهى أثناء القراءة.

* لا يجوز قراءة القرآن بلغة أخرى غير العربية؛ لأن ذلك يذهبه إعجازه المقصود به.

* لا يجوز القراءة بالشاذ من القراءات.

* القراءة بترتيب المصحف أولى لأن ترتيبه لحكمة.



* لا يجوز خلط الآيات من السور المختلفة، فتأليف الله خير من تأليف البشر.

إذا ابتدأ بقراءة إحدى القراءات، فينبغي عدم القراءة بقراءة أخرى مادام الكلام مرتبطًا، فإذا انقضى الارتباط فله أن يقرأ بقراءة أخرى.

* يُسن السجود عند قراءة آية سجدة، وهي في أربعة عشر موضعًا من القرآن في سور (الأعراف، الرعد، النحل، الإسراء، مريم، الحج (سجدتان)، الفرقان، النمل، السجدة، فصلت، النجم، الانشقاق، العلق) و (ص) عند البعض فتصبح خمسة عشر موضعًا، ومن السنة أن يدعو في سجوده الدعاء المأثور: سجد وجهي لله الذي فطر السموات والأرض، اللهم تقبل مني هذه السجدة واجعلها لي عندك ذخرًا يوم القيامة.

* أفضل القراءة ما كان في الصلاة، ثم بالليل، وليس هناك أوقات مكروهة للقراءة، وأفضل الأيام يوم عرفة، ثم يوم الجمعة، ثم يوم الإثنين، ثم يوم الخميس، والعشر الأواخر من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة.

* يستحب الاجتماع عند ختم القرآن الكريم، فعنده تنزل الرحمة وتحضره الملائكة.

* يستحب التكبير من أول سورة (الضّحى) إلى آخر القرآن، وصفته أن يقول بعد كل سورة (الله أكبر).

* يسن الدعاء عقب الختم، وقد قيل: إن من ختم القرآن فله دعوة مستجابة.

* يُسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى مباشرة، يقرأ من أول سورة البقرة إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ۝٥﴾ [البقرة: 5] لقول ابن عباس k قال رجل: يارسول الله، أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الحال المرتحل**»، قال الرجل: وما الحال المرتحل؟ قال: «**الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل**».

* يستحب عند الختم تكرير سورة الإخلاص ثلاث مرات، وذلك لجبر ما يكون قد حدث من نقص في الختمة لأنها تعدل ثلث القرآن، لقول النبى : «**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**» مسلم.

* يكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها استنادًا إلى حديث عمران بن حصين المرفوع: «**من قرأ القرآن فليسأل الله فإنه سيجيءأقوام يقرءون القرآن ويسألون به الناس**».

* يكره قول نسيت آية كذا، بل يقول أنسيتها لقول النبى : «ما لأحدهم يقول: نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسي».

* قراءة القرآن للميت، ما حكمها، اتفق الأئمة مالك، وأبوحنيفة، وأحمد بن حنبل على وصول ثواب قراءة القرآن للميت إن نوى القارئ ذلك، وخالفهم الإمام الشافعي، وتجوز قراءة القرآن للميت إذا كانت من أحد أبنائه أو قرابته أو أصحابه بنية هبة ثواب القراءة له، ويجب أن تكون النية فيها صادقة وأن تكون القراءة صحيحة بمراعاة مخارج الحروف، وتشكيل الكلمات، والوقوف في مواضع الوقف اللازم حتى لا يتغير المعنى، ومراعاة آداب التلاوة المذكورة آنفًا.

أما ما يفعله البعض من استئجار القراء في المقابر لقراءة القرآن في أثناء دفن الميت، أو عند زيارته، فلا تصح على الإطلاق لعدم مراعاة هؤلاء القراء لأصول القراءة، حيث يقرأون معًا، وبسرعة فائقة، مما يؤدي إلى انقطاع نفس أحدهم ويكمل الآخرون القراءة ثم يعود من انقطع نفسه إلى القراءة مع الآخرين دون مراعاة لاتصال الآيات، علاوة على أنهم يقرأون من أجل المال وليس من أجل الميت.

هذا . . ولا يشترط لوصول ثواب القراءة للميت أن تكون عند المقابر، بل يمكن أن تكون في أي مكان، والعبرة كما قلنا بصدق النية، وصحة القراءة، ورحمة الله واسعة، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

نصيحة من الشيخ الغزالي عليه رحمة الله تساعد في حفظ القرآن الكريم

- **يحكيها رحمه الله عن تجربته الشخصية فيقول:**

ظللت أكافح نحو خمس سنين، خمس سنين طوال كنت أقرأ «الربع» نحو عشر مرات، ومع ذلك يعز عليّ حفظه.

وكاد اليأس يخامرني، ولكني صابرت الأيام وتحملت العناء ورجوت الخير.

وفي أثناء مطالعتي للسنة النبوية، قرأت حديثًا نفعنى الله به وجربته في التغلب على آفات النسيان فأفادني.

وإني أثبته هنا لعل الله ينفع به من يريد أن يتصل بكتابه، ويكون من حفاظه.

عن ابن عباس k قال: بينما نحن عند رسول الله إذ جاء علي بن أبي طالب فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، تفلّت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه، فقال رسول الله : »يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك«، قال أجل يا رسول الله فعلمني، قال: »إذا كان ليلة الجمعة، فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخي يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربي، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقم في وسطها، فإن لم تستطع فقم في أولها، فصلّ أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل »أى سورة الملك«، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على

الله وصلّ عليّ وأحسن وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك، أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني، اللهم بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك، أن تنور بكتابك بصري وأن تطلق به لساني وأن تفرج به عن قلبي وأن تشرح به صدري وأن تغسل به بدني، فإنه لا يعينني على الحق غيرك ولا يؤتينيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، **يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا** تجب بإذن الله، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط»، قال عبد الله بن عباس فوالله ما لبث عليّ إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله في مثل ذلك المجلس، فقال يا رسول الله إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن وإذا قرأتهن على نفسي تفلتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية أو نحوها وإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفًا، فقال له رسول الله عند ذلك: «**مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن**»[1].

1- هذا الحديث: رواه الترمذى (رقم 3570) عن أحمد بن الحسين، عن سليمان بن عبدالرحمن الدمشقى، عن « الوليد بن مسلم» عن ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس . وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد».

ورواه «الحاكم» من طريق الترمذى وقال: صحيح على شرط الشيخين!!» وهذا من تساهله.

ورواه أيضا «الدارقطنى» من طريق الوليد أيضًا . وفى أسانيده كلام طويل.

أمثلة لبعض أحكام المواريث

تعلمنا في حصص الدين بالمدرسة أن الجنس ليس ضابطًا لفلسفة الميراث في الإسلام لكن الضوابط ثلاثة . . هي :

درجة القرابة:

فالأقرب أولى لأن الأبعد قد تكون له مصادر أخرى من أقربائه الأقرب.

الجيل الوارث:

الجيل الأصغر أولى لأنه يستقبل الحياة وأعباءه أكبر، فيكون الابن أولى من الأب والجد.

التكليف بالإنفاق:

فالمكلف بالإنفاق أولى بالنصيب الأكبر

وبناءً عليه فالمرأة في الإسلام ترث حسب هذه المعايير:

- مرات أكثر من الرجل.
- ومرات مثل الرجل.
- ومرات أقل من الرجل.

فالجنس ليس مميزًا لاستحقاق الميراث في الإسلام، أما أن الابن يرث ضعف الابنة، فذلك لأنهما تساويا في درجة القرابة وفي الجيل الوارث، فصار الضابط الثالث هو الفيصل

راجع: «الترغيب» للمنذرى (360/2)، و« تحفة الذاكرين» للشوكانى: (160) . و«الفوائد» له، و« اللآلئ» للسيوطى: (66/2، وأصله لابن الجوزى (138/2)، و « فضائل القرآن» لابن كثير في آخر التفسير ص 56.

وليس الجنس وهو أنه المكلف بالإنفاق، أما إنفاق الأنثى . . فهو تبرعٌ أو اضطرارٌ . . وليس تكليفًا، وهو حالة مستثناة تحل بأمور شرعية أخرى بعيدًا عن تشريعات الميراث كالنفقة والزكاة والقضاء . .

أما الوصية . . فهي في حدود ثلث التركة . . والثلث كثير . .

ولا يوصى للوارث . . فلا وصية لوارث . .

-والله أعلم-

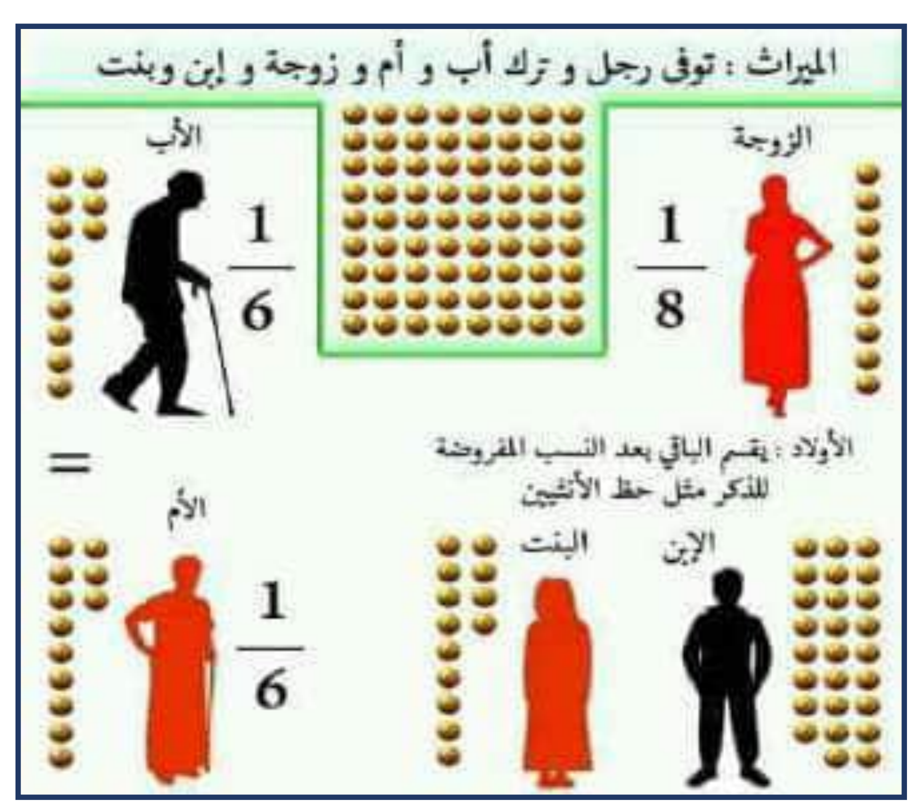

مثال في الميراث : توفيت سيدة و تركت أم و إبنتين و زوجاً و 4 أشقاء
الزوج
1/4
الأم
1/6
هنا مجموع النسب المفروضة أكبر من الواحد الصحيح لذا تقسم التركة على 13 جزء بدلاً من 12
2/3
الإبنتان
للأشقاء : الباقي بعد تقسيم النسب المفروضة للذكر مثل حظ الأنثيين
0


الميراث : توفي رجل و ترك أخت شقيقة وأخ لأم و أخت لأم و 2 أخ لأب
الأخت الشقيقة
1/2
الأخ لأم
1/6
ميراث الكلالة
ألا يكون للموروث ولد و لا والد
=
الأخت لأم
1/6
الأخوان لأب يقسم عليهما الباقي بعد النسب المفروضة


مثال في الميراث : توفى رجل وترك والدين و بنت و زوجة و إخوة أشقاء
الزوجة
1/8
الأم
1/6
الأب
1/6
السهم المتبقي للأب تعصيباً
الأشقاء
0
الإبنة
1/2


الميراث : توفى رجل و ترك أخ شقيق وأخت شقيقة وأخ لأم وأخت لأم
الأخت لأم
1/6
الأخ لأم
1/6
ميراث الكلالة
ألا يكون للموروث ولد و لا والد
أولاً : الأخ لأم و الأخت لأم شركاء في الثلث أي يقسم بينهما بالتساوي كل منهما السدس
الأخ الشقيق
الأخت الشقيقة
ثانياً : الأخ الشقيق و الأخت الشقيقة يقسم بينهما الباقي للذكر مثل حظ الأنثيين


مثال في الميراث : توفيت سيدة و تركت أم و إبنة و زوجاً و 4 أشقاء
الأم
1/6
الزوج
1/4
للأشقاء : الباقي بعد تقسيم النسب المفروضة للذكر مثل حظ الأنثيين
الإبنة
1/2


الميراث : توفى رجل و ترك أب و أم و زوجة و إبن وبنت
الأب
1/6
الزوجة
1/8
=
الأولاد : يقسم الباقي بعد النسب المفروضة للذكر مثل حظ الأنثيين
الأم
1/6
البنت
الإبن



القسمة الواجبة	عدد الحالات
للذكر مثل حظ الأنثيين	4 حالات
للأنثى أكثر من الذكر	14 حالة
يرث الذكر بالفرض	6 حالات
ترث الأنثى بالفرض	15 حالة
التساوي بين الذكر والأنثى	30 حالة

أسماء السور وترتيبها في المصحف الشريف

أسماء السور وترتيبها في المصحف الشريف

أسماء السور وحروفها الأولى

الحرف	رقمها	اسم السورة	صفحتها
أ	٣	سورة آل عمران	٥١
	١٤	سورة إبراهيم	٢٥٦
	٣٣	سورة الأحزاب	٤١٩
	٤٦	سورة الأحقاف	٥٠٣
	١١٢	سورة الإخلاص	٦٠٦
	١٧	سورة الإسراء	٢٨٣
	٧	سورة الأعراف	١٥٢
	٨٧	سورة الأعلى	٥٩٣
	٢١	سورة الأنبياء	٣٢٣
	٧٦	سورة الإنسان	٥٧٩
	٨٤	سورة الانشقاق	٥٩٠
	٦	سورة الأنعام	١٢٩
	٨	سورة الأنفال	١٧٨
	٨٢	سورة الانفطار	٥٨٨
ب	٨٥	سورة البروج	٥٩١
	٢	سورة البقرة	٢
	٩٠	سورة البلد	٥٩٥
	٩٨	سورة البينة	٦٠٠
ت	٦٦	سورة التحريم	٥٦١
	٦٤	سورة التغابن	٥٥٧
	١٠٢	سورة التكاثر	٦٠٢
	٨١	سورة التكوير	٥٨٧
	٩	سورة التوبة	١٨٨
	٩٥	سورة التين	٥٩٨
ج	٤٥	سورة الجاثية	٥٠٠
	٦٢	سورة الجمعة	٥٥٤
	٧٢	سورة الجن	٥٧٣
ح	٦٩	سورة الحاقة	٥٦٧
	٢٢	سورة الحج	٣٣٣
	١٥	سورة الحجر	٢٦٣
	٤٩	سورة الحجرات	٥١٦
	٥٧	سورة الحديد	٥٣٨
	٥٩	سورة الحشر	٥٤٦
د	٤٤	سورة الدخان	٤٩٧
ذ	٥١	سورة الذاريات	٥٢١
ر	٥٥	سورة الرحمن	٥٣٢
	١٣	سورة الرعد	٢٥٠
	٣٠	سورة الروم	٤٠٥
ز	٤٣	سورة الزخرف	٤٩٠
	٩٩	سورة الزلزلة	٦٠١
	٣٩	سورة الزمر	٤٥٩
س	٣٤	سورة سبأ	٤٢٩
	٣٢	سورة السجدة	٤١٦
ش	٩٤	سورة الشرح	٥٩٨
	٢٦	سورة الشعراء	٣٦٨
	٩١	سورة الشمس	٥٩٦
	٤٢	سورة الشورى	٤٨٤
ص	٣٨	سورة ص	٤٥٤
	٣٧	سورة الصافات	٤٤٧
	٦١	سورة الصف	٥٥٢
ض	٩٣	سورة الضحى	٥٩٧
ط	٨٦	سورة الطارق	٥٩٢
	٦٥	سورة الطلاق	٥٥٩
	٢٠	سورة طه	٣١٣
	٥٢	سورة الطور	٥٢٤
ع	١٠٠	سورة العاديات	٦٠١
	٨٠	سورة عبس	٥٨٦
	١٠٣	سورة العصر	٦٠٣
	٩٦	سورة العلق	٥٩٩
	٢٩	سورة العنكبوت	٣٩٧
غ	٨٨	سورة الغاشية	٥٩٣
	٤٠	سورة غافر	٤٦٨
ف	١	سورة الفاتحة	٢
	٣٥	سورة فاطر	٤٣٥
	٤٨	سورة الفتح	٥١٢
	٨٩	سورة الفجر	٥٩٤
	٢٥	سورة الفرقان	٣٦٠
	٤١	سورة فصلت	٤٧٨
	١١٣	سورة الفلق	٦٠٦
	١٠٥	سورة الفيل	٦٠٣
ق	٥٠	سورة ق	٥١٩
	١٠١	سورة القارعة	٦٠٢
	٩٧	سورة القدر	٦٠٠
	١٠٦	سورة قريش	٦٠٤
	٢٨	سورة القصص	٣٨٦
	٦٨	سورة القلم	٥٦٥
ق	٥٤	سورة القمر	٥٢٩
	٧٥	سورة القيامة	٥٧٨
ك	١٠٩	سورة الكافرون	٦٠٥
	١٨	سورة الكهف	٢٩٤
	١٠٨	سورة الكوثر	٦٠٤
ل	٣١	سورة لقمان	٤١٢
	٩٢	سورة الليل	٥٩٧
م	٥	سورة المائدة	١٠٧
	١٠٧	سورة الماعون	٦٠٤
	٢٣	سورة المؤمنون	٣٤٣
	٥٨	سورة المجادلة	٥٤٣
	٤٧	سورة محمد	٥٠٨
	٧٤	سورة المدثر	٥٧٦
	٧٧	سورة المرسلات	٥٨١
	١٩	سورة مريم	٣٠٦
	٧٣	سورة المزمل	٥٧٥
	١١١	سورة المسد	٦٠٥
	٨٣	سورة المطففين	٥٨٩
	٧٠	سورة المعارج	٥٦٩
	٦٧	سورة الملك	٥٦٣
	٦٠	سورة الممتحنة	٥٥٠
	٦٣	سورة المنافقون	٥٥٥
ن	٧٩	سورة النازعات	٥٨٤
	١١٤	سورة الناس	٦٠٦
	٧٨	سورة النبأ	٥٨٣
	٥٣	سورة النجم	٥٢٧
	١٦	سورة النحل	٢٦٨
	٤	سورة النساء	٧٨
	١١٠	سورة النصر	٦٠٥
	٢٧	سورة النمل	٣٧٨
	٧١	سورة نوح	٥٧١
	٢٤	سورة النور	٣٥١
هـ	١٠٤	سورة الهمزة	٦٠٣
	١١	سورة هود	٢٢٢
و	٥٦	سورة الواقعة	٥٣٥
ي	٣٦	سورة يس	٤٤١
	١٢	سورة يوسف	٢٣٦
	١٠	سورة يونس	٢٠٩

أسماء السور مرتبة حسب النزول

السور المكية

	ترتيبها	اسم السورة	الصفحة
١	٩٦	سورة العلق	٥٩٩
٢	٦٨	سورة القلم	٥٦٥
٣	٧٣	سورة المزمل	٥٧٥
٤	٧٤	سورة المدثر	٥٧٦
٥	١	سورة الفاتحة	٢
٦	١١١	سورة المسد	٦٠٥
٧	٨١	سورة التكوير	٥٨٧
٨	٨٧	سورة الأعلى	٥٩٣
٩	٩٢	سورة الليل	٥٩٧
١٠	٨٩	سورة الفجر	٥٩٤
١١	٩٣	سورة الضحى	٥٩٧
١٢	٩٤	سورة الشرح	٥٩٨
١٣	١٠٣	سورة العصر	٦٠٣
١٤	١٠٠	سورة العاديات	٦٠١
١٥	١٠٨	سورة الكوثر	٦٠٤
١٦	١٠٢	سورة التكاثر	٦٠٢
١٧	١٠٧	سورة الماعون	٦٠٤
١٨	١٠٩	سورة الكافرون	٦٠٥
١٩	١٠٥	سورة الفيل	٦٠٣
٢٠	١١٣	سورة الفلق	٦٠٦
٢١	١١٤	سورة الناس	٦٠٦
٢٢	١١٢	سورة الإخلاص	٦٠٦
٢٣	٥٣	سورة النجم	٥٢٧
٢٤	٨٠	سورة عبس	٥٨٦
٢٥	٩٧	سورة القدر	٦٠٠
٢٦	٩١	سورة الشمس	٥٩٦
٢٧	٨٥	سورة البروج	٥٩١
٢٨	٩٥	سورة التين	٥٩٨
٢٩	١٠٦	سورة قريش	٦٠٤
٣٠	١٠١	سورة القارعة	٦٠٢
٣١	٧٥	سورة القيامة	٥٧٨
٣٢	١٠٤	سورة الهمزة	٦٠٣
٣٣	٧٧	سورة المرسلات	٥٨١
٣٤	٥٠	سورة ق	٥١٩
٣٥	٩٠	سورة البلد	٥٩٥
٣٦	٨٦	سورة الطارق	٥٩٢
٣٧	٥٤	سورة القمر	٥٢٩
٣٨	٣٨	سورة ص	٤٥٤
٣٩	٧	سورة الأعراف	١٥٢
٤٠	٧٢	سورة الجن	٥٧٣
٤١	٣٦	سورة يس	٤٤١
٤٢	٢٥	سورة الفرقان	٣٦٠
٤٣	٣٥	سورة فاطر	٤٣٥
٤٤	١٩	سورة مريم	٣٠٦
٤٥	٢٠	سورة طه	٣١٣
٤٦	٥٦	سورة الواقعة	٥٣٥
٤٧	٢٦	سورة الشعراء	٣٦٨
٤٨	٢٧	سورة النمل	٣٧٨
٤٩	٢٨	سورة القصص	٣٨٦
٥٠	١٧	سورة الإسراء	٢٨٣
٥١	١٠	سورة يونس	٢٠٩
٥٢	١١	سورة هود	٢٢٢
٥٣	١٢	سورة يوسف	٢٣٦
٥٤	١٥	سورة الحجر	٢٦٣
٥٥	٦	سورة الأنعام	١٢٩
٥٦	٣٧	سورة الصافات	٤٤٧
٥٧	٣١	سورة لقمان	٤١٢
٥٨	٣٤	سورة سبأ	٤٢٩
٥٩	٣٩	سورة الزمر	٤٥٩
٦٠	٤٠	سورة غافر	٤٦٨
٦١	٤١	سورة فصلت	٤٧٨
٦٢	٤٢	سورة الشورى	٤٨٤
٦٣	٤٣	سورة الزخرف	٤٩٠
٦٤	٤٤	سورة الدخان	٤٩٧
٦٥	٤٥	سورة الجاثية	٥٠٠
٦٦	٤٦	سورة الأحقاف	٥٠٣
٦٧	٥١	سورة الذاريات	٥٢١
٦٨	٨٨	سورة الغاشية	٥٩٣
٦٩	١٨	سورة الكهف	٢٩٤
٧	١٦	سورة النحل	٢٦٨
٧١	٧١	سورة نوح	٥٧١
٧٢	١٤	سورة إبراهيم	٢٥٦
٧٣	٢١	سورة الأنبياء	٣٢٣
٧٤	٢٣	سورة المؤمنون	٣٤٣
٧٥	٣٢	سورة السجدة	٤١٦
٧٦	٥٢	سورة الطور	٥٢٤
٧٧	٦٧	سورة الملك	٥٦٣
٧٨	٦٩	سورة الحاقة	٥٦٧
٧٩	٧٠	سورة المعارج	٥٦٩
٨٠	٧٨	سورة النبأ	٥٨٣
٨١	٧٩	سورة النازعات	٥٨٤
٨٢	٨٢	سورة الانفطار	٥٨٨
٨٣	٨٤	سورة الانشقاق	٥٩٠
٨٤	٣٠	سورة الروم	٤٠٥
٨٥	٢٩	سورة العنكبوت	٣٩٧
٨٦	٨٣	سورة المطففين	٥٨٩

السور المدنية

	ترتيبها	اسم السورة	الصفحة
١	٢	سورة البقرة	٣
٢	٨	سورة الأنفال	١٧٨
٣	٣	سورة آل عمران	٥١
٤	٣٣	سورة الأحزاب	٤١٩
٥	٦٠	سورة الممتحنة	٥٥٠
٦	٤	سورة النساء	٧٨
٧	٩٩	سورة الزلزلة	٦٠١
٨	٥٧	سورة الحديد	٥٣٨
٩	٤٧	سورة محمد	٥٠٨
١٠	١٣	سورة الرعد	٢٥٠
١١	٥٥	سورة الرحمن	٥٣٢
١٢	٧٦	سورة الإنسان	٥٧٩
١٣	٦٥	سورة الطلاق	٥٥٩
١٤	٩٨	سورة البينة	٦٠٠
١٥	٥٩	سورة الحشر	٥٤٦
١٦	٢٤	سورة النور	٣٥١
١٧	٢٢	سورة الحج	٣٣٣
١٨	٦٣	سورة المنافقون	٥٥٥
١٩	٥٨	سورة المجادلة	٥٤٣
٢٠	٤٩	سورة الحجرات	٥١٦
٢١	٦٦	سورة التحريم	٥٦١
٢٢	٦٤	سورة التغابن	٥٥٧
٢٣	٦١	سورة الصف	٥٥٢
٢٤	٦٢	سورة الجمعة	٥٥٤
٢٥	٤٨	سورة الفتح	٥١٢
٢٦	٥	سورة المائدة	١٠٧
٢٧	٩	سورة التوبة	١٨٨
٢٨	١١٠	سورة النصر	٦٠٥

* أرقام الصفحات التي وردت في فهارس أسماء السور لا تخص الكتاب

قائمة المراجع

1. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: فضيلة الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق.

2. لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي، أستاذ الأدب في كلية اللغة العربية.

3. المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم: محمد عتريس، مكتبة الآداب، الطبعة الثانية 2013.

4. القرآن الكريم وخواطر بداية الهداية: الدكتور محمد عسكر، رقم الإيداع 2014-19920.

5. الموسوعة القرآنية الميسرة: أ.د وهبة الزحيلي وآخرون، دار الفكر - سوريا، الطبعة الأولى 1425 هـ/2004.

6. القرآن تدبر وعمل: مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي بالرياض، الطبعة الخامسة 1437 هـ/2016.

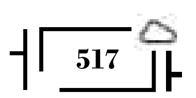
7. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس بالقرآن: للشيخ أبي يحيى الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1405 هـ /1985م.

8. زبدة التفسير من فتح القدير (مختصر تفسير الإمام الشوكاني) محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة دار المؤيد، الطبعة الخامسة 1420 هـ/1999م.

9. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة (26) 1418 هـ / 1997م.

10. الموسوعة القرآنية.

11. نظرات في القرآن: فضيلة الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق.



12. سنة أولى عبادة: د. أحمد عادل نور الدين، دار السحاب.

13. ليدبروا آياته: د.ناصر العمر، مركز تدبر للاستشارات التربوية، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 2018.

14. أول مرة أتدبر القرآن: عادل محمد خليل، أس بي 0776/ 2016 الكويت، الطبعة الثالثة عشرة 1438 هـ / 2017.

15. خمسة عشر قرنًا مع القرآن الكريم: عبد الخالق سيد أبو رابية، مطابع دار الشعب بالقاهرة 2887/ 1982.

16. هل في القرآن تناقضات؟: د.محمد عمارة، مكتبة وهبة 13597/ 2011.

17. معجزة أسماء السور القرآنية: علي راضي أبو رزيق، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى 2017.

18. تعالوا نعيد النظر فيما نعتقد: الأستاذ حسن يوسف، كتاب الشعب 10493/ 2022 م.



ص	الموضوع

الموضوع	ص

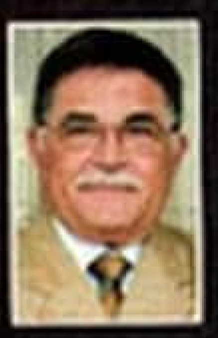
الموضوع	ص

الموضوع	ص

الموضوع	ص

الموضوع	ص





أ.د/ أحمد عادل نور الدين

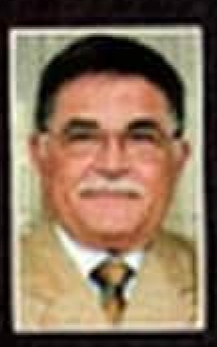
- رئيس مجلس أمناء ومؤسس الأكاديمية المصرية وجراحات التجميل
- رئيس قسم جراحة التجميل بالقصر العيني سابقاً
- أستاذ متفرغ بقسم جراحة التجميل بالقصر العيني
- رئيس مجلس أمناء مؤسسة إيد على إيد للتنمية المستدامة

كما للمؤلف إسهاماته الفكرية والدينية ومنها:

- تطبيقات جديدة للصدقة الجارية تخدم المجتمع وتنمي المجتمع.
- الوصايا العشر الأخلاقية في الممارسات الطبية.
- التطبيقات المعاصرة للزكاة.
- الدليل الطبي للمريض في شهر رمضان.
- كيف نتأدب مع الرحمن عند تلاوة القرآن.
- الرحمة المهداه
- سنة أولى عبادة والذي تُرجم إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والروسية







أ.د/ أحمد عادل نور الدين

- رئيس مجلس أمناء ومؤسس الأكاديمية المصرية وجراحات التجميل
- رئيس قسم جراحة التجميل بالقصر العيني سابقاً
- أستاذ متفرغ بقسم جراحة التجميل بالقصر العيني
- رئيس مجلس أمناء مؤسسة إيد على إيد للتنمية المستدامة

كما للمؤلف إسهاماته الفكرية والدينية ومنها:

- تطبيقات جديدة للصدقة الجارية تخدم المجتمع وتنمي المجتمع.
- الوصايا العشر الأخلاقية في الممارسات الطبية.
- التطبيقات المعاصرة للزكاة.
- الدليل الطبي للمريض في شهر رمضان.
- كيف تتأدب مع الرحمن عند تلاوة القرآن.
- الرحمة المهداة.
- سنة أولى عبادة والذي تُرجم إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والروسية.



